

الشيخ عبد العزيز بن أحمد الحميدي

# شرح صحيح البخاري كتاب التوحيد

الدروس كاملة

## الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم، نحمد الله ونشكركه ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. فتح الله به أعيناً عمياً، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً، حتى يعبدوا الله وحده لا شريك له.

اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أما بعد:

نستأنف درسنا في تدارس الجامع الصحيح، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. وفي هذه الفترة إن شاء الله، وقع الاختيار على "كتاب التوحيد" من الجامع الصحيح، وهو آخر كتب الجامع الصحيح. سنقضي فيه إن شاء الله الفترة القادمة، حتى ننتهي منه إن شاء الله تعالى ويتوفيق من الله \_ جل وعلا \_ . فنبداً بتوفيق الله نقرأ على ما تعودنا.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله حمد الشاكرين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى. والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، سيد الأبرار محمد بن عبد الله \_ صلى الله عليه وسلم \_.

### بَاب مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتُهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

القارئ: (كتاب التوحيد).

قال الشيخ الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري \_ رحمه الله تعالى \_:

(بَاب مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتُهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى).

(حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ حَدَّثَنَا زَكْرِيَاءُ بْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيِّ عَنْ أَبِي مَعْبُدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ).

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ الْعَلَاءِ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَيْفِيٍّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا مَعْبَدٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَيَّ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيَّ أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَيْرِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقْرُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَامَةَ أَمْوَالِ النَّاسِ).

يقول الإمام \_ عليه رحمة الله \_ : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) صدر بالبسملة على عادته في أكثر

بل في جميع كتب الجامع الصحيح، ثم عنون هذا الكتاب بكتاب التوحيد، هكذا وقع في جميع أصول ونسخ الجامع الصحيح: "كتاب التوحيد، إلا نسخة أبي محمد المستملي فإن فيها "كتاب التوحيد والرد على الجهمية". ووقع في شرح علي بن خلف بن بطال، **ومحمد بن جعفر بن التين (03:45)** المالكيين، "كتاب الرد على الجهمية". والأصل ترجمة "كتاب التوحيد والرد على الجهمية"، زيادات زادها كتاب النسخ، ليست من وضع أبي عبد الله البخاري. وإن كان كثير من تراجم هذا الكتاب كتاب التوحيد، فيها ردود صريحة وواضحة على مذهب الجهمية نفاة الصفات، كما سيأتي تقريره مفصلاً إن شاء الله. والتوحيد: مصدر وَّحَدَّ يوحد توحيداً. وهو على قواعد أهل السنة، أي التوحيد بالنسبة للعبد المكلف، يجب علينا جميعاً عبادةً مكلفين، أن نوحّد ربنا الخالق \_ جل وعلا \_ بنوعين من التوحيد:

- توحيد في الإثبات والمعرفة،
- وتوحيد في القصد والطلب.

أما توحيد الإثبات والمعرفة، فهو ما يشمل معرفة الله \_ جل وعلا \_ بأفعاله التي تسمى أفعال الربوبية، نعرفه خالقاً، رازقاً، محيياً، مميتاً، مدبراً، لا خالق غيره، ولا رازق غيره، ولا يدبر الأمر إلا هو \_ سبحانه وتعالى \_ ولا يحيي، ولا يميت، ولا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه \_ جل وعلا \_ أفعال الربوبية، وأن ثبت لربنا \_ جل وعلا \_ ما يليق به من نعوت الكمال، وصفات الجلال والجمال، التي درجنا على تسميته بتوحيد الأسماء والصفات، الذي هو الباب الأكبر الأعظم لمعرفة الله؛ لأن كل شيء من الأشياء لا يُعرف إلا باسمه الذي يميزه عن غيره، ولا يُعرف إلا بصفته التي تميزه عن غيره. ولما كان الله \_ جل وعلا \_ هو الواحد الأحد الذي لا نظير له، ولا شبيهه ولا مثيل ولا كفؤ.

كان لا بد أن يكون له من الأسماء الحسنى، ومن النعوت والصفات الدالة على معاني الجمال والجلال والكمال، ما به أعظم التمييز بين الله الخالق \_ سبحانه وتعالى \_ وبين ما سواه من أجناس المخلوقات المربوبات.

فإذا عرفنا الله رباً خالقاً مدبراً، وعرفناه بحقيقة أسمائه وصفاته، حَقَّقْنَا النوع الأول وهو توحيد الإثبات والمعرفة، الذي يفضي بنا ويلزمننا ويوردنا إلى النوع الثاني؛ وهو توحيد القصد والطلب، وهو إذا عرفنا أن الله \_ جل وعلا \_ خالقنا، ورازقنا، وربنا \_ سبحانه وتعالى \_ وهو الواحد الأحد، الأجل الأعظم \_ سبحانه وتعالى \_.

كان من لازم ذلك أن يُتقى، ويُخشى، ويُرجى، ويُعبد، ويُتوجه له، ويقصد بكل أنواع العبادات الظاهرة والباطنة من الأقوال والأعمال على حد سواء، على حد قول الله تعالى في قصة الخليل إبراهيم: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(1)</sup> وقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (14) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِّنْ دُونِهِ﴾<sup>(2)</sup> وقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(3)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾<sup>(4)</sup> فوجب على العباد جميعاً أن يقصدوا ربهم وخالقهم، وهو الله \_ جل وعلا \_ بالتعبد، والتذلل، والإنابة، والخشية، والإخلاص، والمحبة، والخضوع، والركوع، والسجود، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.. وغير ذلك. كل أنواع العبادات قلبية، ومالية، ولفظية، ظاهرة وباطنة، يجب أن يُقصد بها الله. ولا يجوز بحال من الأحوال ولا تحت أي مبرر من المبررات، صرف شيء من ذلك لغيره سبحانه وتعالى.

ومعنى قولنا القصد والطلب، العبد لما كنا جميعاً عباداً فقراء محتاجين، لا غنى لنا عن ربنا وخالقنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، والعبد مفطور مجبول على الفاقة والحاجة والفقر، تحتاج إلى طعام تأكله، وإلى ماء تشربه، وإلى هواء تنفسه، وإلى عني ثوب تلبسه، وإلى بيت تسكنه، وإلى دواء تتداوى به، لا ينفك المخلوق عن الحاجة، والذي لا يحتاج إلى غيره أبداً لغناه الذاتي هو الله \_ سبحانه وتعالى \_ فهو الغني ذاتاً، المستغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه إليه محتاج فقير على حد قول الله \_ جل وعلا \_ في قصة الكليم

(1) الأنعام: 79.

(2) الزمر: 14-15.

(3) الزمر: 66.

(4) البينة: 5

موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾<sup>(1)</sup> وقوله تعالى في فاطر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾<sup>(2)</sup> سبحانه وتعالى.

فلنا مطالب في الحياة هذه وحاجات، ولنا مطالب وحاجات عند الموت، ولنا مطالب وحاجات في البرزخ، ولنا مطالب عظيمة وحاجات في الدار الآخرة، لا يسدّها ولا يجبرها .. فالموفق من العباد من يلقي فقره بربه، ويطلب سدّ حاجاته من خالقه \_ سبحانه وتعالى \_، والشقي المطرود المحروم، من ذهب يلقي فقره وحاجته بفقير مثله، ومخلوق مثله لا يملك له موتاً ولا حياة ولا نشوراً. هذا عين الضلال، وعين الغباء، وعين الجهل، وعين الشقاء.

فلا يجوز في حق من عرف أنه عبد فقير محتاج، لا يمكن أن يستغني طرفة عين وقد عرف ربه الغني \_ سبحانه وتعالى \_ الحميد، أن يذهب يلتفت ولو حتى بالنية، ولو حتى بالرغبة، ولو حتى بالطمع إلى غير الله \_ سبحانه وتعالى \_.

وفي الحديث عند أحمد وغيره، يقول النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_: ((من توكل على شيء سوى الله وكله الله إليه)) فإذا التفت بقلبك في سد حاجة من حوائجك، أو فقر من فقرك، أو طمع من طمعك بغير الله ولو بقلبك، والله اطلاع على أسرارنا وخبايا قلوبنا، فإن أول عقوبة يعاقبنا الله بها أن يتخلى عنا، ويكلنا إلى من التفتنا إليه، وهذا عدل. التفت إلى غير الله، فمن العدل أن يكلك الله إلى من قصده بنيتك، ورغبتك، وقلبك، فضلاً \_ أعوذ بالله \_ قصده بطلبك، وكلامك، وتوجهك لسد فقرك وحاجتك، وجبر كسرك، ورفع يعني أحوالك وأمورك.

إذا التفت إلى غير الله \_ جل وعلا \_ أول عقوبة نعاقب بها أن الله \_ سبحانه وتعالى \_ يرفع عنا مدده، وعونه، وتأيبده، ورزقه، وتوفيقه، ويكلنا إلى من توكلنا عليه. إن كان مالاً، أو سلطاناً، أو أميراً، أو جيهماً، أو وظيفة، أو صحة وقوة، أو عشيرة .. أو غير ذلك من الأسباب التي يعتري بها الناس، ويعني يظنون أنها تمدهم بشيء.

يقول ابن عباس في تفسير قوله تعالى، في قصة الخليل إبراهيم لما ألقاه المشركون في النار، في تفسير

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾<sup>(3)</sup>

(1) القصص: 24

(2) فاطر: 15

(3) آل عمران: 173-174.

يقول هذه الكلمة العظيمة يقول ابن عباس: "حسي" قالها الخليل إبراهيم لما ألقاه قومه في النار، نار عظيمة تحرق الحجارة فما بالك بجسد من لحم وعظام، فعرض له جبريل، فقد رموه بالمنجنيق فقال: ألك حاجة؟ جبريل كبير الملائكة. قال هذا الإمام الموحد إمام الحنفاء: أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم، فجاء العون الإلهي بما لا يخطر على بال ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(1)</sup> وقالها محمد \_ صلى الله عليه وسلم \_ وأصحابه لما جمع لهم الأحزاب في يوم الأحزاب، واضطرب عليهم الحال، وغدر بهم اليهود، وبلغت القلوب الحناجر كما أخبر الله في القرآن العظيم.

فجعل المخذلون من المنافقين يخذلون فيهم، ويقولون لهم إن الناس قد جمعوا لكم، فكيف ستخرجون من هذه الكارثة والحصار هذا، فالمقتلة والإبادة القادمة عليكم، فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، ولم يقتل منهم أحد، ولم يصابوا بأذى، وكفى الله المؤمنين القتال.

وهذه السنّة وهي أن الله \_ جل وعلا \_ إذا اطلع في قلوبنا التفاتاً إلى غيره، فإنه يكلنا إلى من التفتنا إليه، سنة لا تحابي أحداً ولا حتى الأنبياء.

وقصة يوسف \_ صلى الله عليه وسلم \_ في ذلك شاهدة، أن يوسف \_ عليه الصلاة والسلام \_ افتُزي عليه، القصة المشهورة مع امرأة العزيز، وأقاموا شواهد الزور، وحكموا عليه بالسجن ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا رَأُوا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾<sup>(2)</sup> فلما طال عليه الحبس، ومضت السنون تلو بعضها، وخرج أحد رفيقيه في السجن الذين دخلوا معه ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٌ﴾<sup>(3)</sup> ماذا قال يوسف له؟ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾<sup>(4)</sup> "ره" الأولى في قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

طلب يوسف هذا أصح التفاسير في هذه الآية، طلب يوسف من هذا الذي سيخرج من السجن وهو ساقى الملك، ووظيفة الأصلية أنه هو الذي يسقي ملك مصر في ذاك الوقت الخمر، يعني حظوته عند الملك هو الذي يصب له الخمر، فسيسكر الملك يوقع البلد كله يسلم له ممكن، سكران يقودهم... في الليل

(1) الأنبياء: 69.

(2) يوسف: 35.

(3) يوسف: 36.

(4) يوسف: 42.

سكران وفي النهار نائم يحكم الأمم.. فرما كلمة منه ستشفع له عند هذا الملك فيطلق أسره وسراحه:  
﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي عند الملك.

هذا نوع التفات من يوسف \_ عليه الصلاة والسلام \_ إلى هذا السبب المادي، عتب عليه الله فيه، فأنساه الشيطان ذكر ربه الحق الذي لا يجوز أن ينتظر من سواه فرجاً ولا مخرجاً، فعوقب يوسف بأن لبث زيادة على ما كان عليه بضع سنين، حتى يتحرر تماماً ما في قلبه من أي التفات إلى غير ربه وخالقه، فيأتي النجاح الحق. ليس فقط يخرج من السجن، يخرج ويصبح ملكاً حتى، على الأرض وعلى يعني كما نعرف في قصته. فهذه السنة لا تحابي أحداً، ولا تجامل أحداً، وهو مقتضى العدل. هذه أول عقوبة.

العقوبة الثانية: أن الله \_ سبحانه وتعالى \_ لا يعيد إلينا عفوه، وعافيته، وتسديده، إلا إذا محنا من قلوبنا والحكم في ذلك هو، هو المطلع. نحن قد ندعي بألسنتنا ما ليس في قلوبنا، ما أحسننا في الكلام، ممكن كل منا يلقي خطباً رنانة، ويكتب مقالة في التوحيد مثل ما تكلمان الآن ما شاء الله يعني، ولكن الحقائق القلبية لا يدركها على حقيقتها ويعلمها على كنهها إلا الله \_ سبحانه وتعالى \_ لا يعيد إلينا عفوه وعافيته، إلا إذا زال من قلوبنا كل التفات لغيره \_ سبحانه وتعالى \_ عند ذلك يأتيك نصره، وتسديده من حيث لا تحسب، ومن حيث لا ترتجي.

فهذا هو الطلب. فإذا توجهنا إلى الله قصداً، فلا (18:10) ورقة، وعبودية، كسبنا تحقيق مطالبنا، وسد فقرنا وحاجتنا فيما نحن فيه من أسباب هذه الحياة التي نحن فيها، وفيما نحن قادمون عليه من موت، وحياة برزخ في ظلمات القبور، وفي الدار الآخرة وهي طبعاً الامتحان الأكبر والأعظم، الذي لا ينجو منه إلا من أتى الله بقلب سليم، إلا من محبته \_ سبحانه وتعالى \_ وتوحيده. هذان هما نوعا التوحيد الذي يجب أن يحد العبد بما ربه \_ سبحانه وتعالى \_.

نعود، هنا فيه مناسبة من مناسبات الترتيب. نحن مرّ معنا في أول هذا الدرس، أن البخاري \_ رحمه الله \_ افتتح جامعته الصحيح بكتاب الإيمان. نعم سبقه كتاب اسمه "بدء الوحي". وقررنا وقتها أن بدء الوحي يعني كالمقدمة والممهّد للجامع، والكتاب الأول فيه هو "كتاب الإيمان"، وختمه كما اليوم يعني نبتدي وندرس ونقرأ بكتاب التوحيد، وجعله ما بينهما من فروعهما، ومن ثمراتهما، ومن يعني نتائجهما. فلا صحة لصلاة، ولا لعبادة، ولا لجهاد، ولا لأي عمل من الأعمال، إذا لم يكن باعته ودافعه ومنشئه الإيمان بالله \_ سبحانه وتعالى \_ وتوحيده، وطلب مقصوده. فيجب أن نبتدي حياتنا ونختتمها بالإيمان والتوحيد.

والمناسبة الثانية، أن التوحيد من مفردات الإيمان. الإيمان أعم، يشمل فروعاً كثيرة. والتوحيد ما يتعلق بالله \_ سبحانه وتعالى \_؛ لأن أول ركن من أركان الإيمان هو الإيمان بالله. أليس كذلك؟ ثم يأتي الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، والقدر، واليوم الآخر، وما يتفرع عن هذه الأركان من فروع كثيرة. أولها وأجلها وأهمها، الإيمان بالله. كيف نحقق الإيمان بالله؟ بالتوحيد على ما شرحت قبل قليل بنوعيه. أن نوحده الله في أفعال ربوبيته، ونسب إليه ما يستحقه من نعوت الكمال، والجمال، والأسماء الحسنى، وأن نقصده ونتوجه إليه بكل أنواع العبادات، ونطلب سد الحاجة والفقر في الدنيا والآخرة منه وحده لا شريك له. بهذا نكون مؤمنين حقاً بالله \_ سبحانه وتعالى \_ الذي هو أصل الدين كله كما هو معلوم مقرر.

ثم أريد أن أقول أن أغراض الإمام البخاري، أغراض الإمام البخاري \_ رحمه الله \_ من كتاب التوحيد الذي سنبتدئ في تدارسه اليوم، ممكن أن نجعلها في خمسة أغراض أو أهداف:

الغرض الأول: يريد البخاري أن يبين لنا وهو الآن يعني هو يمثل منهج، ومنهج أهل السنة، هذا إمام من أئمة السنة الكبار، يعتد بقوله، وتقديره، وتبويبه، وكلامه في الأمور. وهذا منهج اعتقادي لا يتحمل الخطأ، ولا يتحمل النقص، ولا يتحمل الخلل، ولا يتحمل التردد، ولا يتحمل الشك. الغيبات والإيمانيات ما تتحمل شيئاً من ذلك، أقل شيء يفسدها من تردد، أو شك، أو ريب، أو خلل، أو خطأ، خطأ في الفهم، أو شيء من هذا القبيل، لا تتحمل ذلك أبداً.

والله أخبرنا في القرآن أن التردد والريب من صفات المنافقين، لا من صفات المؤمنين. مثلاً قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾<sup>(1)</sup> في وصف المنافقين. قال الله تعالى مثلاً في المنافقين اللي فيها: لا إلى هؤلاء ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾<sup>(2)</sup> يعني ليسوا مؤمنين حقاً ﴿وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾<sup>(3)</sup> يريدون أن يظهروا أنهم ليسوا بكافرين حقاً وإن كانوا كذلك، تجدهم يعني مذذبين مترددين.

فباب الإيمان والتوحيد، وعموم الاعتقادات ما تتحمل، لا التأخير، ولا حتى الاختيار، ما لك حق الاختيار، تؤمن كما يريد الله، وإلا أراك المرء، ومدلهمات، وعذاب، وعقاب، ما هو فوضى هكذا خلقت الله تأكل مثل الحمار، وتشرب مثل البغل، وتنام مثل الجحش، ما ينفع هذا، هذه حياة بهائم هذه. وراءك أمور وبعث، ونشور، وحساب، وعقاب.

(1) التوبة: 45.

(2) النساء: 143.

(3) النساء: 143.

فأول شيء الاعتقادات، الإيمان التوحيد، الخلل فيه مهلكة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ (1)  
﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ (2) ما تحمل شيئاً من ذلك أبداً.  
ولذلك أهل السنة منهج قضية، ما هو المصدر الذي لا خطأ فيه؟ هو الوحي. مادام الباب هذا لا  
يحتمل الخطأ، ولا يحتمل سوء الفهم، ولا يحتمل التردد، ولا الشك ولا ولا ولا... نحتاج إلى مصدر معصوم  
من الخطأ، ومعصوم من الخلل، ومعصوم من سوء، ولا تجد ذلك إلا في الوحي، في كلام الله \_ جل وعلا  
\_ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد \_ سبحانه وتعالى \_ وفي  
كلام الذي ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ (3) وهو النبي  
محمد \_ صلى الله عليه وسلم \_.

فأهل السنة لما وجدوا أن هذه القضية بهذا الحجم من الخطورة، ولا تحمل ولو جزءاً من الخلل،  
عصموها بأن جعلوها مبنية على المصدر المعصوم. فإذا أحدثنا مصادر أخرى غير معصومة، وغير متفق  
عليها، قطعاً ستجد الخلل في النتائج وارد.

إذا جعلنا عقولنا مثلاً هي التي ستؤسس الغيبيات، وتحدد ما هو الحق والباطل في أمور غير محسوسة  
وغير مدركة، ولا سبيل للحواس البشرية إليها، هل رأيت الله؟ هل تعرف كيف الله \_ سبحانه وتعالى \_؟ ما  
رأيت، ولا يمكن أن تحدد يعني معلماً له هكذا بالتخمين والظن. الملكوت الأعلى إيش يعرفك عنه؟ كيف  
تعرف الملائكة إيش؟ ما أسماؤهم؟ ما أعمالهم؟ كيف تعرف هذا؟ القبر وما فيه، والموت وما بعده هذه كيف  
تعرفها؟ ما فيها مجال للعقول، ولا للاختراعات، ولا للاكتشافات، ولا للاحتمال، ولا للظن، ولا للتخمين،  
ولا للتجربة. نجرب في غيبيات، لو قعدت أربعين سنة على ضلال، ومت على ضلال، هذا ايش تسوي  
بعدين؟ ابعثي مرة ثانية أصحح التجربة؟! ما ينفع هذا الكلام، لا بد ترجعه إلى الأصل المعصوم.  
وإمامنا البخاري \_ رحمه الله \_ لما كان أحد المنهجين لهذا المنهج من أئمة السنة، يعني سيعقد  
تراجمه كما سنقرأ وبينها على الدلائل، على النصوص، على المصدر المعصوم. فدوره هو كإمام كدور غير ه  
من الأئمة. هو مجرد الدلالة على النص، أي الإرشاد إليه، بيان وجه الدلالة من النص لا أقل ولا أكثر. لا  
يخترعون هم من عندهم أحكاماً ونتائج.

(1) النساء: 48.

(2) المائدة: 72.

(3) النجم: 3-5.

المقدمات تبني على الدلائل والأدلة المعصومة، لتخرج النتيجة الحقة، وهي الاعتقاد والحق الصحيح.

هذا هي قاعدة أهل السنة \_ رحمة الله عليهم \_ قديماً، وسلك بنا سبيلهم في باب الدين كله، وباب الاعتقادات من إيمان، وتوحيد، وما يتفرع منهما من باب أولى، وأكد، وأحرى. حتى الأحاديث الضعيفة لا يقبلونها في هذا الباب، ولا حتى المحتملة، لا يبنون إلا على دليل ثبت عندهم صحته. القرآن لا كلام فيه من جهة الثبوت، لكن السنة قد يرد فيها أشياء ضعيفة، لا يقبلونها، ويحققون فيها، ويدققون؛ لأنهم يبنون دين وملة، يعيشون عليها، ويموتون عليها، ويوصون بها غيرهم.

فالإمام البخاري \_ رحمه الله \_ عندما نقول ما هي أغراض البخاري؟ هذا المنهج، يريد أن يدلنا

على منهجية معينة، وتراجمه تقود إليها.

عندنا خمسة تقريباً أهداف كبرى أساسية، يريد أن يقدمها لنا، ويوصلنا إليها هذا الإمام المبارك أبو عبد الله البخاري، من خلال كتابه "الجامع الصحيح" كله. وقد مررنا بعدة كتب من كتبه، ومن خلال هذا الكتاب المهم العظيم الجليل "كتاب التوحيد".

الغرض الأول: بيان أهمية التوحيد، وأنه أول ما يجب علينا من الواجبات اتجاه ربنا. هذه قاعدة

أصلية عند أهل السنة. الله ما خلقنا، ولا أوجدنا، ولا ركب فينا العقول، ولا السمع، والأبصار، إلا لنوحده، ونعبده وحده لا شريك له. فإذا فات هذا الغرض وهذا الهدف، أصبح وجودنا عبثاً، نوعاً من العبث لا معنى له، وأصبح عقولنا وما نتمتع به من سمع وبصر في عبث، في ضلال، في ضياع، لا معنى له ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(1)</sup>.

وسيتضح هذا الغرض من أول ترجمة في "الجامع الصحيح"، أن أهمية التوحيد توحيد الله بأقسامه وفروعه التي تحدثت عنها قبل قليل، وأنه أول ما يجب لله علينا. لا معنى لا لصلاة، ولا لصيام، ولا لتفاصيل فقهيات، ولا.. إذا اختل هذا الأصل، لا معنى له. إذا اختل الأصل، ما معنى أن تبحث في الفروع وفي...؟ ما معنى ذلك؟! معناه كالذي يأتي يبنى داراً لا يضع لها أسساً، فيذهب ينقش فيها بالمنظر الجميلة، ما تلبث أن تنهار على رأسه، ونقوشه ورتوشه. الأصل، قاعدة، دين، إيمان، توحيد، أول ما يجب لله علينا. ولذلك دارت دعوات الرسل جميعاً على هذا الأصل المحوري كما سيأتي في أول ترجمة، وأول حديث، وهو حديث معاذ الذي سنتحدث عنه بعد قليل.

(1) الذاريات: 56.

الغرض الثاني: تفصيل القول في باب أسماء الله وصفاته. وهذا هو السبب الذي جعل البعض نساخ

الصحيح يدخل في عنوان هذا الكتاب الرد على الجهمية؛ لأن الجهمية فرقة عُرِفَتْ بنفي صفات الله وتعطيلها، سواء الصفات الذاتية، أو الفعلية، أو الاختيارية أو غيرها، بما يؤدي أن الله في اعتقادهم عدم لا شيء؛ لأن العقلاء كل العقلاء وأنتم منهم، يعلمون أن أي شيء من الأشياء، أي شيء من الأشياء تقدره موجوداً ووجوده ثابت، لا بد له من صفة تميزه عن غيره واسم يدل عليه؛ لأن العقلاء جميعاً يقولون الشيء الذي يُفترض أنه شيء، الذي لا صفة له تميزه عن غيره، ولا اسم يدل عليه هو لا شيء في الحقيقة، هو العدم. العدم هو الذي لا صفة له ولا اسم له؛ لأنه لا شيء. أما شيء موجود، ووجوده ثابت حقيقي، لا بد له من صفات تميزه عن غيره، وأسماء تدل عليه. هذه قاعدة عقلية لا ينازع فيها إلا مجنون.

وهذا معنى قول الأئمة كابن المبارك وغيره لما يقولون: كلام الجهمية يدور على أنه ليس في السماء إله يُعبد. لو سلمنا لهم أن الله هكذا لا يعلم، ولا يسمع، ولا يبصر، ولا ولا... يسلبون عن الله الصفات، في النهاية ما فيه شيء اسمه الله، ليس في السماء إله يعبد. كيف الله؟ لا شيء، هذه الحقيقة، هذا منتهى التعطيل أعوذ بالله منه. هذا ما انتهى منه غلاة الملاحدة الذين ينكرون وجود خالق أصلاً للعالم وموجد لهذا الكون.

وقاعدة عقلية ثانية، أن كل شيء من الأشياء إنما شرفه وقيمته بما له من النعوت والصفات. فكلما كان الشيء شريفاً وجليل، كلما كثرت نعوته، وتنوعت كمالاته. أليس كذلك؟ والشيء التافه الحقير هو الذي يعني يدوب صفة ولا صفتين وخلاص. شوف مثلاً قارن بين السيف وبين العصا كما قال الشاعر:

ألا ترى أن السيف .....

السيف تستطيع أن تنعته بنعوت متنوعة: باعتبار شكله، ووظائفه، وتعلق النفوس والقلوب به،

وحسن منظره في العيون، وفعله في الحروب، ولذلك كثر كلام الشعراء فيه، وتنوعت أسماؤه. كم اسم

للسيف؟ كثير جداً، لكن العصا: عصا، خشبية، عود، وخلاص ما عاد فيه شيء ثاني، ما فيه مقارنة.

فبقدر عظمة الشيء، بقدر ما تكثر وتنوع صفاته. النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ لما كان أشرف

البشر \_ عليه الصلاة والسلام \_ وأكملهم، كان له من الصفات ما ليس لغيره. أليس كذلك؟ وله من

الأسماء ما ليس لغيره أليس كذلك؟ تميزاً؛ لأنه متميز فعلاً. فلو كان كغيره يستوي بضع صفات، ما كان له

(32:30)

من الشرف والمقام ما هو له فعلاً وهو مخلوق بشر. فالله \_ جل وعلا \_ هو أجل الأشياء وأعظمها سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾<sup>(1)</sup> سبحانه وتعالى.

ونحن نقول في صلاتنا وأذاننا "الله أكبر". كل كبيرة تقدرها، الله أكبر منها. فلما كان الله أجل الأشياء وأعظمه، كان لا بد عقلاً ونقلاً أن يكون له من النعوت، والصفات، والأسماء العظيمة المتنوعة التي لا تدخل تحت حصر، كما أن كمالاته لا تدخل تحت حصر، ما يكون به أعظم التمييز بين الله الخالق والعباد المخلوقين المرغوبين. إذن فدور الأسماء والصفات عموماً لأنه بهذه الأهمية، كان له نصيب وافر من تراجم الإمام البخاري في هذا الكتاب كتاب التوحيد.

غرض ثالث: لما كانت مسألة الكلام، صفة الكلام بالنسبة لله \_ سبحانه وتعالى \_ مسألة عظيمة، حدثت فيها مخاضة فكرية وعلمية فيما مضى ولا يزال، مع أرباب البدع وأهل الكلام من أيام الإمام أحمد وما قبل ذلك، وأصبحت مسألة الكلام محورية ينبنى عليها ضلال عظيم إذا أُخطيء فهمها، وينبنى عليها هدى كبير إذا أُحسن فهمها، وينبنى عليها مسألة القرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق. وأنت تعرف يعني الخضم الكبير الذي دخله أهل السنّة في هذه المسألة، وسيأتي لنا باب تفصل القول فيها إن شاء الله تفصيلاً. أراد البخاري أن يدلي بدلوه في تحقيق مقاصد ما دلت عليه نصوص الوحي فيما يتعلق بصفة الكلام لله \_ جل وعلا \_ ومسألة القرآن على وجه الخصوص، فعقد لها بضعة تراجم؛ بل أكثر من ذلك. بفهمها يفهم مذهب أهل السنّة في صفة الكلام ومسألة القرآن.

فباعتبار أهميتها، وخطورتها في نفس الوقت، وما حصل فيها من خلل قديماً وحديثاً، أفرد لها البخاري مجموعة أبواب ضمن هذا الكتاب كتاب التوحيد.

الغرض الرابع: البحث في نوع معين من الصفات اصطلاح على تسميتهم الصفات الاختيارية، الصفات الاختيارية بالنسبة لله. من صفات الله المتصف بها ربنا \_ جل وعلا \_ صفات يسميها العلماء اصطلاحاً للتمييز والتعليم: الصفات الاختيارية. وسموها بهذا الاسم؛ لأنها صفات من توابع المشيئة كالغضب، يغضب الله على من يشاء وللا لا؟

ويرضى على من يشاء، يغضب في وقت دون وقت، يغضب على قوم دون قوم، ويرضى في وقت دون الوقت، ويرضى عن قوم دون قوم، هذا يرجع إلى مشيئته وعلمه في خليقته سبحانه وتعالى. أما قال الأنبياء جميعاً أو سيقول الأنبياء جميعاً يوم القيامة عندما يفزع إليهم البشر في الكرب الأعظم، ويوم النشر

(1) الأنعام: 19.

والحشر الكبير، والشمس قريبة، حديث الشفاعة المشهور، يأتون إلى آدم ونوح وإبراهيم اشفعوا لنا عند ربنا حتى يريحنا من هذا المقام. فماذا يقول الأنبياء؟

كل واحد يقول إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله. والغضب متفاوت، ويقع في وقت دون وقت. الغضب، والرضا، والفرح، وعلى الصحيح الخلق، وعلى الصحيح صفة الكلام وغيرها، لها تعلق بالمشيئة، ولذلك وقع فيها نزاع فكري كبير جداً، وخلل عظيم سنتطرق إليه بتفصيل إن شاء الله. ويظهر مذهب أهل السنة بقواعده عندما نأتي لهذه المسألة في مجموعة أبواب أفردها البخاري في مسألة الصفات الفعلية الاختيارية.

والغرض الأخير الخامس: مسألة أفعال العباد. هي مسألة كبيرة وارتباطها بالصفات الاختيارية لا يمكن فصله. أفعالنا الصادرة منا نحن العباد وقع فيها خلل عظيم. هي من جهة تتصل باب القدر؛ لأن الله خلقنا وقدر المقادير. أليس كذلك؟ هذا اعتقادنا أن الله قدر كل شيء. كل فعل يصدر من كل فاعل، مقدر عند الله، أراد الله وكتبه، وخلقنا وخلق أفعالنا \_ سبحانه وتعالى \_.

هذه قاعدة عند أهل السنة عظيمة في باب القدر. ومن جهة \_ هذا وجه إدخالها في كتاب التوحيد

\_ ومن جهة تعلق الصفات الاختيارية. وقلنا من الصفات صفة الخلق والمخلوقات على نوعين: أعيان، وأفعال. الإنسان ما هو؟ الإنسان عين يعني ذات، أو جسد إن شئت، أو بدن أو جسم، وحركات، وأفعال. النظر، والسمع، والكلام، والبصر، والمشى، والكتابة، والقراءة، أفعال تصدر منك، هذا ما يميزك عن الجماد، أنك متحرك بإرادة عندك. فالله خالقك، وخالق إرادتي، وخالق قدرتي، وبالتالي بالضرورة خالق فعلي الصادر مني. هذه فيها منزع للمعتزلة في نفي الأفعال.

أراد البخاري أن يحسم المسألة أيضاً بناءً على القواعد المعتمدة عند أهل السنة، مبنية على دلائل النصوص في هذا الكتاب كتاب التوحيد. وإن كان الإمام البخاري لعظيم خطورة مسألة أفعال العباد وما يتصل بها، أفردها بكتاب مستقل، تعرفون اسمه "كتاب خلق أفعال العباد" من كتب الإمام البخاري غير "الصحيح". لكن أدخل في كتاب التوحيد جملة أبواب تحقق المقصود والحمد لله ربنا.

هذه هي الخمسة أهداف الكبرى المحورية التي سيدور عليها بحثنا مع إمامنا البخاري في تراجمه،

وترتيب أحاديث هذا الكتاب كتاب التوحيد من الجامع الصحيح. قرأت الباب؟

قال في أول ترجمة: (باب) يقول الإمام البخاري: **(بَاب مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ)** بالهمزة.

**(النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتُهُ)** بالنصب، مفعول به للمصدر.

(إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى) هكذا في أغلب نسخ الجامع الصحيح، إلا نسخة حماد بن شاکر

فرق طفيف: (بَاب مَا جَاءَ فِي دُعَايِ) بالتاء والمعنى واحد.

في هذا الباب يحقق المقصود الأول. لما قلنا أن دعوات الرسل تدور على محور واحد وهو محور ماذا يفعل الرسل؟ بماذا بعثوا؟ إلى ماذا يدعون أقوامهم؟ من آدم ونوح إلى الخاتم محمد \_ صلى الله عليه وسلم \_ . يدعونهم إلى هدف واحد أكبر أعظم ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>(1)</sup> هذا ما أخبرنا به القرآن عن الرسل ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>(2)</sup> ﴿وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾<sup>(3)</sup> ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾<sup>(4)</sup> هكذا.

فكل الأنبياء يأتون إلى هذه الأقوام بهذه الدعوة الأصلية المحورية، التي لا معنى للبحث في غيرها إذا لم يُسلم بها، ويخضع العباد لها، ويستجيبوا إلى مقتضاها الذي جاءت به رسلهم، كما سيؤكد أوليات ذلك النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن كما سنقرأ في الحديث. ولذلك يقول أهل السنة أن توحيد الله \_ جل وعلا \_ وإفراده بالعبادة، هو أول اجب على العباد، كما أنه هو أول دعوات الرسل إلى أقوامهم؛ بل إن الرسل لم يبحثوا مع أقوامهم أي دعوى أخرى، في كثير من دعوات الرسل؛ لأنهم ما حققوا هذه أصلاً، عصوا كذبوا فما معنى أن يدعوهم إلى أمور أخرى وقد رفضوا أصل الأمور كلها، وعمدته، وقطب رحاها وهو توحيد الله سبحانه وتعالى؟! فالنبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وهو النبي الخاتم المقفي، الذي قفى الله به سلسلة الرسل، وختم به سلسلة الأنبياء \_ عليهم جميعاً الصلاة والسلام \_ ليس بدعاً من الرسل \_ عليه الصلاة والسلام \_ ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾<sup>(5)</sup> فكان أول ما دعا الخلق جميعاً إليه هذه الكلمة الأولى ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ

(1) الأعراف: 59.

(2) الأعراف: 59.

(3) الأعراف: 65.

(4) الأعراف: 73.

(5) الأحقاف: 9.

**﴿مَنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾** <sup>(1)</sup> لما قام على جبل الصفا لما نزل قوله تعالى: **﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾** <sup>(2)</sup> بماذا صدع؟ قام على الجبل.. القصة المشهورة.

فدعا بطون قريش، يا بني فلان اجتمعوا إليه، وثاروا إليه من نواديهم، كل قلبية على ناديها، لو أخبرتكم أن خيلاً خلف هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أمصدي كنتم؟ قالوا نعم ما جرينا عليك كذباً، قال فإني أدعوكم إلى كلمة تملكون بها العرب، وتسودون العجم، وتفلقون وتفوزون في الدار الآخرة وتنجون ما هي؟ قال: **﴿قولوا لا إله إلا الله تفلحوا﴾** <sup>(3)</sup> فيعني تساحروا، وتضاحكوا، وتواصوا بما توأصى به الكفار قبلهم بقولهم كما سجل عليهم القرآن: **﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾** (5) **﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾** <sup>(4)</sup> شيء عجاب، عندهم سبعمائة إله ويريد يلغيها ويخلي واحد، إيش هذا؟ تخفيضات عمرها ما صارت هذه، فرفضوها بسخرية واستهزاء.

فالنبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ دعا إلى ما دعا إليه من قبله. حتى لم راسل ملوك الأرض مثل هرقل ملك الروم، وكسرى ملك الفرس، والمنذر بن ساوى على البحرين، والمقوقس على مصر، والآخر على الحبشة، راسل ملوك الأرض يدعوهم. ماذا كان مضمون رسائله \_ عليه الصلاة والسلام \_؟ ميثاق حقوق الإنسان، ولا توقيع معاهدة التعاون المشترك في استيراد البصل، ولا الموز، ولا ما أعرف مين؟! الناس تأكل على كل حال، ما أنت جوعان. إذا ما أكلت موز ما هي مشكلة. معاهدات، وتوقيع، وحفلة كبرى لاستيراد موز وبطاطس. طيب أين "اعبدوا الله ما لكم من إله غيره"؟ متى هذه توقعوا معاهداتها؟ ما هذا؟ إلى أن نسلك مسلك الأنبياء والمرسلين، ونتبع منهجهم وسنتهم. أليس كذلك؟ إلى هرقل أرسل: **﴿أسلم تسلم﴾** <sup>(5)</sup> **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾** <sup>(6)</sup> ما هي؟ **﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾** <sup>(7)</sup>.

(1) الأعراف: 73.

(2) الحجر: 94.

(3) الدارقطني في سننه ج 3 / ص 45 حديث رقم: 186.

(4) ص: 5-6.

(5) البخاري في الأدب المفرد ج 1 / ص 380 حديث رقم: 1109.

(6) آل عمران: 64.

(7) آل عمران: 64.

نفس الكلمة إلى هذا وإلى هذا وإلى هذا **﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾** (1) فدعاء النبي أمته إلى التوحيد هو نفس دعوة نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وصالح، وشعيب، وتلك الكوكبة المنيرة من أنبياء الله ورسله \_ عليهم الصلاة والسلام \_ الذين أناروا التاريخ البشري بدعوتهم. ولولا دعوتهم لأصبحت حياة البشر ظلام **﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾** (2) بالتوحيد، ونور الإيمان، والخير هذا العظيم الذي يحاربه الناس كلهم الآن ما أدري ليش؟ ما يريدون خير أعوذ بالله من الشيطان.

إذن هذا هو أصل هذا الباب، ومقصوده، وأورد الأحاديث الأربعة هذه التي تدل على هذا

المقصود.

قرأ القارئ فقال: **(حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ)** هو النبيل، النبيل أحد كبار شيوخ البخاري، كنيته أبو عاصم، ولقبه النبيل، واسمه الضحاك بن مخلد الشيباني، إمام عظيم جليل، أحد من يروي عنه البخاري الثلاثيات في الصحيح.

قال: **(حَدَّثَنَا زَكْرِيَاءُ بْنُ إِسْحَاقَ)** المكي، ثقة، عابد من الطبقة السادسة، أخرج له الجماعة كلهم.

**(عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ)** بن محمد بن يحيى

**(بْنِ صَيْفِيٍّ)** أيضاً المكي. ثقة، عابد، أيضاً مكي.

**(عَنْ أَبِي مَعْبُدٍ)** هذا أبو معبد مولى ابن عباس، اسمه نافذ بالذال. نافذ أبو معبد، مولى ابن عباس،

ثقة إمام، مكي أيضاً كان يوصف بالفقه.

**(عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ)** عبد الله بن عباس الصحابي المشهور.

السند مكي كما تسمعون إلا أبو عاصم فهو بصري. حتى ابن عباس مكي عاش حياته كلها في

مكة كما نعرف.

**(أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ)** ثم أوقف البخاري الرواية وانتقل إلى سند

آخر فقال: **(وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ)** اسمه الحقيقي عبد الله بن محمد بن أبي الأسود، بصري

يكنى أبا بكر.

قال: **(حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ الْعَلَاءِ)** أبو العباس كوفي.

(1) الأحقاف: 9.

(2) الأنعام: 122.

قال: **(حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمِيَّةَ)** ابن عمرو بن سعيد بن العاص، أموي، إمام مشهور، لم يخرج له

من الستة إلا البخاري والنسائي.

**(عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ صَيْفِيٍّ)** السابق.

**(أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا مَعْبُدٍ)** قد يقول قائل لماذا ترك البخاري السند الأول وأردفه بهذا السند الثاني، مع أننا

نلاحظ أن في السند الثاني نزولاً وانخفاضاً عن السند الأول من جهتين: من جهة أن السند الأول أعلى، فلو تلاحظ بين البخاري وبين ابن عباس، في السند الأول أربعة رجال ليس كذلك؟ أبو عاصم، وزكرياء، ويحيى بن صيفي، وأبو معبد.

بينما في السند الثاني ازداد العدد فصاروا كم؟ خمسة: عبد الله بن أبي الأسود، والفضل، وإسماعيل،

ويحيى، وأبو معبد. فهذا نزول، يسمى في علم الاصطلاح يسمى نزول. والأئمة يطلبون العلو، ولا ينخفضون في الأسانيد إلى لغرض مهم. والانخفاض الآخر في السند الثاني أضعف، أضعف من السند الأول لوجود إسماعيل بن أمية، هذا بعضهم تكلم فيه.

وعذر البخاري في أنه ترك السند الأول، وعطف إلى السند الثاني مع ما فيه من نزول من جهة

الطبقة نزل طبقة، وانخفاض حتى في قوة السند عن الأول، لسبب واحد وهو أنه فيه التصريح (السند الثاني) فيه التصريح بسماع يحيى بن عبد الله بن صيفي لهذا الحديث من أبي معبد كما تسمعون عن يحيى أنه سمع أبا معبد؛ بينما في السند الأول قال: (عن أبي معبد).

ولما كان ابن صيفي هذا، ليس من مقاصد البخاري في الصحيح، ولم يخرج له إلا في موضع واحد أو

موضعين، وليس الاعتماد عليه كثيراً؛ لأن الحديث مروى في مواضع أخرى في الصحيح عن غيره، انخفض البخاري لأنه هنا صرح بالسماع. وقد علمنا أن البخاري يطلب في أسانيد في "الجامع الصحيح" ما يثبت السماع ما وجد إلى ذلك سبيلاً، ولو كان السند حتى والرجال ثقات. وهذا هو الذي دفعه، ها الغرض الذي دفعه للنزول طبقة، والنزول حتى في ثقة الرواة. فهتمت هذا؟

أبو معبد مولى ابن عباس يقول: **(سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

**مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ)** الحقيقة أن النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ بعث معاذ بن جبل قبيل

حجة الوداع، في السنة التاسعة من الهجرة، وبعث معه رفيقه أبا موسى الأشعري. قد مر معنا هذا في

"كتاب العلم". بعث أبا موسى، ومعاذ بن جبل معاً إلى اليمن، سنة تسع قبيل حجة الوداع. ماذا بعثهم

يصنعان في اليمن؟ يدعون، ويعلمان، ويحكمان، ويقضيان، ويصليان بأهل اليمن.

كان اليمن إذ ذاك على مخالفين يعني منطقتين: مخلاف الجند وما حوله، وكان معاذ هو القائم به ويعني المستقر فيه، والقائم بما فيه من دعوة أهله وتعليمهم. وأبو موسى مسئول عن ما انخفض عن ذلك من السفوح والجبال، وهو بقية مخلاف اليمن، كلا الرجلين.

ولما حج النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ حجة الوداع، وافيأه في مكة، وشاركاه حجته. فهذا البعث لمعاذ إلى اليمن في هذا الوقت من السنة التاسعة، لما بعثه مع أبي موسى الأشعري إلى أهل اليمن، يعني يعلمان أهل اليمن ويقضيان فيهم.

قد قلت غير مرة أن اليمن كالمدينة أسلمت رغبة لا رهبة، لم يوجف عليها الصحابة ولا النبي لا بخيل ولا ركاب، ما عُزيت اليمن قط، مباركة هذه الأرض، أسلمت طوعاً. وبعض الأرض يغزونها ويرتدون، ويغزون فيهم ويرجعون يكفرون، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بالسلاسل يجرونهم هكذا. يوزع الله فضائله على الخلق كما يشاء. أسلموا رغبة في القصة المشهورة.

كانت اليمن يحكمها الحبشة، أبرهة وقومه حتى أجلاهم العرب، سيف بن ذي يزن ومن معهم بمعاونة الفرس؛ لأن سيف بن ذي يزن استعان بالفرس وطلب معونتهم لإجلاء الحبشة من اليمن، وأعانوه الفرس بجيش، وأجلوا أبرهة ومن معه، واستوطن الفرس اليمن، وأصبحت بحكم هذه المعونة العسكرية تابعة يعني، هذا في الجاهلية مثل ما يسمونها يعني خاضعة للنفوذ الفارسي، ليس يعني حكم مباشر، لكن نفوذ يعني ما يريده الفرس في اليمن يحصل.

فلما بعث النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ كتابه المشهور إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام، في السنة السادسة من الهجرة، فمزق الكتاب كسرى، وكبر عليه أن رجلاً من العرب، والعرب كانوا في ذلك الوقت ما لهم قيمة، ولا لهم.. ما هم مذكورين لا في غير ولا في نفي مثل الآن

وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيْبُ تَيْمٌ وَلَا يُسْتَأْمَرُونَ وَهُمْ شُهُودٌ

حتى شهود ما فيه، ناس عندهم فيتو وناس أربعين سنة ولا عندهم ربع فيتو! إما أن تكون رجلاً كالرجال، ولا روح وبلاش هذا مشروع قرار وصدور ورجع، وكلام فاضي لا معنى له. كانوا هكذا العرب. فلما جاء الكتاب مزقه، وكبر عليه وهو ملك وريث أسرة آل ساسان يحكمون بلاد فارس من ألفين وخمسمائة سنة، أن تأتيه كتاب على جلد على جلد شاة ((أسلم تسلم)) إيش أسلم تسلم هذه؟ مزقه وأرسل إلى عامله على اليمن فقال له أرسل رجلين، أرسل شرطيين إلى يثرب إلى هذا الذي يزعم أنه نبي،

فيأتوني به، اثنين شرطي يروحون يجيبون مخفور. هذا ما يعرف الأنبياء والرسل، ما يفهم. فلما جاء الكتاب إلى عامله، أرسل رجلين العريف فلان، والرقيب فلان يأتون به.

فلما أتوا إلى المدينة هو يعني وقابلوا النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وكانوا قد حلقوا لحاهم، القصة المشهورة. قال من أمركم أن تحلقوا؟ قالوا ربنا، على سنة ملوكهم. قال: أما أنا فربي أمرني أن أعفي لحيتي النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ قال من بعثكم؟ قالوا ربنا، كسرى بعثنا نأتي قال من ربكما؟ قالوا كسرى. قال إن ربكما مات البارحة، وفي تلك الليلة فعلاً قُتل كسرى، عدى عليه ابنه أبرويز بجمع بطنه، كان مريض بالصرع، كان يصرع كل يوم مرتين ثلاث هذا يموت. وهذا ينبغي يملك بعده، فعدا عليه في الليل بقر بطنه ورماه في الشارع، قال أنا الملك، هذا ربهما. **((إن ربكما قتل البارحة))** <sup>(1)</sup> فرجع إلى اليمن، فوجدوا الخبر على ما أخبر النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ فأسلمت اليمن.

قال: **(قَالَ لَهُ إِنَّكَ تَقْدَمُ)** هذا ضبط مهم جداً تَقْدَمُ بفتح الدال. مصدر قَدِمَ يَقْدَمُ أي أقبل، قدم الرجل بمعنى أقبل. لكن لو قلت يَقْدِمُ بمعنى يتقدم، يقدم الركب أي يمشي أمامه، يقدم الإمام يعني يتقدم للصلاة بالناس. لكن يَقْدَمُ أي يقدم، فرق بين المعنيين. الرسم واحد والنطق مختلف يَقْدَمُ أو يَقْدِمُ. إذا قلت يَقْدَمُ بمعنى.. لذلك النبي قال إنك تَقْدَمُ أي تقبل، وتأتي إلى قوم أهل كتاب. لكن إذا قلت يَقْدِمُ بمعنى يتقدم وليست مرادة هنا.

**(عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)** المقصود بهم من بقي من اليهود؛ لأن اليمن في فترة من الفترات

تَهَوَّدت يعني صار فيها يهود كثير. وسبب تهود اليمن قصة مشهورة ذكرها ابن إسحاق في السيرة.

لما تُبِعَ الملك اليماني خرج في بعض غزوه، فمر على يثرب المدينة، فعدى بعض من كان فيها من

الأوس والخزرج على بعض يعني حرسه، وبعض رواحله، فقتلوا ونهبوا، قديماً كان في الجاهلية، فغضب تُبِعَ،

وهم أن يغزو يثرب ويقتل من فيها. وكان في المدينة يهود كما تعرفون، بنو قريضة وكذا، وكان فيهم راهبان

يهوديان، أحدهما اسمه شَقْ بفتح الشين، والآخر اسمه سطيح.

قصة شق وسطيح مترجمة في السيرة راجعوها. فأتوه تَبِعَ قالوا لا تفعل، لا تغزو هذه البلاد؛ لأن هذه

أرض سبيعت فيها نبي من آخر الزمان، وسيكون من شأنه كذا، ومن أمره كذا، ومن فعله كذا، ولا نراك

غزوها، وأعجب تبعاً كلام هذان الحبرين، وحتى أنه صحبهما معه إلى اليمن، وابتدأت دعوة اليهود في اليمن

(1) ابن حنبل في مسنده ج 5 / ص 43 حديث رقم: 20455.

عن طريق شق وسطيح، فتهوّد كثير ممن كان في اليمن. وأما التنصر في اليمن فكان من فعل الحبشة لما غزو اليمن وملكوها، فتنصر أيضاً من فيهم.

بعد ذلك لم يبقَ في اليمن من النصارى أحد إلا طائفتان في نجران، وهم الذين وفدوا على النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وفد نصارى نجران وبعض اليهود، الذين الآن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ يبعث إليهم أو يوصي معاذاً إذا لقيهم كيف يتعامل قي دعوتهم والبيان لهم.

طيب، نضع نقطة عند هذا المفصل. وإن شاء الله الدرس القادم نكمل. ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا الصواب فيما نقول ونسمع والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.



## الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

في أول أحاديث "باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى"، وهو أول باب في كتاب التوحيد من الجامع الصحيح للإمام البخاري، حديث ابن عباس يقول لما بعث النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ معاذاً نحو اليمن قال له: **(إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ)** عرفنا ما يتعلق بهذا في الدرس السابق.

قال: **(فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُؤَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى)** هكذا في هذه الرواية، الحديث جاء أيضاً في كتاب التفسير بلفظ: **(فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله)**<sup>(1)</sup> أيضاً في رواية أخرى: **(فليكن أول ما تدعوهم إليهم أن يعبدوا الله وحده لا شريك له)**<sup>(2)</sup>.

وهذه الألفاظ تدل على معنى واحد، وهو أن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ يوجه معاذاً \_ رضي الله عنه \_ في دعوته من في اليمن من أهل الكتاب، إلى أن يكون أول ما يدعوهم إليه هو توحيد الله تبارك وتعالى، الذي هو عبادته وحده لا شريك له، وبداية ذلك أن يعلنوا الشهادتين، أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وبهذا انعقد إجماع علماء أهل السنة، على أن أول واجب يجب على العبد المكلف لله تعالى هو الشهادتان، أول واجب هو الشهادتان أن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن يشهد أن محمداً عبد الله ورسوله \_ عليه الصلاة والسلام \_.

بهذه الشهادتين يسلم الكافر، ويحقن الدم، وتلزم أحكام الإسلام، وإظهارها يكون العبد قد حقق أول ما يجب عليه لله سبحانه وتعالى.

فبداية توحيد الله وبابه وأصله وعنوانه، هو الشهادتان، ولذلك انعقد الإجماع كما قلت على أن أول واجب على العبد المكلف الشهادتان. ولا حاجة للبحث الطويل، الذي نقله الحافظ هنا عن بعض أرباب الكلام والفلسفة، الذين حولوا المسألة إلى مسألة بحث عقلي. فمنهم من جعل أول واجب إقامة الأدلة والبراهين العقلية المجردة، الدالة على أن هذا العالم صدر من معلول أول، أو خالق أول، أو موجد أول. فإذا

(1) الدارقطني في سننه ج 2 / ص 136 حديث رقم: 4.

(2) الطبراني في معجمه الأوسط ج 3 / ص 158 حديث رقم: 2789.

أقيمت الأدلة والبراهين على ذلك، نكون قد حققنا أول واجب. وهذه قضية مفطور عليها لا أقول البشر فقط؛ بل الخلق كلهم. كل من سوى الله من المخلوقات، حتى ما نسميه الجمادات، كالجبال، والبحار، والأشجار، والأنهار، والأطيار وغيرها، كلها مركز في فطرها مغروس في دواخلها أنها مخلوقة مريوبة والله خالقها وربها \_ سبحانه وتعالى \_ ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾<sup>(1)</sup> ولولا ما يغشى هذه الفطرة من الشبهات والشكوك التي تولدها الآثام والذنوب، وإرخاء السمع والبصر والقلب لوساوس الشياطين، من شياطين الجن والإنس، وما يغيث على القلوب من أضرار وأوساخ الآثام والفجور والمعاصي وأمثالها، لما يعني عرفت إلا خالقها، ولا طلبت إلا ربها، ولا عبدت إلا مولاها سبحانه وتعالى. يصدق ذلك قول النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ : ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم الذين تجدعونها))<sup>(2)</sup>. إذا ولدت البهيمة جفراً أو تيساً أو كذا، يولد كامل الحلقة جميلاً، فيأتي صاحب الغنم يقطع الأذن أو يسمه بميزة معينة أو كذا، فيغير في شكله وخلقه الجمعية التي ولد عليها. فلولا هذه الطوارئ التي تطرأ على قلوب الخلق، ما عرفوا إلا الله وما عبدوا إلا غيره.

وفي حديث مسلم عن عياض بن حمار المجاشعي \_ رضي الله عنه \_ قال: قال النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى يقول جل وعلا: ((إني خلقت عبادي حنفاء كلهم)) صيغة تعميم على الخلق: ((إني خلقت عبادي حنفاء))<sup>(3)</sup> كلهم حنفاء، أي مؤمنين موحدون مغروس في فطرتهم أن الله ربهم وخالقهم ((وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً))<sup>(4)</sup>.

فلولا هذه الصوارف من الشياطين ونحوها، فلا هناك حاجة لاستفراغ الأذهان والجهود في إقامة براهين عقلية نظرية، أكثرها معقد لا يفهم، وما فهم لا يؤدي إلى المقصود، لتحصيل قضية هي فطرية مغروزة في الفطر؛ لأننا ربما قلنا هذا الكلام سابقاً، لما تحدثنا عن ما يسمى بالتسلسل.

الخلق الموجود لا بد له من أصول نتج عنها، يعني أنا وأنت أخرجنا من آباءنا وأمهاتنا، وهم خرجوا من آبائهم وأمهاتهم، إلى متى؟ إلى البشري الأول آدم، وآدم من تراب، والتراب أنشأه الله من العدم، ننتهي

(1) الروم: 30.

(2) الطيالسي في مسنده ج 1 / ص 311 حديث رقم: 2359.

(3) مسند أحمد: ج 4/ص 162 ح 17519.

(4) مسند أحمد: ج 4/ص 162 ح 17519.

إلى ما يسمونه بالمخلوقات الأولية التي أنشأها الخالق من العدم المحض. قيل خمسة وقيل أكثر: النار، والماء، والهواء، والتراب.. ومنها ركب الله بقية.. فلا بد تنتهي إلى موجد أووجد، وخالق خلق، هذا الموجد وهذا الخالق خارج عن هذه القسمة، ليس له أصل صدر عنه؛ ولذلك من حسن فهم البخاري، سيدخل في هذا الباب ما يتعلق بسورة "قل هو الله أحد" التي فيها أن الله لم يلد ولم يولد، أي لم يخرج من أصل سابق، ولا يلحقه فرع لاحق، هو الواحد الأحد سبحانه وتعالى. ما صدر من شيء قبله كما نصدر نحن، الأول، الأحد، الخالق.

لو فرضنا هذا حتى عقلاً، فإن هذا يقتضي طيب الخالق هذا إذا كان صدر من شيء قبله، ما هو هذا الشيء؟؟ وذلك الشيء يقتضي أن يكون صدر من شيء قبله، هذا يقتضي فتح باب التسلسل الذهني إلى ما لا نهاية، وهذا لا تقبله العقول أبداً. لا بد تنتهي إلى شيء عنه صدر كل شيء، وهذا الشيء لا يجوز أن يكون صادراً عن غيره، بمعنى وجوده ذاتي لم يستفده من غيره، كما نصت على آية **﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾**<sup>(1)</sup> بأوضح عبارة تحقق المقصود وهو الله الأول \_ سبحانه وتعالى \_ ((**كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السماوات والأرض**))<sup>(2)</sup> كما في حديث عمران بن حصين عن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_.

وقال تعالى في سورة النجم الآية العظيمة المشهورة **﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾**<sup>(3)</sup> طرف الزمان، الزمان الذي نعيشه لا بد له طرف قديم ماضي وللا لا؟ وطرف قادم لم يأت بعد. كل الموجودات يحصرها الزمان. بمعنى كل شيء سوى الله، له بداية كان قبلها عدماً، وله نهاية سينتهي إليها إما التلاشي، أو العدم، أو الموت، أو التبدل والتغير.. إلا الله الذي ابتداءً خارج عن هذه القسمة الحاصرة، ليس له بداية سبحانه وتعالى كان قبلها عدماً \_ كلا وحاشا \_ وهو الآخر الباقي الذي سبحانه لا يموت **﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾**<sup>(4)</sup> هذا تنتهي إلى الله سواء تركت التسلسل في الطرف الماضي إلى المخلوقات الأولية، لا بد تنتهي إلى الله، الذي ابتداءً الأشياء من العدم المحض، ولم يتدئ هو من شيء قبله، وجوده ذاتي لم يستفده من غيره.

(1) الإخلاص: 3.

(2) ابن حبان في صحيحه ج 14 / ص 12 حديث رقم: 6142.

(3) النجم: 42.

(4) الفرقان: 58.

وإن تسلسلت وطرقت الزمان إلى القادم المجهول الذي لم يأت بعد، فننتهي أيضاً إلى الله الآخر، ومن أسمائه \_ جل وعلا \_ الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء، هذا من جهة الزمان ومن جهة المكان كذلك. كل مخلوق سوى الله حتى العرش محصور، بمعنى له حدود ينتهي إليها، ما فيه شيء غير متناهي هكذا، ولا كلامي هذا ما هو مقبول؟

كل شيء حتى العالم الفسيح هذا الكون الذي نحن ما نعرف أطرافه، ولن نعرف أطرافه، ولذلك يحسبون المسافات بين الأفلاك بالسنين الضوئية، وسرعة الضوء؛ لأنهم يعجزون عن تصور مجرد تصور، ومع ذلك نعتقد أنه منتهي، له أطراف ينتهي إليها حتى العرش.

والعرش في اعتقادنا نحن أهل السنة هو سقف العالم وقبته. كل شيء في العالم هذا في الكون، ما نعلمه وما لا نعلمه، هو تحت قبة العرش يسبح ويدور، كل شيء، العرش العظيم هذا. قال النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ في خطبته وهو يخطب على المنبر، لما دخل الأعرابي يطلب منه الاستغاثة والاستمطار والمطر، ويقول هلكننا فادع الله أن يغيثنا ثم قال الكلمة الأعرابي أزعجت النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ لما قال: ((فإننا نستشفع بك على الله وبالله عليك فسبح النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ تسبيحاً كثيراً حتى عُرف في وجهه كراهية لقول الأعرابي فقال له: ويحك أتدري ما الله؟ شأن الله أعظم من ذلك إن الله لا يستجيب على أحد من خلقه إن الله على عرشه وإن عرشه على سمواته هكذا وأشار بيده كهيئة القبة))<sup>(1)</sup> شوف القبة هذه كل شيء تحت العالم يسبح تحتها.

العرش هذا الذي ربما تعجز حتى عن تصوره متناهي ضرورة. الله فوق العرش، وكل ما سوى العرش من العالم تحته ولو أطراف. أما جاء في القرآن وكذلك في السنن أن العرش له قوائم وتحمله الملائكة، حافين من حول العرش، منتهي له أطراف. ولو لم يكن منتهياً، فكيف تحفه الملائكة وتحمله؟ إلا الله \_ سبحانه وتعالى \_ ليس للحواصر المكانية عليه سبيل، هو العلي الأعلى ليس فوقه شيء \_ سبحانه وتعالى \_ وهو يعني أكبر من كل شيء، ولا نتصور حتى بمجرد الخيال ذاته \_ سبحانه وتعالى \_ فليس للحواصر الزمانية بداية ونهاية، ولا للحواصر المكانية من فوق وتحت وأطراف إليه سبيل.

وهذا يحققها السماء الأربعة العظيمة الجليلة التي في سورة الحديد وهي: الأول، والآخر، تكسر حواصر الزمان عن الخالق. الأول ليس قبله شيء، بلا بداية، كان قبلها معدوماً تعالى الله، ولا نهاية هو

(1) أبي داود في سننه ج 4 / ص 232 حديث رقم: 4726.

الباقي \_ سبحانه وتعالى \_ الذي لا يموت، الآخر ننتهي إليه، والظاهر والباطن كسر الحواصر المكانية، خارج عن العالم هذا كله \_ سبحانه وتعالى \_ . ايش العالم هذا؟

السموات كلها في قبضته، كلها كخردلة في كف أحدكم يقول ابن عباس . ما السموات السبع هذه التي لا نعرف آخرها من أولها وأطرافها، في كف الرحمن إلا كخردلة صغيرة حقيرة في كف الرحمن، وأنت عليك الحساب بعد، ما عاد تحسبها أصلاً، فتسلم للأول الآخر الظاهر الباطن، هذا نقوله ايش يعني هذا؟ ما أدري أستغفر الله كيف دخلنا هذه الدخلة؟ أيوة فلا تقل أول واجب على المكلف البراهين العقلية، والعقل هذا يكل ويعجز ويضع يعني تصور للخالق، وكيف بدأ وكيف بدأ الخلق، والأمور هذه كلها ليس للعقول عليها سبيل.

فأول ما يجب علينا أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده، بهذا يسلم الكافر ويحقن الدم كما قلنا. هذه مسألة.

المسألة الثانية: الصحيح المحقق عند أهل السنة، أن كل عبارة تدل على إسلام العبد يجب قبولها، وباعتباره بها مسلماً، وحقن دمه بها. فلو قال مثلاً.. أو حتى كل فعل، لو رأيت شخص ما كنت تعرف إسلامه من قبل، وجدته يصلي مثلاً الظهر، ما تحتاج تنس تشهدة تقول اشهد، تعتبره مسلم مباشرة. فهمتوا وللا لا؟

وجدته يطوف يعتمر ويحج، خلاص تعتبره مسلماً، أو قال لك أنا مسلم، أو قال أنا أخوك المسلم، أو قال إنني من المسلمين، أو نحو ذلك يجب قبولها. والدليل على هذا قوله تعالى، أو سبب نزول قوله تعالى في سورة النساء الآية المشهورة قال الله \_ جل وعلا \_ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا﴾<sup>(1)</sup> قصة مشهورة أصلها في الصحيح من حديث ابن عباس، ولها روايات واسعة أن سرية بعثها النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ في الأرض، سرية من السرايا، فنزلوا في وادي فمر بهم راعي غنم، قيل أن اسمه عمرو بن الأضبط وقيل غير ذلك، سلمى من بني سليم، فقال السلام عليكم إني أخوكم المسلم، فكفوا عنه كلهم إلا شخصاً واحداً، الله المستعان ما قبل وهو محلم بن جثامة ذكر اسمه، شقيق الصحابي ابن جثامة، صحابي مشهور قام إليه فقتله، واستاق ما عنده من غنم وقال هذه غنيمة لكم، فرفض بقية السرية بقية الفقهاء الباقين قالوا لا، أنت الآن قتلت ونحن عندنا مشكلة

(1) النساء: 94.

الآن، قتلك هذا فيه نظر. فلا نعتبر قتلك شرعياً، ولا هذا ما أخذته غنيمة، حتى نفضي إلى النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ فننظر ما يقضي فيك.

فلما أخبروا النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ غضب غضباً عظيماً. ولولا ما في القسمة من تأويل، حتى قال للمحلم: لولا ما سبق من كتاب الله أن القتل فيه نوع تأويل، لكان لي ولك شأن، لا ترني وجهك. يعاقبه ما عاد أشوف وجهك يقول لمحلم بن جثامة. فصار يثو التراب على وجهه، ويقول ما رأيت أشقى مني، وفيه نزلت الآية هذه التي تلوت عليكم قبل قليل.

فاستنبط منها العلماء أن كل فعل أو عبارة تدل على إسلام العبد، شرعاً يجب اعتبارها بها وحقن الدم، ولا يلزم التنصيص على الشهادتين على وجه الخصوص. ولذلك العبارات شوف يوحدها الله، أن يعبدوا الله. تارة يأتي بضابط قولي يوحدها، ضابط فعلي يعبدوا، يصلي، أو يصوم، أو يحج البيت، هذا خلاص مسلم تعتبره، ولست مكلفاً أن تفتش عن سريره هل هو منافق، هذا شأن آخر وبحت آخر لا علاقة له بهذه المسألة.

أيضاً مسألة ثالثة: اتفق أهل السنة قديماً وحديثاً بناء على هذا الحديث وغيره، على أن أول ما يُبدأ به دعوة الناس، ودعوة الخلق من غير المسلمين، هو دعوتهم إلى أصل الملة، وقاعدتها وهو توحيد الله سبحانه وتعالى. لا معنى لدعوتهم إلى صلاة، أو زكاة، أو صيام، أو أخلاق، أو غير ذلك وهم لم يقروا بعد بأن الله هو الإله الحق وما سواه باطل، وأن محمداً رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ ختم الله به الأنبياء. لا معنى لذلك كله دون هذه الأولوية؛ ولذلك البخاري قال: "باب ما جاء في دعاء أمتنا التوحيد: هو أول شيء يُبدأ به؛ ولذلك رتب الأولويات لمعاذ النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ قال: **(فَلْيَكُنْ أَوَّل)** هذا ترتيب شرعي مقصود.

قوم يعبدون غير الله، أو يشركون مع الله غيره، أو ينسبون له الولد \_ تعالى الله جل وعلا \_ أو يكفرون بالله كفرةً من أنواع الكفر، ولا يقرون بأن محمداً رسول الله. إلى ماذا تدعوهم؟ لا معنى لأي نقاش في أي جزئية أخرى، أو مسلمة أخرى ولو كانت عظيمة كالصلاة وغيرها دون هذا الأصل الأول الكبير، دون هذا الأصل الأول الكبير، الذي هو يعني أول ما يُبدأ به في دعوة الخلق.

الإمام محمد بن عبد الوهاب \_ رحمه الله \_ نقلت فائدة من كتابه التوحيد. هذا الحديث أورده وترجم عليه قال: "باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله". يقتدي بترجمة البخاري. أئمة السنة \_ رحمة الله عليهم \_ يعني تجدهم سابقهم ولاحقهم حتى ألفاظهم تكاد تكون كأنها هي؛ لأنه منهج واحد، وطريقة

واحدة. ثم أعجبنى استنباط في مسأله في هذا الباب الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقال: "البدء في الدعوة بالأهم فالأهم".

إذا كانت دعوة غير المسلم، لا يناقش في أي مسلمة أخرى أو أي قضية أخرى قبل التوحيد، قبل أن يشهد أن لا إله إلا الله، يدعو للصلاة يصلي لمن؟ الصلاة حركات رياضية، نتدرب عشان نلعب مباراة وكذا؟! لا، الصلاة عبادة لمن؟ تعبد من؟ الله. ولا يمكن أن تعبد الله قبل أن تقر اعتقاداً وقولاً ظاهراً وباطناً، أنه هو الإله الواحد الأحد، وكل ما سواه باطل. حتى لو صليت، حتى لو صلى المصلي وفي قلبه أن غير الله له حق في نوع من أنواع العبادات، هذا كله لا معنى؛ لأن الله لا يقبل الشرك لا قليله ولا كثيره. والحديث القدسي المشهور الذي نحفظه جميعاً يقول \_ جل وعلا \_ : ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً)) أيما كان ذلك العمل ((أشرك فيه معي غيري تركته للشرك))<sup>(1)</sup> أو قال: ((تركته وشركه))<sup>(2)</sup> أو كما جاء في الحديث، فانتبهوا لهذا.

**(فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ)** وفي رواية: **(فَإِذَا عَبْدُوا اللَّهَ)** وفي رواية: **(فَإِذَا وَحَدُوا اللَّهَ)** قبلوا ذلك، شهدوا أن لا إله إلا الله، وشهدوا أن محمداً رسول الله دخلوا في الإسلام، اعتبروا من هذه اللحظة مسلمين، مستعدين مهيين أن يعبدوا الله. بقي كيف يعبدون الله \_ جل وعلا \_؟ ما هي البدايات بماذا يبدأون؟ قال \_ عليه الصلاة والسلام \_ وهو الآن الذي يرتب الأولويات، ولا كلام مع كلامه، ولا أولويات ترتبها نحن مع أولوياته \_ عليه الصلاة والسلام \_ وإلا سنكون سلكنا منهجاً غير منهجه، وطريقاً غير طريقه. ولماذا إمامنا البخاري يضع هذا الباب في أول كتاب التوحيد من الجامع الصحيح "باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم"؟

دعوتنا كلها محورية على التوحيد، والإيمان بالله، وإفراده بالعبادة، محورية، كل ما عداها يؤدي إليها. لا تقل لي دعوة أخلاقية، وأخلاق، ما فيه شيء اسمه أخلاق في العالم هذا، إلا إذا عبدوا الله سبحانه وتعالى. فمن خان الله، وخان خالقه، وكذب ربه، وسب أنبياءه، لا ترجو منه خيراً هذا. لا تقل لي أخلاق، وحقوق إنسان، وكلام فاضي. حقوق إنسان إذا عبد الخالق \_ جل وعلا \_ حق الله ضايع، تريد حقك أنت يعطونك هكذا بالبحان؟! ما حصلت ولن تحصل. أخوك شقيقك ما يأخذ منك حقه بعض الأحيان

(1) ابن حنبل في مسنده ج 2 / ص 435 حديث رقم: 9617.

(2) أخرجه أحمد 301/2 (7986) قال: حدَّثنا محمد بن جعفر، حدَّثنا شعبة. وفي (6987) قال: حدَّثنا روح، حدَّثنا شعبة.

وفي (9617) 435/2 (9617) قال: حدَّثنا يحيى، عن شعبة. و((مسلم)) 223/8 (7584).

إلا بستين ألف كلام وانتو وهو خارج من بطن واحدة. تريد أمريكي ولا فرنسي ولا هندي ححك هذا مجاني لوجه الله، هذا كلام لا يكون ولو في المنام ما يصير .

**(فَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ)** بطبيعة الحال قال العلماء النبي \_ صلى الله

عليه وسلم \_ هنا لم يذكر طبعاً نوافل الأمور ونوافل الصلاة؛ لأنه يعني كل شيء بحسب الأصل.

في كتاب أبي بكر الصديق الذي كتبه في آخر حياته يوصي به الخليفة بعده وهو عمر \_ رضي الله عنهم أجمعين \_ فيه قال: "واعلم أن الله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل وعمل بالليل لا يقبله بالنهار واعلم أن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى" واحد يقوم الليل وما صلى العشاء. تصير هذه؟ بالله عليكم تصير؟ يقوم ويكي ويدعو وما صلى العشاء، عبث لا معنى له. ولا يصوم عاشور وما صام رمضان. لا معنى للنافلة قبل الفريضة. نبدأ بالفرائض، ثم إذا أسلم العبد وحسن إسلامه، واستقام على عبادة الله، العبادة طاعة تولد الطاعة، والخير يولد الخير، والعكس صحيح الذنب يولد الإثم، والشر يولد الشر، **((وللملك بالإنسان لمة، وللشيطان لمة، فلمة الملك إيعاد أو قال إيعاد بالخير ودفع إليه أو كما قال ولمة الشيطان إيعاد بالشر وأز إليه))**<sup>(1)</sup> والتوفيق بيد الله.

**(خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيَاتِهِمْ)** وانعقد الإجماع على أن ليس لله على عبده المسلم فريضة في

الصلاة سوى هذه الخمس، وما سواها نوافل، تتفاوت درجة استحبابها. يعني مثلاً الوتر له قوة في الاستحباب، والرواتب، ونحو ذلك ليس لغيرها. أما الفرائض فلا سوى هذه الخمس.

**(فَإِذَا صَلَّوْا)** أخذت أم المؤمنين عائشة \_ رضي الله عنها \_ لها نص جميل جداً ذكره الإمام محمد

بن أبي نصر المروزي في كتابه العظيم: "تعظيم قدر الصلاة"، اشتروه وقرؤوه، ذكر أثر عن عائشة جداً رائع وجميل تعظ به بعض التابعين تقول: **((إن الله ابتعث محمداً \_ صلى الله عليه وسلم \_ إلى العرب في**

**بداية الأمر، فكان أول ما دعاهم إليه إلى أن يعبدوا الله، ويتركوا هذه الأوثان والأصنام. ولو كان أول ما دعاهم إليه أن يصلوا، ويصوموا، ويحجوا، ويزكوا، ولا يزنوا، ولا يسرقوا، ولا يشربوا خمر، ما أحد**

**استجاب))** لو جاب الإسلام كله دفعة واحدة هكذا. فلما آمنوا بالله ورسوله وتركوا الأصنام والأوثان، قال لهم صلوا إن الله فرض عليكم الصلاة. تقول عائشة وهذا سبب إيراديه له الآن: **((فلو لم يصلوا ما نفعهم**

**إيمانهم))** الذي قالوا أننا آمنوا. هنا يظهر الخلل، إذا كان آمنوا حقاً، أو آمنوا مثلاً خوفاً من قتل، أو آمنوا نفاقاً، أو لاعتبار... هنا يظهر صلوا، آمنتم بالله، الله الذي آمنتم به يقول لكم اعبدوني. كيف نعبده؟ صلوا

(1) الطبراني في معجمه الكبير ج 9 / ص 101 حديث رقم: 8532 .

هذه خمس صلوات ما تركها بحال من الأحوال، وإن زدت فهو خير لك. فإن رفض، دل على أن المسلمة السابقة مازالت مغشوشة، مدخولة، فيها خلل وفيها.. هذه تنقض الأولى. الأولى تأسس الثانية، والثانية إذا ما وقعت تنقض الأولى.

فلما صلوا نزل أن زكوا، تقول عائشة أيضاً تمام كلامها. فلو لم يذكروا ما نفعتهم صلاتهم ولا إيمانهم السابق. ثم نزل أن صوموا وهكذا رتبت.

فالمسلمة الأولى تستتبع وتستلزم وتؤسس الثانية، والثانية تنقض الأولى إذا لم تحقق. ولذلك قاتلوا مانعي الزكاة الصحابة واعتبروهم مرتدين؛ لأن هذا نقض للمسلمات التي قبلها التي بنيت عليها. والله يقول في القرآن: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (1) مو على

كيفك تصوم ولا ما تصوم، تصلي ولا ما تصلي، ما هي انتخابات ولا... دين تأخذه كما رتبته مشرعه ومنزله \_ جل وعلا \_ وكما دعا إليه رسوله، وإلا تعتبر ناقضاً له كافراً به، ولو زعمت ليلاً ونهاراً أنك يعني أول المسلمين وأحسنهم وأفضلهم، الكلام طويل عريض، هو أحسن منك في الكلام المنافقون، لبقين في الكلام ويحسنونه ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ (2) مثل البغل كل واحد ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ (3) لشدة احترافهم للكلام، وحسن عرضهم لما عندهم بالزور والبهتان. تسمع لقولهم ويجدون الناس بشيء من ذلك. والذي يكشف أسرارهم ويفضح أخبارهم رب العالمين سبحانه وتعالى، الذي لا تخفى عليه خافية. نرجع للكلام.

**﴿فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ﴾** لاحظوا معي بالله اختلاف اللفظ. لما جاء عند

الصلاة ماذا قال؟ فرض ولا لا؟ بصيغة في الزكاة ماذا قال؟ افترض، أدخل التاء الطلبيه ولماذا؟ لماذا؟ ما الفرق بين فرض وافترض؟ تفضل

\_ طالب:.....

هذا وجه، ووجه قبله الله \_ عز وجل \_ اعتبر الزكاة التي يقدمه المسلم، وعموم الصدقات كأنها نوع استقراض، كأنه يستقرض منا \_ جل وعلا \_ وهو الغني عنا. ألفاظ القرآن تدل على ذلك ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (4) ولا لا؟ يقرض مع أنه ما يحتاج إلى خمسمائة ريال حقك أنت، لكنه تعظيماً

(1) الأحزاب: 36.

(2) المنافقون: 4.

(3) المنافقون: 4.

(4) البقرة: 245.

لفريضة الزكاة، ولتطيب نفسك بها، ولتطمئن أنها مضمونة عند الله أجراً وثواباً، وما يستدعوا ذلك من بركة في مالك وعمرك، كأنك تقرضه لضمان أمين أن قرضك لن يذهب سدى، **(افترض)** فيها تاء الطلب فهمتوا وللا لا؟

وفيه المعنى الذي ذكر الأخ أن الزكاة تجب على الموسر صاحب المال، ولذلك ربما تمر على مسلم حياته كلها ولا يزكي ريال واحد، ما عنده ما يزكي يقطع يده يزكيها ولا ماذا يفعل؟ فهمت هذا الفرق بين فرض افترض؟ انتبهوا لهذا الأمر.

**(افترض عليهم زكاة)** طبعاً تسميتها زكاة لها وجه شرعي ونفسي عظيم. فالزكاة بمعنى الطهارة، فهي طهارة للقلوب، والنفوس، والأموال. ولا تطيب الأموال إلا إذا طابت النفوس والقلوب، الله فطرنا نحن البشر على حب المال، وهذا أمر لا ينازع فيه أحد، قضية تقابلية ولذلك سميت زكاة للنفوس قبل الأموال. أما في الأموال، فهي تطيب المال وتباركه، وتركه، وتنميته، ولو غفل الناس عن ذلك.

ثم هنا نقطة مهمة جداً، لا يجوز أن نتعامل مع الله في زكواتنا وصدقاتنا معاملة الغريم الشحيح لغريمه، والشريك الشحيح لشريكه. بمعنى إذا قلنا أن من ثمرات الزكاة، حتى منصوص عليها في القرآن قال الله تعالى: **﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾** <sup>(1)</sup> آية في القرآن في سورة سبأ أو فاطر أو كذا، في سبأ. فهو يخلفه، هذا الضامن رب العالمين، يخلفه فلا تحسبها صدقت ريال وخمسائة ريال، بكرة يجب ترجع لك خمسمائة ريال، كأنك قاعد في دكان تبيع وتشتري معه رب العالمين. لا، يخلفه وأنت لا تعرف، ربما يخلفه دفع الله عنك سوء عظيم كان سيأتيك، ما تدري عنه. كان يجيك سرطان ولا بلوى من هذه البلاوي تنكد عليك حياتك كلها، وتطلع أموالك كلها بلا قيمة، لو عندك مليارات مع السرطان ايش تفيدك؟ ما عاد تاكل لك شربة ما تقدر تشربها، سرطان أعوذ بالله من الشيطان وللا لا؟

ما تكاد تشرب شربة قيمة ها الريالين. دُفع عند شيء وأنت ما تعرف لا تتعامل مع الله بذلك، خلف هذا في الولد، صدقة في الولد، في الأهل، في الزوج، في عمرك، في صحتك، توفق لعمل صالح حرم عنه غيرك.

أنت تنظر للقضية بمنظار، لا تنظر بهذا المنظار الضيق. يخلفه خلاص بكرة تصدق حتى تصير أمواله أكثر، وإذا ما صارت أمواله أكثر، ربما يختبرك الله \_ عز وجل \_ ليخرج الدخن هذا في نفسك. يقع ذلك فتذهب تمتنع. بسبب نزول قوله تعالى في سورة الحج، القرآن شيء عظيم كشفنا، القرآن كشف المنافقين،

(1) سبأ: 39.

وكشف المرائين، وكشف كل شيء، يا تسلم مضبوط ولا أنت يعني مكشوف. قوله تعالى في سورة الحج: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11) يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (12) يَدْعُو لَمَن ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾<sup>(1)</sup>.

بعض قبائل العرب قالوا بعضهم لبعض: (لتتبع هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي) هكذا في الرواية قال له شوف نتبعه. طيب إذا اتبعناه كيف المقاييس؟ فإن أخصبت أرضنا، وذرت زرعنا، وكثرت أنعامنا. ييغون حمير، وبقر، كان عنده خمسة تيوس بعد كما أسلم تصير عشرة تيوس على طول، هذا مو تعامل رب العالمين هكذا، الجاهل هذا. فأسلموا هذا إسلام فيه خلل الآن.

فالله اختبرهم رجعوا تيسين ماتت، حمارين مرضت، والمطر ما عاد جاء، فارتدوا على أعقابهم. طيب ارتدوا إلى أين؟ إلى اللات والعزى ﴿يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُ﴾<sup>(2)</sup> اللات والعزى تجيب لك المطر يعني، وتجيبي لك التيوس التي ماتت يا جاهل. هذا جهل عجيب جداً، خسروا الدنيا والآخرة فعلاً ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ﴾<sup>(3)</sup> ما يعامل رب العالمين بذلك.

فالزكاة نعم من ثمراتها أن الله يخلفها، وما نقص مال من صدقة حق وصدق، لكن يجب أن تنظر إلى القضية إذا طابت نفسك بالمثال الذي ذكرته. يبارك الله لك في عمرك، في ولدك، في حياتك، يدفع الله عنك سوء عظيم، ربما ما كنت تدري، بالفعل ما تدري عنه، كان سيصيبك لولا صدقتك تلك التي طبت فيها نفساً وأخلصت فيها لله.

قال النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ : **(فِي أَمْوَالِهِمْ تَوْخَدُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَيْرِهِمْ)** هذا وضع طبيعي، الزكاة تؤخذ من صاحب المال سواء كان سائمة، أو نقداً، أو تجارة، أو يعني حبوباً وثماراً ونحو ذلك، بشروط الزكاة المعروفة التي لا تخفى عليك.

أخذ بعضهم من قوله: **(فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَيْرِهِمْ)** أن زكاة كل قوم، وكل أهل بلد الأولى، أن تُصرف على فقراء ذلك البلد بعينه. صدقة بني فلان، الأولى بهم فقراء بني فلان ولا لا؟ صدقات أهل جدة مثلاً

(1) الحج: 11-13

(2) الحج: 12.

(3) الحج: 11.

لفقراء أهل جدة. فإن يعني فاض ولا يفيض شيء، ممكن أن ينظر فيه هنا وهناك، وهذا استنباط صحيح **(فَتَرَدُّ عَلَىٰ فَقِيرِهِمْ)** هكذا يقرر النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ .

فصدقات من عليهم صدقات من أهل بلد، الأولى بها في فقراء أهل بلده؛ بل والأولى بها الأقرب فالأقرب إلى صاحب المال. لا معنى أن تذهب تسد خلة فقير، ولك قريب ما سددت خلته، مثل أخ، أو أخت، أو عم، أو عمة، أو خال، فهم أولى وأقرب. ولذلك لما سئل النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ قال أيّد هذا المعنى وقال إن الصدقة على القريب المحتاج الفقير صدقة وصلة، فأجرها مضاعف يأخذ أجر الصدقة كاملاً والحمد لله، وله أجر صلة الرحم، وهي منقبة كبيرة وعظيمة.

**(فَإِذَا أَقْرَبُوا بِذَلِكَ فَخَذُوا مِنْهُمْ)** كلمة **(فَخَذُوا مِنْهُمْ)** رتبت الفعل على الإقرار، وهذا أحد قواعد أهل السنة.

الشرع عندنا والإيمان عندنا نحن أهل السنة، ما هي مجرد لافتات تُرفع، أو مقالات ولا يتبعها عمل. أقررت أنه عليك زكاة، خلاص خذ أدي الزكاة. أقررت أن عليك الصلاة، أقم الصلاة. أقررت أن عليك صيام، صم ما أوجب الله صيامه.

فالفعل مرتب على الإقرار، وإلا يصبح الإقرار نوع كذب ونفاق، فصلت القول عن العمل، ومن قواعد أهل السنة أن الإيمان قول وعمل لا يُفصلان، وفصلهما هدم للحيثية كلها، لا إيمان، لا إيمان. **(فَخَذُوا مِنْهُمْ)** أي خذ منهم ما تجب به الصدقة والزكاة من أصنافها وأنوعها.

**(وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ)** أخذوا من قوله وتوق كرائم أموالهم، أن الزكاة تؤخذ من عين الكمال المركزي من أوسطه، لا يؤخذ أنفس ما في الأموال، لأن فيه ربما إضرار بالمتصدق، ولا يؤخذ الخسيس الرديء، فإن فيه إضرار بالفقير. والله يقول في سورة البقرة **﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ﴾** أي من أموالكم **﴿تُنْفِقُونَ﴾** تجعلونه هو النفقة في الزكاة **﴿وَأَلْسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾** <sup>(1)</sup> وإنما يأخذ من أوسط ذلك لئلا يتضرر صاحب المال، ويقع في نفسه شيء، ولئلا يتضرر أيضا الفقير بدفع الخسيس له. اقرأ ما بعده. القارئ: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الإمام أبو عبد الله البخاري \_ رحمه الله تعالى \_ :

(1) البقرة: 267.

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي حَصِينٍ وَالْأَشْعَثِ بْنِ سُلَيْمٍ سَمِعَا الْأَسْوَدَ بْنَ هِلَالٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَنْ يَعْْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ).

يقول البخاري: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ) هو الحافظ البصري المشهور بلقب بُنْدَار.

(حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ) هو محمد بن جعفر.

(حَدَّثَنَا شُعْبَةُ) ابن الحجاج.

(عَنْ أَبِي حَصِينٍ) بفتح الحاء، اسمه عثمان بن عاصم الأسدي.

(وَالْأَشْعَثِ) هو ابن سليم المحاربي.

(أَنْهَمَا) أي كلاهما ابن حصين والشعث.

(سَمِعَا الْأَسْوَدَ بْنَ هِلَالٍ) أيضاً المحاربي.

(عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ) رضي الله عنه. الآن هذا حديث معاذ. حديثه السابق يرويه ابن عباس في

بعثه، الآن هو حديثه. معاذ \_ رضي الله عنه \_ صحابي، أنصاري، جليل، من أرفع علماء الصحابة وأفقههم، وفيه قال النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ : ((أَعْلَمُ أُمَّتِي بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذٌ))<sup>(1)</sup> وفي بعض الأحاديث: ((إِذَا حُشِرَ الْعُلَمَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَقَدَّمَهُمْ مُعَاذٌ بَرْتَوَةٌ))<sup>(2)</sup> أي بمسافة هائلة.

وبعثه كما عرفنا في الحديث السابق إلى اليمن في السنة التاسعة، قاضياً ومعلماً. تدرّون كم سنه لما بعثه إلى اليمن؟ ثمانية وعشرين سنة، ثمانية وعشرين سنة ما يعرف يجب لك بطاطس اليوم. لماذا؟ لأنه لما مات عمره ستة وثلاثين سنة، لما مات بطاعون عمّواس الذي أصاب بلاد الشام؛ لأنه سكن بلاد الشام بعد الفتوح معاذ \_ رضي الله عنه \_، وأتى حصل وباء عظيم في السنة الثامنة عشر من الهجرة أي في خلافة عمر، يسمى طاعون عمّواس، من ضحاياه معاذ، توفي فيه مات أصيب بهذا المرض عمره ستة وثلاثين سنة. كل هذه القضايا \_ رضي الله عنه وأرضاه \_ ماذا يحدث؟

(1) الترمذي في سننه ج 5 / ص 665 حديث رقم: 3791.

(2) الطبراني في معجمه الصغير ج 1 / ص 335 حديث رقم: 556.

يقول: **(قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُعَاذُ)** اختصر البخاري الحديث وتمامه: قال معاذ

— رضي الله عنه \_ : **((كنت ردف رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ على حمار يقال له عُفَيْر))** (1)

اسم الحمار عفير، وأخذ منع طبعاً شدة تواضع النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ إذ يركب ما تيسر من الدواب حتى ولو كان بغلاً أو حميراً \_ عليه الصلاة والسلام \_ وهو خير خلق الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ .

وأخذوا منه أيضاً جواز الارتداف على الدابة متى كانت مطيقة. أما إذا كانت غير مطيقة، فلا.

**((يقال له عفير))** وكانوا قديماً يتعانون تسمية دوابهم من الخيول، والجمال، يسمونها بأسماء معينة من عادة العرب. وكان النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ درج على ذلك. وفي كتاب لو تراجع كتاب الجهاد الصحيح هنا، فيه أبواب كثيرة، باب أسماء الخيل، يأتيك بأحاديث فيها أسماء خيل النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ اللُّخَيْف وكذا، أسماء نوق النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ القصباء، والعضباء، والبغال دُنْدُن التي أهداها المقوقس، وحمارة عفير. تشرفوا لما قال في تفسير \_ قوله تعالى \_ : **﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾** (2) إذن الكلب والحمار خلد ذكرهم وأسماءهم؛ لأنهم صحبوا هكذا قدرراً أنبياءً ورسلاً وصالحين. فكيف يعني عفير؟ عرفنا هذا الحمار مات من ألف سنة اسمه عفير. الآن يموتون ما لهم قيمة.

**((فقال لي يا معاذ، قلت لبيك يا رسول الله وسعديك ثم سكت))** هذا أسلوب استحثاث،

يستحث معاذ ليوعي سمعه للكلام. **((يا معاذ))** مرة ثانية **((قلت لبيك يا رسول الله وسعديك))** وفي

بعض الألفاظ: **((وساعديك))** يعني اعتبرني يديك سكت. ثم الثالثة **((يا معاذ قلت لبيك يا رسول الله وسعديك))** (3) وقع في حس معاذ قطعاً أنه سيأتي كلام عظيم، فانفتحت كل أجهزة الاستقبال كما نقول الآن سمعاً، وبصراً، وقلباً، ثلاث مرات يناديه وهو رديفه على الدابة ما هو.. هذا التكرار والفصل بين كل مرة ومرة بسكوت، هذه وسائل استحثاث للسامع حتى يسمع ما سيقال؛ لأن منا سيقال كلام عظيم.

هنا فيه أيضاً أمر واضح من النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ اختار معاذاً ليستقبل عنه مثل هذا

المعنى وهذا الكلام؛ لأن معاذ ما هو شخص يعني، يحسن الاستماع، ويحسن الفهم، ويحسن الضبط؛ لأنه كما عرفنا قبل قليل شاب ألمعي، ذكي، فقيه النفس، يعني لا ينقصه شيء ما شاء الله. واختاره لكي يكون

(1) مسلم في صحيحه ج 1 / ص 59 حديث رقم: 30.

(2) الكهف: 18.

(3) الطبراني في معجمه الكبير ج 20 / ص 49 حديث رقم: 81.

رديفه في هذه الرحلة الصغيرة البسيطة، وليستقبل منه هذا العلم العظيم الذي سنسمعه الآن من معاذ بن جبل.

ثم قال له عليه الصلاة والسلام: **(أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ)** وما حق العباد على الله، هذا أسلوب آخر للاستحاث، كان المفترض، مو مفترض يعني كان متوقع أن يبادره بكلام مباشرة يقول له يا معاذ حق الله على العباد.. لماذا يسأله هذا السؤال وهو يعرف \_ عليه الصلاة والسلام \_ أن معاذاً لن يجيب.

حتى لو فرضنا جدلاً أن معاذ يعرف الجواب، ما يمكن يجيب في حضرة رسول الله \_ عليه الصلاة والسلام \_ فينقلب معلماً، ومفكراً، وموجهاً، ما يمكن أدباً. أنتم تعرفون يعني أدب الصحابة مع النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ يفضون الصوت، ولا يسألون حتى لا يسألون، منعوا من السؤال، فيفرحون بالرجل الغريب الذي يأتي من نواحي الأرض ليسأل النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ ليستمعون علماً، حتى ربما يأتون هم بشخص ويطرحون عليه مسألة، ويقولون سل عنها النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ نريد نعرف ذلك أدباً ما يسألونه هم **﴿فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾** <sup>(1)</sup> تربية لهم وتأديباً.

هذا السؤال: **(أَتَدْرِي))**؟ نحو استحاث. لو استخدمه المعلم مع تلميذه، فيه أولاً يعني تضخيم لشأن المستمع هذا. إذا كان النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وهو النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ ما شئت من فضائل تنسبها إليه، مؤيد بالوحي، يسأل معاذ بن جبل الشاب الصغير هذا، الذي لا مجال للمقارنة بين مقامه ومقام رسول الله \_ عليه الصلاة والسلام \_ فيه نوع اعتباري كبير جداً لمعاذ ولا؟ رفعاً لقدره يسأله. كأنك يا معاذ أهل لمسائل العلم، ومطارحتها، ونقاشها، وأخذها، واستقبالها، وفهمها، واستيعابها. فيبقى نشوة الاعتبار هذا في معاذ ما تفارقه مدى الحياة.

أتدري يا معاذ ما حق الله على العباد، والمسألة المسؤول عنها عظيمة، جليلة؛ بل هي أعظم مسألة. ما خلق الله هذا الكون كله إلا ليعبد \_ جل وعلا \_ . ما خلقنا، وأودعنا الأسماع والأبصار والأفئدة وكل شيء، إلا ليعبد، لنعبده \_ جل وعلا \_ .

ويسأله عن مسألة قامت الدنيا كلها من أجلها، وخلق الله الجنة النار لأجلها، وخلق الجن والإنس لأجلها، وبعث الرسل وأنزل الكتب كل لأجلها. فالمسألة عظيمة؛ بل هي أعظم المسائل، والمسائل عظيم وهو النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ والمسؤول ناله شيء من تلك العظمة في هذا الموقف الجليل البسيط في

وسائله، راكبين على حمار، ما هم قاعدين في استديو قاعدين، وبرلمانات فاخرة، ولا فائدة. على حمار يمشون في أحد أزقة المدينة. شوف هذا المشهد الجميل المهيب هذا الرائع العظيم. فما كان من معاذ، وهو الصحابي المؤدب المتربي أن يتقدم بين يدي رسول الله بجواب، ولو كان يعرف. فكان جوابه المتوقع: **اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**.

خلاص الآن بقي معاذ مرخياً سمعه، فاتحاً ذهنه ليتكلم النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ ويعلم، ويوجه معاذاً، لتوجه الأمة كلها من خلال هذا العالم الفقيه معاذ بن جبل \_ رضي الله عنه وأرضاه \_ . قال العلماء: إذا كان المسؤول عنه مسألة من مسائل الدين والشرع، وكانت خبرية، أو كانت طلبية. تدرن مسائل الدين نوعان: إما خبرية، وإما طلبية.

الخبرية: أخبار غيبية، خبر عن الله، عن الملائكة، عن اليوم الآخر، عن أشراط الساعة، عن الأمم الماضية، خبر. يجب إذا كان هذا الخبر من عند الله ورسوله أن نصدق ولا لا؟ فهمنا ما فهمنا، استوعبنا، ما استوعبنا، لا مجال للتكذيب. التكذيب كفر، وردة، ومحاة، ومشاقة لله ورسوله. والنوع الثاني: الطلب الذي هو التكاليف افعل ولا تفعل. صلي، لا تشرب الخمر.. طلب. موقفنا منه سمعنا وأطعنا، وننفذ بحسب منازل الأحكام، إن كانوا واجبات، أو فرائض، أو محرمات أو..

فإذا كان المسؤول عنه، أو المناقش فيه مسألة من مسائل الشرع والدين خبرية أو طلبية، يسوغ بل يجب أن نقول الله ورسوله أعلم ولو حتى بعد وفاة النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ لأنه لن يأتي أحد إلى قيام الساعة أعلم بالله ودينه، ومواقع أحكامه من رسول الله \_ عليه الصلاة والسلام \_ .

أما إذا كان المسؤول عنه أمور من الأمور التي في حياتنا، أين ذهب فلان؟ متى يأتي فلان؟ ما يسوغ أن تقول الله ورسوله أعلم، ينسب العلم فقط لله الواحد الأحد؛ لأن هذه الأمور لا يعلمها إلا الله.. سواء كان حياً أو ميتاً، نقول الله أعلم فقط.

فيعني جواب معاذ التزم فيه كل أصناف الأدب، قَدَّم الله وهو حق للتقديم في كل شيء سبحانه، الله، ثم عطف عليه رسوله \_ صلى الله عليه وسلم \_ الذي علمه من علم الله \_ سبحانه وتعالى \_ بما أوحاه الله إليه أعلم، وسكت، ولا يمكن أن يتكلم بعد ذلك.

فهنا تكلم النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ بعد كل وسائل الاستحثاث هذه، وإعطائه الاعتبار اللائق به، ليستقبل عن رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ هذا العلم العظيم تكلم عليه الصلاة والسلام فقال: **قَالَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**.

هنا مسائل:

- المسألة الأولى: أن حق الله علينا عبادته.
- المسألة الثانية: لا تعتبر أي أمر تعمله عبادة لله، إذا لم تكن قد نفيت عنها جملة وتفصيلاً كل شائبة من شوائب الشرك، ولو حتى الرياء البسيط يعني **(يَعْبُدُوهُ وَلَا)** متقيدة بشرط عظيم ولا لا؟

قد يصلي عدد خلق هائل يصلون ولا لا؟ يقرؤون القرآن، يتصدقون، لكن الله أعلم من هم منهم متبرئ فعلاً من كل أضرار الشرك وشوائبه وهو من هو مخلص في عبادة الله. والقاعدة كما قلنا: أي خلل في العبادة من جهة هذه المقاصد يلغيها. كما أن أي خلل فيها من جهة الوسيلة، إذا كانت على غير شرع النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ أيضاً يلغيها، هذه قاعدة ثابتة، يبنى عليها العبادة في الشرع. لا يقبل الله إلا ما كان له خالصاً.

في صحيح مسلم، جاء رجل إلى النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ : **((فقال يا رسول الله إني أقوم المقام من العمل الصالح أبتغي به وجه الله وأحب أن يرى مكاني))** شوف هذه الشغلة التي دخلت عليه **((أحب أن يرى مكاني))** ليش تحب أن يرى مكانك؟ لماذا تريد أن يعرف الناس أنك تصدقت بمائة ألف ريال مثلاً ليه؟ ما الداعي؟ حتى يشهدون لك عند الله، يجحدك الله سبحانه وتعالى يقول لا ما انتبهت، ما شفتك تصدقت؟ لماذا يرون مكانك؟ لماذا يعلمون أنك صليت البارحة أربع ركعات ليش؟ ما الداعي؟ فيه خلل معين ولا لا؟ **((وأحب أن يرى مكاني))** فكان جواب النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ له: **((إن الله لا يقبل من العمل))** أنت تفهم يا سائل ونفهم جميعاً **((إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه))** (1) فأحب أن يرى مكاني تلغيها جملة وتفصيلاً، وإلا لا تحسب نفسك قد عبدت الله ولو صليت ألف ركعة في الليل، ولو تصدقت بالأموال الهائلة، والقلوب مكشوفة عند علام الغيوب \_ سبحانه وتعالى \_ . أنت قد تتصنع، ونحن قد نتصنع أمام الناس يا سلام، لكن الذي يكشف السر رب العالمين، اذهبوا إلى ما كنتم تراءون فابحثوا لكم عن أجر، هكذا يقال للمرائي أعوذ بالله يوم القيامة، نسأل الله لنا ولكم العافية من ذلك.

فإذن تقييد هذا القيد جد مهم. ولذلك أيضاً من استنباطات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب \_ رحمة الله عليه \_ فيه استنباطين جميلة أعجبتني أيضاً، أنقلها لكم وأنتم منها على علم إن شاء الله. يقول

(1) النسائي في سننه ج 6 / ص 25 حديث رقم: 3140.

في المسائل في نفس الباب الذي ذكرت لكم في أول الدرس، يقول أن العبادة هي التوحيد. يعني لا تعتبرك ولو صليت، ما صليت، وصمت، إذا ما أسست عبادتك على إفراد الله الواحد الأحد بالعبادات، لا تعتبر أنك عبدت الله، هذا استنباط جد عظيم فعلاً. أن من لم يأت به يعني التوحيد الخالص، لم يعبد الله \_ جل وعلا \_ هذا كلام الشيخ رحمه الله، استنباطات في محلها لتقييد النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_: **(أَنْ يَعْْبُدُوهُ وَلَا)** ما فائدة قوله: **(وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)** لا بد لها فائدة زائدة.

الكلام الفصيح من المتكلم الفصيح، كل كلمة تفيد معنى زائد. ولذلك يرفض علماء السنة أن يأتي بعض علماء اللغة ويقول لك هذا حرف زائد في القرآن، ما فيه شيء اسمه زائد. كل كلمة تؤدي معنى، كل حرف يؤدي معنى، ودائماً تحمل كلام الله ورسوله، أي كلمة تحملها على معنى التأسيس أولى من حملها على معنى التأكيد، كما نقول تأكيداً، ما فيه شيء اسمه تأكيد. على التأسيس تؤسس معنى جديد، أو تضيف، أو تقيّد أن يعبدوا الله. ولا اعتبر هذه عبادة إلا إذا صرفت عنها ومنعت عنها كل شوائب الشرك ولو كان بالرياء اليسير، فضلاً عن شيء أعظم من ذلك، أعادكم الله وإيانا والمسلمين من ذلك. فقولته الشيخ محمد \_ رحمة الله عليه \_ أن من لم يأتي به يعني بالتوحيد لم يعبد الله. ففيه معنى قوله تعالى: **﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾** <sup>(1)</sup> هذه فيه إشارة جداً جميلة، ولا بأس أن نخرج لها قليلاً في سبب نزول {قل يا أيها الكافرون} السورة العظيمة هذه.

جاء في بعض الأذكار والأحاديث أنها تعدل ربع القرآن، وكان يقرأ بها النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ في ركعتي الفجر والطواف **﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾** <sup>(2)</sup> شوف التكرار هذا، فيه معاني جميلة.

ذكروا في سبب نزولها الواحدي وغيره، أن قريشاً عرضت على النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ قالوا له شوفوا أنت من عشر سنين أشغلتننا، عندنا اقتراح، حل وسط، نعقد مؤتمر حوار ونحنا نخط حل وسط، شرائع الله والرسول صارت محل للأخذ والرد. ما هو الحل الوسط؟ قالوا ايش رأيك نعبد الله سنة، وتعبد آلهتنا سنة؟ لا تقول لا.

قريش كلها والعرب كلها جاين على خاطر الآن، سنة كاملة نخط الأصنام في الصناديق ونقفل عليها، ونخط لها مواد حتى لا تفسد، ونعبد الله كما تريد، نصلي، نصوم، نحج، كما تريد نسوي. والسنة

(1) الكافرون: 2.

(2) الكافرون: 1-4.

الثانية التي بعدها اللات والعزى، وهبل، ومناة الثالثة الأخرى، فينزل القرآن، الجواب الآن من الله لا من رسول الله \_ عليه الصلاة والسلام \_ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يعني حتى السنة التي تعبدون الله معي فيها، مادامت أنتم حاطين في بالكم ومقررين أن الآلهة هذه ما زالت آلهة وإن كانت أعطيت إجازة، ما يعتبر ذلك عبادة حتى تقع المفاصلة التامة ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وكررها إلى أن قال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾<sup>(1)</sup> حتى يعبد الله وحده لا شريك له، كلاً ظاهراً وباطناً، سرّاً وجهراً \_ جل وعلا \_ والحكم الله رب العالمين سبحانه وتعالى فيهم وفي خلقه.

إذن هذه يعني هي استنباطات الشيخ جميلة ومؤثرة ومرتبة على الحديث، وفيها يعني ما في

استنباطات البخاري السابقة.

ثم قال: أتدري ما حق العباد على الله إن هم فعلوا ذلك؟ إذا فعل العباد ذلك، عبدوا الله ولم

يشركوا به شيئاً، واستقاموا على ذلك إلى أن لقوا الله \_ جل وعلا \_ ما حقهم؟

قال العلماء سمي هذا حقاً من العباد عليه، تعظيماً لشأن عابديه، وإشعاراً لهم بأن الله لا يضيع من

أجرهم شيئاً، وإلا لا حق لأحد على الله. هذا اعتقاد أهل السنة. لا يستحق أحد على الله شيء. يقول \_

جل وعلا \_ في القرآن لرده على النصارى الذين زعموا أن عيسى بن الله، تعالى الله الواحد الأحد جل وعلا

قال الله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ

يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾<sup>(2)</sup> من يمنعه؟ ما نستحق شيء على الله.

يقول رسولنا \_ عليه الصلاة والسلام \_ رسولنا \_ عليه الصلاة والسلام \_ الذي لم يأت من يعبد

الله ويعظم الله، لم يأت ولن يأت مثله \_ عليه الصلاة والسلام \_ . هذا يقين عندنا؛ ولذلك لما حضرت

أحد أصحابه وهو عثمان بن مظعون الوفاة، أحد المهاجرين عثمان، في قصة أم ربيع الأنصارية. فلما جاءه

\_ عليه الصلاة والسلام \_ سيعوده ووجده في سياق الموت. قالت أم ربيع هذه شهادتي عليك يا أبا

السائب أن الله أكرمك أو كلمة نحوها. فقال لها مه يجرها، كلمة زجر ومنع: ((مه إني وأنا رسول الله لا

أدري ما يفعل بي))<sup>(3)</sup> إيش عاد تبغى أكثر؟ فما فيه حق على الله، يهلكنا، من يمنعه أصلاً؟ لكن الله سموه

حقاً يعني لتثق وتطمئن أن الله لا يضيعك من أجرك شيئاً. بقي الخلل عندنا نحن. إن قصرنا فعلى أنفسنا،

(1) الكافرون: 6.

(2) المائدة: 17.

(3) الطبراني في معجمه الكبير ج 25 / ص 140 حديث رقم: 337.

إن فعلنا الخير فلا نفسنا، وإن هذا على أنفسنا ((إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم))<sup>(1)</sup> والله هو الغني الحميد سبحانه وتعالى، قال فسماه حقاً.

قال: (اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) نفس الجواب.

(قَالَ أَنْ لَا يُعَذَّبَهُمْ) في الرواية الأخرى في التفسير: ((أَنْ لَا يُعَذَّبَ مِنْ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئاً))<sup>(2)</sup>.

هنا قسمة تناسبية، من أتى الله \_ جل وعلا \_ بقلب سليم، سلم من أنواع الشرك كلها في نيته ومقاصده وهذا، هذا بإذن الله له الأمن التام كما كان له في الدنيا الاهتداء التام. قال الله تعالى في خاتمة

مناظرة الخليل إبراهيم لقومه التي ابتدأها الله في الأنعام بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكَوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(3)</sup> إلى أن ختمها بقوله في سؤال إبراهيم لقومه: ﴿فَأَيُّ الْقَرِيبِينَ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾<sup>(4)</sup> قال العلماء وأهل التفسير قالوا الذي تولى الجواب هو الله، فقال جل وعلا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا

وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ وينقص من

الأمن، ويتعرض العبد للوعيد بقدر ما ينقص من ذلك. فمستكثر من ذلك ومستقل، والموفق من وفقه الله.

اللهم ألهنا رشدنا، وقنا شرور أنفسنا. اللهم علمنا ما جهلنا، وانفعنا بما علمتنا. اللهم خذ بنواصينا

إلى البر والحق والتقوى. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



(1) مسلم في صحيحه ج 4 / ص 1995 حديث رقم: 2577.

(2) البخاري في صحيحه ج 3 / ص 1049 حديث رقم: 2701.

(3) الأنعام: 75.

(4) الأنعام: 81.

(5) الأنعام: 82.

## الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم. إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. أما بعد:

فنقرأ الحديث الذي وقفنا عنده في كتاب التوحيد، "باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى أن يوحدوا الله" تفضل.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

قال الإمام أبو عبد الله البخاري \_ رحمه الله تعالى \_ : (حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعَصَعَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ

الْقُرْآنِ زَادَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ عَنْ مَالِكٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَخْبَرَنِي أَخِي قَتَادَةُ  
بْنُ النُّعْمَانِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

قوله: (حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ) هو ابن أبي أويس الأصبحي المدني، ابن أخت مالك. وقلت غير مرة أن

البخاري إذا أراد أن يخرج أحاديث مالك في "الموطأ"، يخرجها عن رجل من رجال أربعة:

- إسماعيل هذا أحدهم،
- والثاني: عبد الله بن وهب القرشي،
- والثالث: عبد الله بن يوسف التنيسي،
- والرابع: عبد الله بن مسلمة القعني.

لا يكاد يخرج البخاري أحاديث مالك في "الموطأ" إلا عن أحد هؤلاء الأربعة.

قال: (حَدَّثَنِي مَالِكٌ)، مالك ابن أنس.

(عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعَصَعَةَ) المدني.

(عَنْ أَبِيهِ) يعني عبد الله.

(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ \_ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ \_ أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ) الرجل السامع هو أبو

سعيد نفسه، والرجل الذي سمه أبو سعيد يقرأ {قل هو الله أحد} يرددتها، هو أخوه لأمه قتادة بن النعمان،  
فهما أخوان من جهة الأم. أبو سعيد الخدري كما تعرفون اسمه مالك بن سنان، أخوه لأمه قتادة بن  
النعمان الأنصاري، أمهما صحابية فاضلة اسمها أنيسة بنت عمرو، من بني مالك بن النجار، فهم إخوة من  
جهة الأم.

ثم هما أيضاً متجاورين في السكنى. كان لا يفصل دار أبي سعيد عن دار أخيه قتادة بن النعمان،

إلا حائط من جريد النخل. شوف الحوش هذا الحلو هذا، حائط من جريد النخل. فكان لو يعطس  
يسمعه، مو عاد يقرأ ويصلي في الليل.

فسمع أبو سعيد أخاه قتادة بن النعمان يصلي في صلاة الليل، يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ لا يزيد

عليها، يعني سورة الإخلاص كاملة يكررها في كل صلاة، حتى أصبح. فكان أبا سعيد لام، أو عتب، أو

ناقش بعبارة يمكن تكون أصوب أخاه قتادة في لزومه وتكراره لسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في صلاة الليل،

وكأن أبا سعيد كما في الرواية هنا يتقاهما، يراها قليلة يعني من جهة القراءة، آياتها قليلة أربع آيات تقريباً،

وهو يرى أبو سعيد أن صلاة الليل المفترض فيها والأفضل فيها أن يقرأ فيها المتهجّد يعني أكبر قدر ممكن

من الآيات، وهذا هو المعهود المعمول به في صلاة الليل من النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ ومن قوام الليل من أصحابه ومن بعدهم. فكأن أبا سعيد عتب على أخيه اقتصاره في صلاته في الليل على قراءة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يكررها لا يزيد عليها، فكأنه تقالها من جهة أن آياتها قليلة، وهو يرى أنه كلما قرأ أكثر، كلما كان أفضل والأجر أكثر وأعظم.

فكان أن قتادة رفع القضية إلى رسول الله \_ عليه الصلاة والسلام \_ وأخبره بما صنع في صلاته من تكرار هذه السورة العظيمة، ولوم أبي سعيد له.

فلما أخبر قتادة رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ عن ما فعل، أخبر النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ أن هذه السورة الجليلة العظيمة، وإن كانت يعني قليلة في عدد آياتها وفي ألفاظها، لكنها كبيرة وجليلة وعظيمة في محتواها، ومعناها، وثوابها، وأجرها.

فقال \_ عليه الصلاة والسلام \_: **(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)** لا تخرج أقوال أهل العلم في تفسير معنى قول النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ في سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أنها تعدل ثلث القرآن عن قولين:

القول الأول: أن أجزأ قراءة هذه السورة، لما لها عند الله \_ أي هذه السورة \_ من فضل ومزية، ونحن نعتقد، نحن أهل السنة نعتقد أن بعض القرآن أفضل من بعض، هذا جزء من اعتقادنا أن بعض القرآن أفضل من بعض؛ بل نقول أيضاً أن بعض صفات الله أفضل من بعض. بدليل قول النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_: **(إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ)**<sup>(1)</sup> وفي رواية: **(لَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْخَلْقِ)**<sup>(2)</sup>، **(كُتِبَ كِتَاباً فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ مَوْضِعَ إِنْ رَحِمْتِي سَبَقَتْ غَضَبِي)**<sup>(3)</sup> أو قال: **(إِنْ رَحِمْتِي تَغْلِبُ غَضَبِي)**.

فصفة الرحمة آثارها ومعانيها أعظم وأجل وأفضل من صفة الغضب. ولذلك من ضمن أدعيتنا التي ندعو الله بها، مما علمنا رسوله \_ عليه الصلاة والسلام \_ أن نستعيد ببعض صفاته من بعض، كما في دعاء القنوت الذي نردده في صلواتنا كثيراً. أما نقول: **(أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمَعَاذِكَ مِنْ عِقَابِكَ)**<sup>(4)</sup> تستعيد برضا الله، وهو صفة من صفاته، من غضبه وهي صفة أخرى من صفاته. وتستعيد بمغفرته ورحمته من عقابه وعذابه، فدل على أن المستعاذ به أكمل وأفضل، وكذلك صفة الكلام والقرآن.

(1) صحيح البخاري: ج6/ص2700 ح6986.

(2) الحاكم في مستدرکه ج 4 / ص 179 حديث رقم: 7286.

(3) صحيح البخاري: ج6/ص2700 ح6986.

(4) ابن ماجه في سننه ج 1 / ص 373 حديث رقم: 1179.

ولذلك جاء عندنا في كتب الحديث، ما يخلو كتاب من كتب الحديث، من كتاب اسمه فضائل القرآن. فيأتيك مثلاً فضائل سور معينة أفضل آية في القرآن مثلاً آية الكرسي، أفضل سورة في القرآن، ما نقول هذا؟ وهو ثابت في الأحاديث أفضل من غيرها من القرآن نفسه، لا أنها أفضل من سواها من كلام البشر، فالقرآن كله وكلام الله كله لا مجال أصلاً للمفاضلة بينه وبين كلام الخلق، ولا مجال للمفاضلة أصلاً وعقد المقارنة أصلاً بين الله وصفاته وبين المخلوقات، لا مجال لذلك أصلاً.

فالتفاضل في داخل صفات الله \_ عز وجل \_ فبعض القرآن أفضل من بعض قطعاً، آية الكرسي أفضل من آية الدين. وسورة الفاتحة تفضل غيرها. وجاء في البقرة وآل عمران من الفضائل ما يفضلها عن غيرها وهكذا.

فمن جهة المعنى الأول الذي قاله العلماء في معنى أنها تعدل ثلث القرآن أنها لفضلها؛ ولأن بعض القرآن يفضل بعض، فقراءتها في الثواب والأجر كقراءة ثلث القرآن. ولازم ذلك كما قال العلماء، أنه لو قرأها القارئ ثلاث مرات، فكأنما قرأ القرآن، يحصل من الثواب والأجر كما لو قرأ القرآن، هذا القول الأول. القول الثاني: وهو الذي نصره نصراً كبيراً، واختاره اختياراً واضحاً شيخ الإسلام ابن تيمية \_ رحمه الله \_ فله رسالة مستقلة في شرح هذا الحديث، في بيان معنى قول النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ أن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ما معنى ذلك؟ له رسالة مطبوعة في "مجموع الفتاوى". وله رسالة أخرى في شرح السورة، شرح سورة الإخلاص شرحاً مفصلاً واسعاً ابن تيمية، وله رسالة أخرى في بيان معنى قوله \_ صلى الله عليه وسلم \_ أنها تعدل ثلث القرآن.

ومجمل هذا القول الذي اختاره ابن تيمية \_ رحمه الله \_ وغيره أيضاً أن القرآن احتوى على معاني عظيمة وجليلة، ولا تخرج معاني القرآن كله عن ثلاثة أمور رئيسية:

الأمر الأول ما يتعلق بالإيمان والتوحيد. جزء كبير من حديث القرآن هو في بيان الإيمان والتوحيد ومتعلقاته. الحديث عن الله \_ جل وعلا \_، عن أفعاله الربوبية، عن أسمائه، عن صفاته، عن ألوهيته، عن تأسيس التوحيد، عن إبطال الشرك والرد على من أشركوا مع الله غيره، عن إثبات البعث بعد الموت والرد على منكريه، يعني كله يدور في مجال سواء ما يتعلق بالله، أو الملائكة، أو الرسل، أو الكتب، أو اليوم الآخر، بما فيه وصف الجنة والنار وما يعني يحصل فيهما، وغير ذلك من أمور. فالتوحيد والإيمان ومفرداتهما أخذت جزءاً كبيراً من القرآن، بمعدل الثلث تقريباً.

والقسم الثاني: الأخبار، ما يتعلق بخبر القرآن عن الأمم الماضية كقوم عاد، وثمود، وفرعون، ومثلاً مدين، ويوسف قصة يوسف وما جرى له ونحو ذلك، أخبار غيبية جرت في الزمن الأول. أخذت أيضاً جزءاً لا بأس به من حديث القرآن العظيم. والقسم الثالث: يتعلق بالأحكام، إما بالحلال، إما بالحرام، إما بالفرائض، إما بالواجبات، ما أمر الله به، ما نهى الله عنه.

فحديث القرآن لا يخرج عن أحد هذه الثلاثة، الذي أولها وأجلها الحديث عن الإيمان والتوحيد فهو ثلث القرآن؛ ولأن سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عباراتها المختصرة الجميلة، وآياتها القصيرة هذه، استوعبت تقريباً ما يتعلق بأمر التوحيد فيما يتعلق بالله \_ جل وعلا \_ وهو أصل ولب قضايا الإيمان كلها، فحققت المعنى الكلي الجملي لأمر الإيمان والتوحيد.

فمن اعتقد أن الله أحد سبحانه وتعالى، واحد أحد لا شريك له، ولا ند له، ولا نضير، ولا شبيه، ولا حقيق بأن يُعبد سواه، هذه من أعظم مفردات معنى الأحادية، وأنه صمد \_ جل وعلا \_ وأنه لم يلد ولم يولد، لم يخرج من أصل سابق ولا يلحقه فرع لاحق، وليس له كفؤ ولا نظير، فقد استوعب أو كاد معاني الإيمان ومفرداته ومطلوباته، بما لا مزيد عليه. ويكون غير هذه السورة إنما في النهاية يحقق مقاصدها، ويعني يؤدي إلى مؤداها، وإلى فحواها، وإلى معناها، فعدّها النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ بما أنها حققت أحد أثلاث القرآن المعنوية في حديث القرآن، أنها حقاً تعدل ثلث القرآن.

ولا مانع كما نعرف في أوجه الجمع بين الأقوال أن يكون كلا القولين صحيحين. بمعنى أن يكون كلا القولين صحيحاً، بمعنى أنها بالفعل حققت معاني الإيمان والتوحيد، وهو أحد أثلاث القرآن الثلاثة من جهة المعنى، وأن أيضاً يؤجر قارئها والمتعبد بتلاوتها، أو المعتقد لمعناها وفحواها ومدلولها، يؤجر أجراً عظيماً مضاعفاً، كأنه قرأ ثلث القرآن، وهذا يدل عليه أحاديث أخر كحديث أبي سعيد الخدري في موضع آخر، أخرجه البخاري في غير هذا الموضع، أبو سعيد الخدري أخرج له البخاري حديثاً آخر في هذا المعنى، تجردونه إذا راجعتم كتاب فضائل القرآن، "باب فضل {قل هو الله أحد}" من طريق رجل اسمه الوضاح المشرقي عن أبي سعيد. وهذا الوضاح ليس له في الصحيح سوى هذا الحديث.

قال أبو سعيد: ((خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال)) هذه قصة أخرى غير قصة

قتادة بن النعمان. فقال: ((أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟ قال قائلهم وأينا يطيق ذلك؟

فقال عليه الصلاة والسلام {قل هو الله أحد، الله الصمد} تعدل ثلث القرآن))<sup>(1)</sup> هذا يدل على أنه

(1) الطبراني في معجمه الأوسط ج 5 / ص 295 حديث رقم: 5359.

بالفعل يقصد معنى القراءة، ومعنى الفضل، ومعنى الأجر، مع فهم طبعاً مدلولها، وفحواها، وما تؤدي إليه من أمور التوحيد العظيمة بإفراد الله جل وعلا بالأحادية، والصمدية، وعدم الند، وعدم الشريك والمثيل والصاحبة والولد، وهذه هي مقاصد التوحيد الكبرى في النهاية.

فلا يمنع أن يكون كلا القولين أو كلا المعنيين مطلوبان، أنها تعدل ثلث القرآن من جهة المعنى، إذ حقت أمور التوحيد، وهو أحد أقسام حديث القرآن الثلاثة، وأنها بالفضل إن شاء الله يعني من قرأها معتقداً لها طالباً لفضلها، يحصل على أجر مضاعف كأنه قرأ ثلث القرآن. طيب هذا المعنى.

إخراج البخاري \_ أضيف نقطة مهمة \_ إخراج البخاري \_ رحمه الله \_ في هذا الحديث هنا، أي في كتاب التوحيد، في هذا الباب "باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله"، إشارة منه إلى أنه يختار في تفسير معنى قوله: **((تعدل ثلث القرآن))** أنها من جهة المعنى وإلا هو أخرج الحديث كما أخبركم في كتاب فضائل القرآن، وهو الموضوع المناسب؛ لأنه عقد باب اسمه "باب قل هو الله أحد" هذا المناسب أن يخرج، وقد أخرجه هناك، ليدل على أن المعنى في الأجر والثواب غير مرفوض؛ بل مطلوب لذاته، لكن هنا معنى جديد. إخراج في كتاب التوحيد، في "باب دعاء النبي أمته إلى التوحيد"، إشارة إلى أن هذه السورة من فهم معناها، واعتقد بفحواها، وآمن بها، قد حقق بالفعل أصول عظمة في التوحيد فيما يتعلق بالله سبحانه وتعالى من جهة ذاته، وصفاته، ومن جهة ألوهيته سبحانه وتعالى، ومن جهة نفي أن يكون له صاحبة، أو ولد، أو نظير، أو شبيه، أو مثيل تعالى الله وتقدس. فهذه أيضاً تضيفونها إشارة من البخاري في إدخال هذا الحديث هنا.

قوله: **(زَادَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ)** هناك إخراج في موضعين:

- موضع في فضائل القرآن ليشير إلى أن قراءتها أجزاها مضاعف إلى الثلث.
  - وإخراجه أيضاً هنا إشارة إلى المعنى الجديد، وهو أنها في المعنى تعدل ثلث القرآن أيضاً.
- فالبخاري بإخراجه الحديث في الموضعين، يرى أن كلا التفسيرين للحديث صحيح. في كتاب "فضائل القرآن" لم يقل (زاد إسماعيل بن جعفر)، وإنما قال (زاد أبو معمر قال حدثنا إسماعيل بن جعفر) وهنا اختصر.

فالذي زاده هو أبو معمر شيخ البخاري؛ لأن إسماعيل بن جعفر ليس شيخاً للبخاري؛ وإنما من طبقة شيوخ شيوخه، لكن الزيادة الحقيقية هي زادها أحد شيوخه وهو أبو معمر، والمقصود به أبو معمر القطيعي. وقد مرّ معنا، اسمه إسماعيل بن إبراهيم الهُدَلِي، كنيته أبو معمر، ولقبه القطيعي نسبة إلى القطيع.

في بغداد، وهو هذلي اسمه إسماعيل. هو الذي زاد في روايته عن شيخه إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري.

(عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) أي ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي إسحاق.

(عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَخْبَرَنِي أَخِي قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هذه

الزيادة تفيدنا فائدتين:

- الفائدة الأولى: منها عرفنا أن قتادة أخ لأبي سعيد، فدعانا ذلك إلى البحث عن الأخوة هذه هل هي من جهة الأب، فعرف أنها من جهة الأم كما ذكروا في سيرهم، وسميت لكم أمهما معا أُنَيْسَةَ بنت عمرو.
- الفائدة الثانية: بينت لنا أن الحديث من رواية قتادة بن النعمان، يرويه عنه أخوه أبو سعيد. وقد شرحت لك ذلك في البداية، وهو أن أبا سعيد لما أصبح لام أو عاتب أخاه قتادة في تكراره ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في صلاة الليل. ثم قتادة نقل ذلك إلى النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ وسأله هل في ذلك محضور في فعلي أنا قرأت "قل هو الله أحد" وكررتها وأخي أبو سعيد يعني يتقاربا يرى آياتها قليلة، وقيام الليل يعني الأفضل فيه كثرة التلاوة، وكثرة الآيات، ونحو ذلك ما دلت عليه أصول كثيراً من قول النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ ومن فعله. فكأن النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ رد انتقاد أبي سعيد، وأيد فعل قتادة، وأثنى عليه، وزاده علماً بأن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن في المعنى وفي الفضل، في المعنى وفي الفضل.

طبعاً أخذ منه الفقهاء جواز قراءة بعض القرآن، والاقتصار عليه، وتكراره حتى في صلاة الليل أو نحو ذلك، أخذوه من هذا الفعل، ومن ثناء النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ على فعل قتادة، وإخباره أن هذه السورة تعدل ثلث القرآن. اقرأ ما بعده.

قال \_ رحمه الله \_ : (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ حَدَّثَنَا عَمْرُو عَنْ ابْنِ أَبِي هَالِلٍ أَنَّ أَبَا الرَّجَالِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَهُ عَنْ أُمِّهِ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَكَانَتْ فِي حَجْرٍ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَائِشَةَ \_ رضي الله عنها \_ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيُخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ).

قوله هنا: **(حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ)** هذا يعني يقع نادراً، محمد هذا قوله:

**(حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ)** محمد هذا هو البخاري نفسه. وقائل حدثنا محمد هو راوي الصحيح عنه، وهو سميه وتلميذه محمد بن يوسف الفربري، سميته لكم راوي الصحيح عن البخاري، وهي أحاديث قليلة جداً يصرح فيها، أو يظهر فيها راوي الصحيح عن البخاري وهو الفربري مثل هذا الأسلوب. الأصل الذي تعودنا عليه أن قائل حدثنا هو صاحب الكتاب وهو البخاري، فيكون الاسم الذي بعد حدثنا هو أحد شيوخه. أليس كذلك؟ فنحتاج أن نبحث عن محمد هذا من هو من شيوخه، هل هو محمد بن سلام، هل محمد بن عيسى، هل هو محمد بن أحمد؟ من هو محمد هذا؟

لكن هنا حدثنا القائل ليس هو البخاري؛ إنما تلميذه راوي الصحيح عنه الفربري، فيكون محمد هو البخاري، ويكون شيخ البخاري هو من؟ أحمد بن صالح المصري، أبو جعفر المشهور بابن الطبري أحد الأئمة المشهورين. بقي السؤال: ولماذا هذا الحديث بالذات، وهو بضعة أحاديث في الصحيح كله يعني صرح فيها الفربري بهذا الأسلوب. ما قال مباشرة، أو كتب حدثنا، أو كتب شيخ البخاري مباشرة، على أن البخاري هو المتكلم؟ لماذا هو يظهر هذا؟ ذكروا له سبب، وهذا السبب أن الحديث الذي أمامكم الآن، حديث عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة ذكره، أقول ذكره البخاري في كتاب "فضائل القرآن" الذي سميته لكم، في باب {قل هو الله أحد} نجد البخاري يقول فيه، أي يدخل في فضائل هذه السورة، فيه عمرة عن عائشة بس وسكت البخاري نفسه، أي علّقه ولم يذكر لفظه.

ثم جاء هنا البخاري فروى الحديث مسنداً متصلاً بذكر لفظه. للحديث نظير وشبيهه في المعنى والقصة، وهو حديث آخر، صنع فيه البخاري مثل ما صنع بهذا الحديث في التعليق، لكنه لم يصله. إذا راجعت في كتاب الصلاة، نجد باب اسمه باب الجمع بين السورتين، وتكرار السورة في الركعة الواحدة، وقراءة سورة قبل سورة، باب يعني في كتاب الصلاة، يرى مسألة فقهية أنه يجوز أن تقرأ سورتين في ركعة، وتقرأ بخواتيم بعض السور، وتقرأ بجزء من سورة في ركعة، وجزء من سورة أخرى في ركعة أخرى.

وفي هذا الباب الذي سميته لكم في كتاب الصلاة، نجد البخاري يقول: **((فيه عبيد الله بن عمر))**

يعني العمري **((عن ثابت عن أنس))** وذكر قصة شبيهة تماماً بهذه القصة، وإن كان بعضها بينها فروقات، لكن تشابه القصتين جعل أكثر الشراح يرونها قصة واحدة، والصواب أنهما قصتين مختلفتين تماماً. وإن كانت في المعنى الكلي في {قل هو الله أحد} وتكرارها، وهي قصة إمام كان يصلي في بالناس في بني عمرو بن عوف في قباء، في مسجد قباء، الذي كان يسمى مسجد بني عمرو بن عوف، كان إمامهم الذي

يصلي بهم، كلما صلى بهم صلاة جهرية، كلما صلى بهم صلاة جهرية وقرأ الفاتحة، افتتح ب {قل هو الله أحد} ثم يضيف إليها سورة، يفعل ذلك في كل ركعتين في كل صلاة، وسموه اسمه كُثُوم بن الهِدم، من بني عمرو بن عوف، أنصاري صحابي فاضل، مات قديماً، حتى ما شهد بدر، مات قبل بدر.

فأصحاب المسجد لاموه. أذكر لكم القصة ثم نرجع إلى سبب إظهار الفريري لهذه الرواية. أنا أذكر هذا الكلام غير منظم أنتم نظموه. يقول لك من عيب المتكلم كلامه يجي مبعثر هكذا، وأنا هذا عيب في فتحملوه. أعرف ذلك جيداً مني.

فلاموه قالوا أنت الآن نراك تقرأ هذه السورة، ثم نراك لا تكتفي بها حتى تضيف إليها سورة أخرى. فإما أن تقرأ بها فقط، وإما أن تغير وتقرأ بغيرها. ليش هذا التصرف منك؟ تقرأها فكأنك ترى أنها لا تجزئ مثلاً، أو لا تكفي فتضيف إليها أخرى، ثم تفاجئنا بأنك تفعل ذلك دائماً وفي كل ركعة. فإما أن تقرأ بها وتقتصر، وإما أن تقرأ بغيرها وتغير. فقال ما أنا بفاعل، فإن شئت صليت بكم على ما أنا عليه، وإلا تركتكم، فأروا أن له فضلاً عليهم في القراءة والعلم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، وكرهوا هذا الفعل منه. فكان الحكم هو النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ فأخبروه، فدعاه النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ فقال: مالك لا تفعل ما يأمرك به أصحابك؟ وما يحملك على لزوم هذه السورة؟ وما يجعلك تصنع ذلك في كل ركعة؟ ثلاثة أسئلة مهمة؛ لأنه سبني عليها مسألة فقهية، انتبهوا لهذه المسألة. في آخر الدرس عندنا مسائل فقهية سئرتب.

هذه الأسئلة النبوية الثلاثة من رسول الله إلى كل كُثُوم بن الهدم إمام قباء.

أولاً: لماذا لم تفعل ما يأمرك به أصحابك؟

ثانياً: ما يحملك على لزوم هذه السورة بعينها؟

ثالثاً: لماذا تصنع ذلك في كل ركعة؟

فقال ذلك الرجل: إني أحبها، هذه السورة أحبها، يتلذذ بها، متمتع بمعانيها. فيعني حبه لها جعله يكررها هذا التكرار، ويعيدها، ويفعل هذا التصرف. فقال النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ : ((حبك إياها أدخلك الجنة)) حبك إياها أدخلك الجنة هكذا الحديث. هذا رواه البخاري أين؟ في الصلاة "باب الجمع بين السورتين" (26:52) سمعتم معلقاً قال فيه عبید الله بن عمر، عن ثابت، عن أنس، ولم يعده في موضع آخر من الصحيح مطلقاً، لا معلقاً ولا موصولاً. لكن حديث صاحب السرية، حديث عمرة عن عائشة، علقه نعم بما سمعتم في كتاب "فضائل القرآن" بقوله: (فيه عمرة عن عائشة) ولم يذكره لفظه. ثم هنا وصله وأسنده وذكر لفظه. فأراد الفريري، هذا ذكره بعض الشراح الدمياطي وغيره، أراد الفريري أن يبينها

إلى الفرق بين الحديثين، وأتبعنا قصتين، وما وجد أسلوب لهذا التنبيه إلا أن يغير الفردي راوي الصحيح في أسلوبه في كتابة الأحاديث، فأظهر اسم البخاري على أنه هو المتحدث، ليلفتك إلى أن هذه هي قصة عمرو بن عبد الرحمن، وهي غير حديث أنس في قصة إمام قباء. فتلك معلقة لم تكرر، وهذه جاءت في موضعين: أحدهما معلق، والآخر موصول.

إذن أحمد بن صالح كما قلنا الآن هو شيخ البخاري أحمد بن صالح المصري، أبو جعفر المعروف بابن الطبري؛ لأن أباه من طَبْرِسْتَان، أجمعوا على توثيقه إلا النسائي، وأهدر الأئمة قوله لأنه بناه على غير بينة لخصومة بينهما؛ بل قال الإمام أحمد ليس في مصر بعد الليث أثبت منه. ماذا تريد أكثر من هذا؟ ليس في مصر بعد الليث بن سعد، اللي هو إمام مصر المشهور في الثقة عند الإمام أحمد مثل أحمد بن صالح المصري هذا.

قال: **(حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ)** هو عبد الله بن وهب القرشي نسباً، المصري سكناً ووفاته أيضاً، أحد تلاميذ الليث، وأحد رواة "الموطأ" عن مالك.

قال: **(حَدَّثَنَا عَمْرُو)** هو ابن الحارث المصري أيضاً. اليوم سند مصري.

**(عَنْ ابْنِ أَبِي هَالِلٍ)** اسمه سعيد بن أبي هلال المدني. عاد خلصنا ما هو كل شيء مصري، نرجع إلى المدينة شوية. عن سعيد بن أبي هلال المدني.

**(أَنَّ أَبَا الرَّجَالِ)** اسمه كما سمعتم محمد بن عبد الرحمن، تضيف ابن حارثة بن الخزرج الأنصاري.

محمد بن عبد الرحمن بن حارثة بن الخزرج الأنصاري، كنيته أبو الرجال.

قال: **(حَدَّثَهُ عَنْ أُمِّهِ)** هي عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، الأنصارية تابعية، جليلة تربت

في حجر عائشة كما معنا في الرواية هنا، وهي مختصة بالرواية عنها، عدوها من الفقيهات القليلات من التابعيات من أهل المدينة. هي أم أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن.

**(عَنْ عَائِشَةَ)** زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - .

**(أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ)** الصواب أن هذه قصة صاحب السرية

غير قصة إمام قُبا. والمخالفة في تخريج البخاري القصتين، أشعرتنا بذلك. انتبهوا للكلام! بعثه على سرية يقودها في أمر من الأمور .

**(وَكَانَ يَفْرَأُ لِأَصْحَابِهِ)** في سفرهم ذلك.

**(فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلِّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)** صاحب قباء كان يفتح كل ركعة في صلاة جهرية بـ **﴿قُلِّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾** ويضيف إليها غيرها. صاحب السرية هذا كان يقرأ ما تيسر، ثم يختم قراءته في كل ركعة بـ **﴿قُلِّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾** فتشابه فعلاهما من جهة لزومهما لهذه السورة في كل ركعة. واختلفا في كون صاحب قباء كلثوم بن الهدم يفتح بها القراءة بعد الفاتحة، وصاحب السرية ولم يعرف اسمه يختم بها القراءة قبل أن يركع.

**(فَلَمَّا رَجَعُوا)** طبعاً أصحابه ما عتبا عليه شيئاً، كما عتب أصحاب قباء، لاموه قالوا شوف لك حل في القضية هذه. هؤلاء ما قالوا شوف لك حل؛ لأنها كلها أيام معدودة وسيرجعون وهو أمير السرية، ولا يريدون يحدثون خلافاً حتى يرجعون. هناك إمام المسجد، جالس لهم في كل فرض، وهم يعني رأوا هذا التصرف منه فيه شيء، فرفعوا أمره إلى النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ ولذلك اختلف تصرف النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ مع كلا الرجلين، واختلف الكلام بما ينبي عليه فوائد فقهية سنذكرها إن شاء الله. وإذا ما ذكرته ذكروني.

**(فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)** لاحظوا بارك الله فيكم أن أهل قباء وأصحاب السرية، ما يعني استقبلوا هذا الفعل من هذين الرجلين استقبال المرحب. أليس كذلك؟ لأنهما وجدوهما خالفا ما عهداه عن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ النبي يصلي بهم وما عهدوا النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ يلزم سورة واحدة، سواء **﴿قُلِّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾** أو غيرها، ويكررها في كل ركعة، ما عهدوا هذا في فعل النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ فكان النتيجة الطبيعية أن تصرف هذين الرجلين فيه مخالفة. أليس كذلك؟ لأن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ فهناك أنكروا وهنا سكتوا حتى أمروا وراجعوا في ذلك رسول الله \_ عليه الصلاة والسلام \_ هذه انتبهوا لها.

فقال النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ : **(سَأَلُوهُ)** في قصة صاحب قباء، استدعاه النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ . انتبهتوا للفرق الآن؟ هذا فرق آخر؛ لأن الفروق هذه تجعلنا نجزم بأن القصتين مختلفتين، مختلفتان قطعاً. هناك دعاه فسأله ثلاث أسئلة التي ذكرتها لكم: لماذا لا تفعل ما يأمرك أصحابك؟ وما يملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟ ثلاث أسئلة هنا ما قال هذا، ولا استدعاه، قال سلوه أسأله لأي شيء يصنع ذلك، ما هو السبب الذي يجعله يختم كل ركعة يصلي بها بهذه السورة.

**(فَسَأَلُوهُ فَقَالَ لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ)** أيضاً هنا اختلف جواب الرجل عن جواب صاحب قباء. صاحب قباء قال إني أحبها. طبعاً متعلق الحب، قد السورة جميلة في ألفاظها، وعظيمة في معانيها، وفيها

مقاصد كثيرة فأحبها. هذا واضح أنه يحبها، لكن ذكر سبب هذا التعلق بهذه السورة، وأنها تحقق عنده أعظم وصف للرحمن لله \_ سبحانه وتعالى \_ فكان جوابه يعني ليس خاصاً به أنه يحبها فقط؛ بل فيه ناحية علمية إضافية، أن هذا السورة تستحق أن تُحِب، وأن تُفضل على غيرها، وأن يُكرر قراءتها، وأن يُتأمل في معانيها؛ لا لأني أحبها كعلاقة خاصة بي.

وأكرر أنت قد تحب شيئاً من القرآن وتأنس به. ربما شخص تجده يحب سورة الكهف، يقع ذلك، يقرأها، يحبها، والآخر يحب سورة الرحمن مثلاً، يترنم بها، كل يوم يصلي بها في المسجد والآخر.. يعني يقع ذلك فيه يعني هذا غير مفهوم مع الاعتقاد أنه كل القرآن مجزيء في الصلاة.

إذا جئنا مجزيء أو غير مجزيء الكلام سيختلف تماماً، لكن كونه يعني يتلذذ بقراءتها، ويتمتع بها،

ويعني يحسن تلاوتها أكثر من غيرها، هذا شأن يخصه. لكن هذا صاحب السرية أضاف إضافة علمية عظيمة، وجليلة ومهمة فقال: **(لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ)** فتعلقه بها لتعلقه بصفات الله \_ سبحانه وتعالى \_، وحبها لها لحبها لصفة الله؛ لأنها حققت هذه السورة عنده وهو رجل عربي يفهم المعاني باللسان والسليقة، ما يحتاج إلى تفسير، ولا إلى أقوال علماء ولا إلى غيره. قرآن هذا بلسان عربي مبين، فتحقق عنده وارداً عظيماً، كأنها تحمل له صفة الرحمن بما يقع فيه، وفي خاطره، وفي صلواته من تعظيم الله، والخشوع له ما لا تحققه سورة أخرى عنده. فهي إضافة علمية معينة تزيد على كلام صاحب قباء أو إمام مسجد قباء. قال إنها صفة الرحمن.

الإمام ابن حزم أبو محمد ابن حزم أنكر هذا الحديث إنكاراً شديداً، وطعن في روايه سعيد بن

هلال، وقال كلاماً لا يحسن أن يقوله عن البخاري بسبب إخراجها للحديث في الصحيح؛ لأن ابن حزم يزعم أننا قولنا صفة، وصفات، صفة الله، وصفات الله كلمة مبتدعة مولدة، من توليد الفلاسفة والمتكلمين.

فلما أوردوا عليه هذا الحديث، قال كيف تقول كلمة مولدة، ومن صناعة المتفلسفة والمتكلمة، وهذا الصحابي قائد السرية يجيب النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وسائلوه لما يعتقد أنها صفة الرحمن، فيثني عليه النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ ويؤيده، ويقول بأن الله يحبه بسبب حبه لهذه السورة التي تحقق عنده صفة الله.

فما وجد ابن حزم، طبعاً إيراد قوي جداً عليه، ما هي مولدة لا من جهة اللغة ولا من جهة التأصيل

الشرعي، من زمن النوبة الكلمة.

وابن حزم \_ معلى نزيد شوية \_ ابن حزم اعترض على إطلاق كلمة الذات على الله، وإطلاق كلمة الصفة على الله أيضاً. لا تقل ذات الله عنده، ولا صفة الله. طعن في كلا.. وقال أنها من التوليدات، ومولدات المتكلمين، وهو مخطئ في كلا الأمرين. فكلمة الذات كلمة شرعية، وتضاف إلى الله، وجاءت في الأحاديث النبوية، وكذلك كلمة الصفة. وسيأتي لنا باب هنا في الصحيح "باب ما قيل في الذات"، هكذا البخاري عقد هذا الباب، "باب ما قيل في الذات"، وروى حديث قصة إبراهيم المشهورة النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ قال: ((كذب إبراهيم \_ يعني خليل الله إبراهيم \_ ثلاث كذبات كلهن في ذات الله))<sup>(1)</sup>، وروى حديث قصة قتل الصحابي هذا المشهور الذي خُبيّب بن عدي، الذي قتلوه في مكة وصلبوه، آياته المشهورة:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً  
وذلك في ذات الإله.....  
على أي جنب كان في الله  
مصرعي  
.....

وفي أحد الروايات:

.....وذلك في ذات الله وإن يشأ  
يبارك على أوصال شلو ممزع

وفي موضوع الصفة مردود عليه بهذا الحديث. ولذلك ما وجد ابن حزم لما عرض عليه إلا الطعن في صحة الحديث، وطعن في سعيد بن أبي هلال على وجه الخصوص، وقال له أوهام، وهذا من كيسه ولم يطعن فيه قبله أحد. انعقد الإجماع على توثيقه، ولا عبرة بالطعن بعد ذلك. فما يعني كلامه مردود لا من جهة الطعن في الحديث، ولا من جهة إنكاره للكلمة. فيجوز أن نقول ذات الله، وصفات الله، وصفة الله بناءً على ما سمعتم. وسيأتي هذا له باب خاص، باب ما قيل في الذات والنعوت والصفات. سيأتي لنا باب هنا في كتاب التوحيد، نحقق المسألة إن شاء الله بشكل أكبر وأوضح. فلما أجاب الصحابي بأن هذه السورة فيها صفة الرحمن. هنا يعني كلمة مهمة. اختار هذا الصحابي اسم الرحمن هنا، صفة الرحمن، هذا سببني عليه مسألة علمية، سأرجع الكلام عليها في الباب الذي بعده. اسم الله، اسم اللفظ جاء الله، واسم الرحمن لهما خصوصية من بين أسماء الله كلها، سأذكرها لكم إن شاء الله في الباب القادم "باب {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن} فقط لتكون الأمور مرتبطة.  
(وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ).

(1) ابن حنبل في مسنده ج 2 / ص 404 حديث رقم: 9230.

أيضاً اختلف جواب النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ هناك قال: **((حبك إياها أدخلك الجنة))** (1) وهنا قال: **(أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ)** وإن كان طبعاً يعني الجنة إحدى ثمرات محبة الله للعبد بلا شك، وبلا تردد. أخبروه أن الله يحبه.

هنا مسائل: المسألة الأولى: يظهر من القصة، وقصة صاحب قباء، نريد نحقق ثلاث مسائل:

- المسألة الأولى: حكم الجمع بين السورتين في القراءة. لو قام الإمام فقرأ بثلاث سور في ركعة، أو أكثر، أو أقل، هذه مسألة.
- المسألة الثانية: التزام قراءة سورة بعينها.
- المسألة الثالثة: تكرار ذلك في كل ركعة.

أما المسألة الأولى فيكاد ينعقد الإجماع على الجواز، يجوز بلا كراهية أن يقرأ القارئ المصلي سواء كان إماماً، أو منفرداً، بسورة أو أكثر بعد الفاتحة، إن شاء يجمع سورتين، ثلاث، أربع. ذلك الأمر لا يعني إشكال فيه، ولا خلل فيه، وأورد البخاري في كتاب الصلاة آثار تدل على ذلك. وهذه القصة، قصة صاحب قباء، وقصة صاحب السرية أيضاً تؤصل ذلك.

المسألة الثانية: التزام ذلك، التزام سورة بعينها، كما التزم صاحب قباء بافتتاحه بـ {قل هو الله

أحد}، والتزم صاحب السرية بالختم بها.

فلو جاء إمام مسجد اليوم، وفاجأنا أنه في المغرب والعشاء كلما أنهى الفاتحة، يلزم سورة سواء {قل هو الله أحد} مثلاً، أو ربما غيرها ثم يضيف إليها أخرى. هل يكون تصرفه هذا منكر ينكر عليها؟ أم بناءً على القصتين وما يفهم من فعل النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وهل يعد فعله تقرير لتصرفهما، فيعد من السنة التقريرية؟ ثم تكرار ذلك في كل ركعة. لو فعلها مرة واحدة، أو بين فترة وفترة، لربما هان الأمر. لكن إذا التزم ذلك في كل ركعة في كل صلاة على الدوام، هل يدخل ذلك في البدعة؟ لأننا نعلم قطعاً يقيناً أن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ لم يفعل ذلك، نجزم بذلك أو لا نجزم؟

نستطيع أن نجزم أن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وهو صاحب الشرع، ما فعل ذلك في حياته إلى أن مات. ما حصل أنه كرر سورة في كل ركعة، ولو حتى لأيام، ولا حصل أنه التزم سورة معينة يقرأها في صلواته يكرها أو كذا. فهل تكون هذه الأفعال بالسورتين، نزول سورة بعينها، سواء هذه السورة أو

(1) ابن حبان في صحيحه ج 3 / ص 73 حديث رقم: 792.

غيرها، وتكرار ذلك في كل ركعة، سيجعل هذان الفعلان صحيحان مقبولان، وتجعل تصرف النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ تقريراً ندخله ضمن السنة التقريرية أم لا؟

المسألة فيها بحث، ذكروه في كتب الأصول. الجمهور فيما أعرف والعلم عند الله على المنع، أنه لا يفعل ذلك، ولم يعتبروا فعل النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ تقريراً لتصرف صاحب قباء، ولا صاحب السرية، واحتجوا بحجتين:

الحجة الأول: أن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ اطرده من فعله عدم ذلك، ولا يمكن أن يطرد من فعل النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ عدم شيء ويكون غيره يعد ضمن الأمر المشروع. هذا أولاً.  
ثانياً: سؤالات النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ الثلاثة لصاحب قباء، تشعر بأنه قبل اعتراض القوم عليه؛ لأنه سأله ثلاثة أسئلة قال: ما منعك أن تصنع ما يفعل أصحابك؟ ولو كان الأمر مقرر عند النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ على الجواز من الأصل، ما كان لهذه الأسئلة، كان قال لهم هذا أمر لا بأس به مثلاً، أو دعوه، أو اتركوه، أو حتى يسكت ولا يقبل اعتراضهم، ويدخل بيته، أو يفعل فعلاً يشعر بأنه ما قبل شكواهم.

كونه يدعوه ويسأله، فيه نوع كما قال الجمهور يعني من يعني قبول ضمني، أو اعتراض القوم عليه. فقال ما حملك أو ما منعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك؟ ماذا أمره؟ قالوا لا تفعل هذا. إذا قرأت هذه السورة، اقتصر عليها خلاص تكفي واركع، أو اقرأ غيرها في غيرها، لا تلزمها في كل ركعة، القرآن كله كافي شافي كما قال النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ في أحاديث أخرى.

السؤال الثاني: وما حملك على لزوم هذه السورة بعينها؟ لأن هذا قد يحدث، ربما علمياً يحتمل كما نص عليه مالك أو غيره، أنه ربما يرى غيرها غير مجزئ مثلاً، أو لا يرى الركعة مجزئة أو كاملة إلا بإضافة هذه السورة إليها. فلو قرأ في ركعة ولم يأت بها، ربما وقع في نفسه أن الركعة التي لم يقرأ فيها من هذه السورة أنقص، فندخل في خلل شرعي من جهة أخرى. فيريد النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ أن يتثبت من هذه النقطة.

والسؤال الثالث: ليش تلزم هذا في كل ركعة؟ كان جوابه أنه يجب هذه السورة، ما عنده لا يعتقد أن غيرها لا يجزئ، ولا يعتقد أن السورة التي لا تقرأ فيها أنقص، ولا يفعل ذلك هكذا عناداً هكذا للقوم؛ وإنما يعني يجب هذه السورة.

فكان تقرير النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ لحيه إياها دون البقية. قال حبه لها ما فيه مشكلة؛ بل جيد وطيب وسيؤدي بك إلى الجنة. ما تبقى ما أجاب عنه، ما له جواب علمي، خالفت فيها المطرد من

فعل النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وكبار أصحابه، فهو غير مقبول منك مثل هذا الفعل وإن كان مقصدك بحبك هذه السورة جميل، وطيب، ويعني مؤيد عليه، وحبك لها سيؤدي بك إلى الجنة، ولم يقل صلاتك هذه وفعلك في الصلاة هو الذي سيؤدي بك إليها؛ قال حبك إياها. حتى لو أحببتها وما قرأتها إلا في صلاة الليل، لو ما قرأتها إلا في نوافل الصلوات، سيؤدي بك إلى نفس النتيجة. فيبقى بقية الأسئلة تُعاد وتحكم على التصرف النبوي المطرد من فعل ما فعله النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ قط ولا في ركعة واحدة مثل هذا الفعل.

فدل على أنه غير وارد في السنن، وبالتالي جمهور العلماء، وعلي المسؤولية ما عدوا هذا ضمن السنة التقريرية. فهتمم ولا لا؟

وإن كان أنني على الرجلين، لا من جهة التصرف، ولكن من جهة تعلقهما بهذه السورة. ذاك قال أحبها، وهذا قال صفة الرحمن. فهذا الحب وهذا الفهم لمعناها جميل وعظيم. حب السورة سيؤدي بك إلى الجنة، وفهمك لمعناها في صفة الرحمن، يجعل الله يحبك، وتنزل عنده بمنزلة عظيمة جليلة.

لكن هذا الفعل نستطيع أن نقول ربما يحدث في الصلاة على غير ما هو معروف مضطرد من سنة النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ يُحكم على فعل النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ . وإلا كما يقول الجمهور لم يكن لأسئلة النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ لكثوم بن الهدم إمام قباء فائدة، لقوله ما حملك؟ ولماذا تصنع ذلك؟ ما فائدتها؟

لو كان الفعل من الأصل عنده مقرر، لما احتاج أن يدعوه ولا يسأله؛ بل رد عليهم قال دعوه، أو تركوه، أو كلمة تشعر بأنه موافق على فعله كله. لكن الموافقة النبوية صدرت على حبه للسورة، وفهمه لفحواها ومعناها بالنسبة لصاحب السرية، ولا على الفعل والعلم عند الله. هذا كلام الجمهور وأنتم إذا أحببتهم تراجعون، وتثبتون لكم ذلك.

ماذا نقول الآن؟

\_ طالب:.....

نعم قالوا بالجواز، ولكن القليل الحقيقة. وأنا يعني ما أدري يعني قول الجمهور قول علمي قوي جداً، والعلم عند الله.

طيب نرجع إلى الصفة **(فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ)** طبعاً الثمرة

الكبرى العظيمة، أن التعلق بصفات الله سبحانه وتعالى، ومحبتها، والثناء على الله بها، واعتقاد الأكملية

المطلقة فيها، أحد أبواب الجنة، وأحد الطرق الموصلة إلى رضوان الله سبحانه وتعالى. هذا ثمرة كبيرة جداً،  
**((حبك إياها أدخلك الجنة))**<sup>(1)</sup>.

والثاني يقول صفة الرحمن فأخبروه بأن الله يحبه؛ لأنه أنا قلت في درس سابق يعني باب الصفات  
ومعرفته باب عظيم مهم؛ لأنك كيف تعظم الله، وكيف تثني عليه، وكيف تعرف جلاله، وكماله، وجماله  
سبحانه وتعالى، وكيف بالتالي تتعلق به إلا من خلال معرفتك بأسمائه العظيمة الحسنى الجميلة وصفاته  
العظيمة، التي تزيد وارد الإيمان، وتعظيم الله وتوقيره ومحبته عندك. هذا سيزيد حبك الله، وتعظيمك له،  
وتوقيرك له.

وإذا أغلق هذا الباب، أو ضعف وارده عند الإنسان، قلّ في مقابله تعظيمه لله، وحبه له سبحانه  
وتعالى، والتعلق به، فيغلق على من جهل ذلك فضلاً عما كفر به باب عظيم من أبواب ورود  
الجنة، وكسب محبة الله ورضوانه. وبالتالي كلما عرفت شيئاً أعظم وأكثر من أسماء الله، وتفقهت في معانيها،  
زاد تعلق قلبك بالله حباً وتعظيماً.

ونحن سيأتي معنا باب، باب المحبة في العلاقة بين العبد وبين الرب محبة. يعني المتكلمون هؤلاء ومن  
تأثر بهم أفسدوا هذا الباب باب المحبة إفساد عظيم، عندما حولوها من محبة قلبية تعلقية عاطفية وجدانية،  
إلى محبة عقلية. تعرف الفرق بين المحبة العقلية والمحبة العاطفية؟

أن قد تحب شيئاً استحساناً منك له. أنت اشترت جهاز جميل، له فوائد، تحبه عقلاً. يعني عقلك  
يؤدي بك إلى أن ترى هذا الجهاز ثمين، وتتمنى لو أنه يكون عندك؛ لأن فوائده كثيرة وللا لا؟ ولكن ما فيه  
علاقة قلبية، تروح مثلاً تنشُد الأشعار فيه، وما تنام الليل، ما يصلح هذا الكلام وللا لا؟ محبة عقلية. كما  
تحب مثلاً إمام من الأئمة، قد يحصل وللا لا؟ تحب صحابي على وجه الخصوص صحابي معين؛ لأن مناقبه  
وفضائله مثلاً أعجبتك كثيراً، واستحسنتها، هذا يسمونه الحب العقلي، يدخل في معنى الاستحسان، غير  
الحب القلبي العاطفي الوجداني هذا تماماً.

فنحن لا نريد أن نحول كما يقول محبة الله والعلاقة بين العبد والرب محبة عقلية، ولكن نُستخدم  
الاستحسان العقلي من خلال معرفتك لعظمة الله وجلاله، لتكثيف، وتنمية، وتكثير تعظيم الله في قلبك،  
وتوقيره، وتعلقه، ومحبتك له، فتطرق باب عظيم من أبواب الجنة. وسيأتي لهذا مزيد في باب المحبة إن شاء  
الله تعالى، باب قول الله....

(1) ابن حبان في صحيحه ج 3 ص 73 حديث رقم: 792.

## بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

قال \_ رحمه الله \_ : (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنِ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ وَأَبِي ظَبْيَانَ عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ \_ رضي الله عنه \_ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ).

قال الإمام البخاري \_ رحمه الله \_ : (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى) ترجم بلفظ الآية فقال: (قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) هذه الآية في أواخر سورة بني إسرائيل، تسمى سورة الإسراء. قال الله فيها ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ صدر بهاذين الاسمين ثم عمم فقال: ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

يرى بعض أهل التفسير، يرى بعض أهل التفسير أن قوله: ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾ ليس تعميماً لبقية الأسماء، ولكن أيًّا ما تدعوا من هذين الاسمين. هذه انتبهوا لها.

وفريق آخر من المفسرين، قالوا لا المقصود عموم أسماء الله الثابتة له، ولكنه صدر بأفضل وأكمل اسمين، وهما: اسم الله لفظ الجلالة الله، والرحمن. وقال أهل التفسير أيضاً أن سبب تصدير الله لهذه الآية في باب الدعاء والطلب قال: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ لأن هذين الاسمين لهما ميزة. هذه الميزة أن هذان الاسمان حكرًا، حكر على الله، لا يجوز شرعاً أن يتسمى بهما غير الله تحت أي ظرف وبأي وجه.

أما لفظ الجلالة الله، فهو اسم علم على الله سبحانه وتعالى، يُعرف جل وعلا به، وهو الدليل على الأسماء لا العكس. أنت تقول الرحمن من أسماء الله، لا العكس لا تقول الله من أسماء.. تقول الرحيم من أسماء الله، لا العكس لا تقول الله من أسماء الرحيم. لماذا؟ لأن الرحيم اسم مشترك، قد يتسمى به غير الله بنسبة معينة. تقول فلان رحيم، ألم يقل جل وعلا في وصف النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ

رُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(1)</sup> لكن اسم الله غير مشترك، حكر على الله لا يتسمى به غيره، فبه تعرف الأسماء لا العكس. هذه واحدة.

(1) التوبة: 128.

ثانياً: وهي أشار إليها الغزالي وغيره، يعني سبحانه الله العظيم لم يعرف أحد معلوم من البشر، تجراً أن يسمي نفسه الله. أكثر الكثير ما تجراً أن يفعلها. فهتت وللا لا؟ فهو اسم خاص به؛ ولذلك لما سئل سيويه إمام النحو أن يذكر تعريفاً لغوياً لهذا الاسم الله، وهي مادته اللغوية كما تعود النحاة واللغويون، كل شيء يرجعونه إلى أصله اللغوي.

قال أجاب بجواب جميل عظيم سيويه هذا \_ رحمه الله \_ فقال هو أعرف المعارف. يعني كيف تعرف أعرف المعارف؟ كيف تعرف شيء هو أعرف المعارف؟ أنت تعرف الشيء الذي فيه نوع جهالة تريد تعرفه. لكن أعرف المعارف الذي لا يمكن أن يجهل بحال، ما عندي له تعريف إلا أنه أعرف المعارف. وغيره من أهل اللغة لما طرقوا هذا الاسم لبيان معانيه، منهم من أرجعه إلى أصله الثلاثي: أَلِهٌ يَأْلُهُ إِهْلًا، فهو أصل كلمة إله، لكن فُحمت اللام فكانت وكأنها لآمان فقبل الله، وأصله الإله، هذا كلام الخليل وغيره. وبعضهم أرجعه إلى معنى آخر، وهو أن كلمة الله مأخوذة من الوله. تعرفون الوله؟ ما هو الوله؟ شدة المحبة، درجة عالية من المحبة؛ لأنهم يقسمون المحبة أقسام. من درجاتها العالية تسمى الوله، الذي يصرف المحب عن كل ما سوى محبوبه، ومنه كلمة الولهان. والشعراء يستخدمون هذه الكلمة، يقول لك ولهان، وما ولهان.

إذا كان ولا بد أن تكون ولهاناً، فكن بالله رب العالمين سبحانه وتعالى الذي يغنيك عن غيره، إن كان ولا بد، وارك كلام الشعراء هذا كله كلام يعني يأكلون به عيش. يعني لا يجوز شرعاً، ولا حتى عندي عقلاً أن تصرف محبة بهذا المستوى العالي لشيء سوى الله سبحانه وتعالى. انتبهتوا وللا لا؟ سواء تعلق بمحبة، ولا صورة، ولا شيء آخر. لا يجوز ذلك أبداً، خلاف العقل، وخلاف الشرع وحتى العقل، ما يستحق غير الله.

كلمة الوله هي معناها أن يصرفك عن كل ما سواه محبوبك، ولا يغني عنك سوى الله سبحانه وتعالى. فإذا انصرفت به عن كل ما سواه، فأنت قد وقعت في الغنى الحقيقي. أما إذا انصرفت بمخلوق، ولا بصورة، ولا شيء مما ينصرف به الناس هؤلاء، فتجمع خسارتين خسارة الدنيا والآخرة. أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

فكلمة الله من الوله، وهي شدة المحبة، فتركيبها اللغوي مرتبط بمعناها وفحواها. الله اسم عظيم جليل، حكر على الله سبحانه وتعالى، به يعرف، وبه تعرف الأسماء لا العكس كما قلنا.

أما الرحمن فأكثر أهل اللغة يقولون هو مصدر رَحِمَ يَرْحِمُ رَحْمَةً وَرُحْمًا، وَرُحْمَانًا. وربما خُفِفَ الضم فقيل رُحْمَانًا، فأصلها الرُّحْم، هكذا قالوا في الترتيب الميزاني للكلمة. رَحِمَ، يَرْحِمُ، المصدر: رَحْمَةٌ، أو رُحْمًا، أو رُحْمَانًا.

فإذا قيل رَحْمَانًا تخفيف، وأصلها الرُّحْمَان لأنها من الرحم. أضيفت الألف والنون إليها مبالغة؛ لأن من وظائف الألف والنون إذا أضيفت إلى الاسم الثلاثي تزيده معنى، وتفخيمًا وتعظيمًا. وللا لا؟ ما تعرفون هذا؟ زيادة الألف والنون، فأصلها رحمان.

ولذلك جاءت في الشاهد هكذا، لما استشهدوا على هذا المعنى، وأنها مشتقة من رحم يرحم رحما ورحمانا، وخفف الراء من الضم إلى الفتح؛ لأنها أسهل في النطق فقيل رحمانًا، استشهدوا بأبيات الشاعر هذا المشهور جرير بن عبد الله بن الحطفي، له قصيدة مشهورة هاج بها الأخطل التغلبي النصراني، كان بينهما مهاجاة مع الأخطل، قصيدة مشهورة التي أولها يقول:

بان الخليط ولو طوعت ما بان      وقطعو من حبال الصرم اقرانا

حي المنازل إذ لا نبتغي بدلا      بالدار دار ولا الجيران جيرانا

ختمها بيتين، قبل أن أذكر لك البيتين، فيها مسألة لغوية إلى اليوم في الكتب يعني، مو اليوم نحن ما نفهم شيء اليوم، يعني عجزوا في إعرابها. جمع فيها جرير بين خمس كلمات منصوبة متوالية، ما وقع في بيت من شعر العرب كله، خمس كلمات كلها منصوبة متوالات، فحاروا في تحديد الناصب لكل كلمة، وألفوا فيها رسائل خاصة والله. آخر بيتين في القصيدة يهاجي الأخطل فيقول:

لن تبلغوا المجد أو تشروا عباءكم      بالخز أو تجعلوا التموم ضمرا

أي اسمعوا

أو تتركون إلى القسين هجرتكم      ومسحكم صلبهم رحمن قربانا

هيا أعرها إن كنت شاطر، أعطيك مائة ريال والله. إذا حدّدت الناصب لكل كلمة من هذه الخمس.

"أو تتركون إلى القسين" يعني إلى القسس والكنايس هجرتكم. يلوم النصراني هذا، رايحين جاينين على الكنيسة يعبدون صليب، والقسيس يأخذ هذه الأموال ويحط عليهم حديدة على رؤوسهم هكذا بركة، ايش هذا؟... مثلهم وأخس منهم حتى. البركة من عند الله، تأتيك البركة من الله، مو أحد يمسح على رأسك، وما أعرف كيف يسوي حركات، حتى وتداع في التلفاز يعني من سماحة العلماء والفضلاء، ما فيها، البركة عند الله سبحانه وتعالى، اطلبها من الله بعبادته، واترك الكلام هذا كله. يعني نروح لشغلات

أو تتركون إلى القسين هجرتكم  
هذا المنصوب الأول

.....

ومسحكم صلبهم رحمن قربانا

.....

كلام لغوي هذا جرير يستشهد بكلامه في اللغة ترى؛ لأنه قبل دخول العجم على العرب، شعر  
جرير والفرزدق على الصحيح من شواهد اللغة، فاجتثوا عن الناصب لكل كلمة، ستجدون الثلاثة الأولى  
سهلة، لكن الكلام كله في الأخرتان وهي كلمتي: "رحمانا قربانا". ما إعرابهما؟  
أعطيكُم فائدة حتى تراجعون. الشيخ الأمين الشنقيطي \_ رحمه الله \_ صاحب "الأضواء"، له رسالة  
في هذين البيتين، راجعوها وملتقي الأسبوع القادم إن شاء الله، بس ما فيه مائة ريال. في رحلة الحج له كتاب  
له اسمه "رحلة الحج"، في آخرها تستفيد فائدة عظيمة، إذا ما فهمتم أخبروني.  
للحديث بقية نكملها في الدرس القادم والسلام عليكم ورحمة الله.



## الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين. وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وناصر المؤمنين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه.  
أما بعد:

فابتدأنا في درسنا السابق في **(باب قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)** وهذا الباب عقده البخاري للدلالة الشرعية من القرآن والسنة النبوية، على اتصاف ربنا \_ جل وعلا \_ بصفة الرحمة، التي هي من صفاته الجليلة العظيمة، وتسميه بأسماء تدل على تلك الصفة، من أعظمها هذا الاسم الذي ذكر في هذه الآية وهو اسم الرحمن. وقلنا في الدرس السابق أن هذه الآية صُدِّرت بهذين الاسمين الجليلة العظيمين: الله، والرحمن، لسببين:

السبب الأول: اختصاص الله \_ جل وعلا \_ بهذين الاسمين. فلا يجوز شرعاً إطلاق أي منهما على غيره. لا يجوز شرعاً مطلقاً إطلاق أي منهما على أحد غيره الله والرحمن. والله لفظ الجلالة الله إما قلنا مشتق من كلمة الإله، على ما قاله الخليل بن أحمد، أو مشتق من كلمة الوله وهي غاية المحبة. وإما أنه اسم هكذا علم، وُضع للدلالة على الله جل وعلا، ليس مشتقاً من أي كلمة. وهذا المذهب الأخير تبناه عالم لغوي مشهور اسمه أبو عمرو المازني. وجرى في هذا الموضوع، جرت مناظرة علمية بين أبي عمرو هذا المازني، وعالم آخر اسمه أبو جعفر الناشي أو الناشي، تجردونها في كتاب اسمه "تحفة العلماء"، وذكر بعض هذه المناظرة الزجاج أبو إسحاق في كتابه المشهور "اشتقاق أسماء الله الحسنى" من أراد فليراجعها.

وأما اسم الرحمن، فهو مشتق كما قلنا من الرحمة، فهو مصدر رَحِمَ يَرْحَمُ رَحْمَةً وَرُحْمًا، وأضيفت إلى الرَّحْمِ وَالرَّحْمِ الْأَلْفُ وَالنُّونُ فَقِيلَ رَحْمَنٌ. وهو اسم أيضاً علم لا يجوز إطلاقه على غير الله \_ جل وعلا \_ . ولم يعرف أحد تسمى لا باسم الجلالة الله، ولا باسم الرحمن، إلا ما ذكروه في كتب السير، أن مسيلمة الكذاب ما اكتفى بأن يدعي النبوة. يعني ما شاف ذلك يعني قانعاً لطمعه، وخبث طويته ادعى النبوة، حتى ذهب فسمى نفسه رحمن اليمامة، وهي قريب جداً من ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾<sup>(1)</sup> يعني أو ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ

(1) النازعات: 24.

**مَنْ إِلَهٍ غَيْرِي** ﴿<sup>(1)</sup>﴾ التي قالها قبله الكذاب الأكبر فرعون. وهكذا حبل الكذب والافتراء ممدود وطويل، ولذلك قتله الصحابة في غزوة اليمامة أو غزوة الحديقة المشهورة.

السبب الثاني في تصدير هذه الآية بهذين الاسمين وهو سبب مهم، وهو أن كل الإضافات التي في القرآن العظيم، من أفعال الربوبية، أو من حقوق الألوهية، تضاف إلى الله بأحد هذين الاسمين: إما الله، وإما الرحمن.

اقرأ القرآن وتأمل، تجد أي إضافة سواء أضيف إلى الله فعل كالحلق، والرزق، والإعطاء، والمنع، والإحياء، والإماتة، إما تضاف إلى الله باسمه الله، أو إلى اسم الرحمن.

لا تجد في القرآن يعني إضافة كفعل من أفعال الربوبية إلى الله بغير أحد هذين الاسمين، وكذلك

حقوق الألوهية، وكذلك حقوق الألوهية **﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾** <sup>(2)</sup> **﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾** <sup>(3)</sup> وتلك الآية تقول: **﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾** <sup>(4)</sup> وتلك آية أخرى

يعني تدل على صفة الرحمة **﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾** <sup>(5)</sup> لا تكاد بل لا تجد إضافة فعل من أفعال الربوبية، أو استحقاق من استحقاقات الألوهية في القرآن يضاف إلى الله، إلا بأحد هذين الاسمين لا غير.

ولهذين السببين صُدرت الآية الداعية إلى تعظيم الله، والثناء عليه، ودعائه التي في سورة الإسراء بهذين **﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾** وانبنى على هذا خلاف يعني في

التفسير، في تفسير الآية. الخلاف في قوله: **﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾** أكثر أهل التفسير حتى نكون يعني منصفين في النقل، يقول أن كلمة **﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾** تعم جميع أسماء الله الثابتة. فبأي اسم من أسماء الله الثابتة له، صح أن تدعو الله به. يمكن تقول يا عظيم، أو يا كريم، أو يا رزاق، أو يا حلیم، يا غفور، يا رحيم.

والقول الثاني: أن **﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾** انعطافاً على ما تقدم، يعني سواء دعوت الله باسمه الله، أو

دعوت الله باسمه الرحمن، أي ما دعوت من هذين الاسمين صاغ ذلك. هذا قاله بعض أهل التفسير، ويعني قد يكون عليه اعتراض، أو رد. وأعظم ما يرد به عليه ذكره، الألوسي وغيره، تاء التعميم في نفس الآيات

(1) القصص: 38.

(2) الفرقان: 60.

(3) مريم: 44.

(4) الأعراف: 54.

(5) الرحمن: 1-2.

﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ فهذا التعميم يقضي على هذا الفهم الثاني وإن كان قاله بعضهم، أحببت ذكره حتى نستوفي المعنى.

ثم روى البخاري الحديث، الذي معنا الآن قرأناه في الدرس السابق وهو قوله: **(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ)** في بعض النسخ محمد غير منسوب. أنت تضيف محمد بن سلام، هذا البكندي البخاري، بكند بلدة في بخارى، أو قرية صغيرة أو محلة، ينسب إليها هذا الشيخ من شيوخ البخاري محمد ابن سلام البكندي البخاري.

قال: **(حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ)** هو الضرير اسمه محمد بن خازم، كان آية في الحفظ مع كف بصره. **(عَنْ الْأَعْمَشِ)** سليمان بن مهران.

**(عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ)** هو الجهني. زيد بن وهب جهني يكنى أبا سليمان، كوفي توفي سنة ثمانين، مخضرم، يعني عاش فترة من حياته في الجاهلية، ولم ير النبي عليه الصلاة والسلام، وإن كان أسلم في حياة النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ لكن لم يره ففاته شرط من شروط عده من ضمن الصحابة، فيقال له المخضرم.

**(وَأَبِي ظَبْيَانَ)** أبو ظبيان اسمه حصين الجني، حصين الجني نسبة إلى قبيلة يمنية اسمها جنب، كما ذكر ذلك صاحب كتاب "اللباب في معرفة الأنساب". توفي سنة تسعين، وثقه الجميع، ويعني لم يقدر فيه أحد. ولكن البخاري لم يخرج له في الصحيح استقلالاً؛ وإنما يخرج له مضافاً إلى ابن هب أو غيره. ونفس هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب "الأدب"، حديث جرير هذا، وترجم له "باب ما جاء في رحمة الناس والبهائم"، وروى نفس الحديث بنفس السند، بإسقاط أبي ظبيان والاقتصار فقط على زيد بن هب الجهني.

**(عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ)** جرير بن عبد الله هو البجلي الأحمسي، صحابي. قال ابن عبد البر في "الاستيعاب" أنه أسلم قبل وفاة النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ بأربعين يوماً، وخطأه العلماء في ذلك، خطؤوا ابن عبد البر، وبيّنوا أن إسلام جرير كان قبل وفاة النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ بمدة لا تقل عن أربعة إلى خمسة أشهر، بدليل أن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ بعثه في السنة التاسعة من الهجرة لهدم الصنم المشهور الذي كان يُعبد في عتخم ودوس هناك، وهو ذو الخَلَصَة، وهو آخر أصنام الجاهلية التي كانت في جزيرة العرب.

لما أسلم جرير، بعثه النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ مع رجال من أحس لهدم هذا الصنم، فاشتكى له جرير بأنه لا يكاد يثبت على الخيل، فضرب النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ في صدره وقال: ((اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً))<sup>(1)</sup> وكان يركب يعني الفرس من غير سرج حتى، ما شاء الله. وشهد حجة الوداع، وهذا ثابت في الصحيح، وله رواية في الصحيح أن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ قال له: استنصت لي الناس في الحج، لجرير هذا، يسكتهم حتى يسمعون كلام النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ عليه وسلم .

هذا يدل على أن إسلامه أربعين يوم ما تكفي لهذه، حجة الوداع فقط فيها يعني زيادة على ذلك كثيراً. والصواب أنه أسلم عام الوفود أو سنة الوفود، وهي سنة تسع ضمن وفد بجيلة، الذين وفدوا على النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وكلفه بتلك المهمة، وشهد حجة الوداع مع النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وعاش مع النبي بقية حياته \_ عليه الصلاة والسلام \_ حتى توفي عليه الصلاة والسلام، وهي تنيف على أربعة أشهر.

فجرير بن عبد الله يقول: (قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ)، (يَرْحَمُ النَّاسَ) بالكسر، هذا الكسر يسمونه الكسر العارض لتخفيف السكون. وأصل الكلمة ساكنة، (لا يرحم الله من لا يرحم الناس) يجب أن تسكن (يرحم) هكذا وضعها الإعرابي. ولكن لما كان في التسكين ثقل في اللسان؛ لأنك تحتاج أن تقف وتقطع وتسكت لتنتقل إلى الكلمة التي بعدها، سهلت العرب هذا السكون بالكسر فتقرأ هكذا: (لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ) بالكسر. في اللفظ الذي أخرجه البخاري في كتاب "الأدب": ((من لا يرحم لا يرحم))<sup>(2)</sup> وفي هذا النص وفي هذا اللفظ أولاً إثبات صفة الرحمة لله \_ سبحانه وتعالى \_، وأن هذه الصفة صفة الرحمة يُنظر إليها من جهتين اثنتين:

أولاً: هي صفة من صفات الله الذاتية، وقائمة بذات الله جل وعلا. ولذلك هو رحمن، رحيم، أرحم يعني بعباده من الوالدة بولدها \_ جل وعلا \_.

(1) البخاري في صحيحه ج 5 / ص 2260 حديث رقم: 5739.

(2) البخاري في الأدب المفرد ج 1 / ص 136 حديث رقم: 371.

ومن جهة أخرى: هي صفة فعلية بمعنى لها أثر على الخليفة، كما دل عليها هذا الحديث: **(لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ)** مفهومه أن من رحم الناس، ورحم الخلق ونحو ذلك، استجدى على نفسه واستنزل على نفسه رحمة أرحم الراحمين سبحانه وتعالى.

فرحمة الله سبحانه وتعالى، ينزلها الله، ويمنحها الله، ويرحم بها سبحانه وتعالى الرحماء من عباده كما جاءت في نصوص كثيرة تدل على ذلك **((إنما يرحم الله من عباده الرحماء))** <sup>(1)</sup> وكما في الحديث الذي سيأتي بعد هذا، في قصة سعد بن عُبادة، وغيرها من الألفاظ الكثيرة، والأحاديث الكثيرة الدالة على أن الله متصف في ذاته بصفة الرحمة \_ جل وعلا \_ فهو الرحمن الرحيم. هذا بالنظر إلى هذه الصفة من جهتها الذاتية، ولها أثر وهو ما يسمى بالصفة الفعلية، وهو أثر ذلك على الخلق قال الله تعالى: **﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾** <sup>(2)</sup> فلها أثر.

ولذلك جاء في بعض الأحاديث، وسيأتي معنا هنا في كتاب التوحيد في باب آخر عن صفة الرحمة "باب قوله تعالى {إن رحمة الله قريب من المحسنين}" يقول النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_: **((إن الله لما خلق الرحمة خلقها مائة جزء فأنزل جزءاً يتراحم به الخلق فيما بينهم حتى أن الدابة لترفع حافرها عن وليدها خشية أن تصيبه وأبقى تسعاً وتسعين جزءاً فإذا كان يوم القيامة ضم ذلك الجزء إليها رحمة يرحم الله بها عباده))** <sup>(3)</sup> وهنا يقول إن الله لما خلق الرحمة، هذه تنظر إليها من جهة الأثر والتمرة، أي أن الله لما كان في ذاته رحماناً رحيماً، ذو رحمة سبحانه وتعالى، خلق مادة الرحمة هذه وأودعها يعني الخلائق بما فيهم البهائم، يتراحم بها الخلق فيما بينهم، واذخر لهم من هذه الرحمة المخلوقة أجزاء كثيرة جداً، يتجاوز الله بها، ويرحم بها من شاء من عباده يوم القيامة.

وفي حديث آخر: **((اختصمت الجنة والنار))** <sup>(4)</sup> هذا أيضاً في الصحيح. الجنة خلق من خلق الله، خلقها الله وجعلها يعني مكاناً، وموعداً، وموتلاً لعباده المؤمنين. وخلق النار وجعلها وعيداً، وجحيماً، ونكالاً ينتظر أعداءه \_ جل وعلا \_ من الكافرين والمنافقين والمجرمين. وكلا الجنة والنار مخلوقتان. فاختصمت الجنة والنار فالجنة تقول: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وفقراءهم؟ وهذا هو الواقع والذي سيقع.

(1) البخاري في صحيحه ج 6 / ص 2711 حديث رقم: 7010.

(2) الأعراف: 156.

(3) مسلم في صحيحه ج 4 / ص 2108 حديث رقم: 2752.

(4) البخاري في الأدب المفرد ج 1 / ص 195 حديث رقم: 554.

أكثر من يؤمن بالأنبياء والرسل، ويهتدي بما أنزله الله \_ جل وعلا \_ من هدى. ويكون في الغالب مخبتاً لربه، وموقناً بوعدده، صالحاً في عمله، هم البسطاء من الناس والفقراء، ويعني من في حكمهم ومعناهم، وهو قريب إليهم. ويعني في المقابل أكثر أهل النار كما تقول النار نفسها، ما لي لا يدخلني إلا الجبارون، والمتكبرون؛ لأن الكبر، والجبروت، والجاه، والسلطان، والمال تطغي وتدفع النفوس البشرية إلى التمرد على حكم الله، وأمره، وتكذيب الرسل.

ولذلك نحن نقرأ في القرآن أن أول من يعادي الأنبياء، ويبهتهم في وجوههم، ويقوم بالحرب عليهم، هم الكبراء، الملاء من الملوك، والرؤساء، وأصحاب الجاه والمصالح، خشية على ملكهم طبعاً، وعلى جاههم، وعلى سلطانتهم، وعلى مقاماتهم التي تعودوا عليها قبل أن تأتي دعوات الرسل، وتنزل أحكام الله سبحانه وتعالى. فلذلك كان أكثر واردي النار من هذا الجنس.

فالجنة والنار تختصمان. الجنة تقول ما لي لا يدخلني إلا الضعفاء، والفقراء، والبسطاء. والنار تقول ما لي لا يدخلني إلا المتكبرون، والجبارون. فحكم الله بينهما فقال \_ جل وعلا \_ قال للجنة أنت رحمتي، أنت رحمتي؛ مع أن الجنة كما قلنا خلق من خلق الله، لكن نسبها إلى نفسه بصيغة الرحمة، من باب إضافة المخلوق إلى الخالق إضافة التكريم والتشريف والرفعة، كما تقول رسول الله، وبيت الله، وناق الله، ونحوها. ((أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي وقال للنار: أنت عذابي)) وفي بعض الألفاظ قال: ((أنت غضبي أعذب بك من أشياء من عبادي))<sup>(1)</sup>.

فيجب أن ننظر إلى هذه الصفة الجليلة العظيمة من هاتين الجهتين. ولذلك يعني ما نقله الحافظ من بعض الكلام من بعض الشراح، يعني خاضوا في هذا الجانب خوضاً كثيراً، وأكثرهم يفسر هذه الصفة المنسوبة إلى الله من جهتها الثانية، من جهة الفعل والأثر. ولذلك يقول لك الرحمة هي إرادة النفع للخلق، ويأتيك من يقول الرحمة إثابتهم على أعمالهم، ونحو ذلك. هذه ثمرات الرحمة ونتائجها، لما كان الله رحيماً، ورحماناً، وذو رحمة، يتجاوز عن العباد، ويعفو عنهم، ويغفر لهم. ولولا رحمة الله سبحانه وتعالى، والطمع فيها، وانتظارها لهلكنا جميعاً.

قال رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ : ((واعلموا أن أحدكم لن يدخل الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضلاً))<sup>(2)</sup> رحمة الله هي المفرع .

(1) البخاري في الأدب المفرد ج 1 / ص 195 حديث رقم: 554.

(2) ابن حبان في صحيحه ج 2 / ص 62 حديث رقم: 348.

فأقول يعني ما نقله الحافظ \_ رحمه الله \_ من بعض الأقوال، إنما نظروا إلى هذه الرحمة من جهة ثمرتها، وآثارها على الخلق، وهو أحد جانبي هذه الصفة، ولكنها صفة قائمة بذات الله \_ جل وعلا \_ . فلما كان هو في ذاته رحماناً رحيماً، ذو رحمة واسعة، كان من أثر ذلك العفو، والصفح، والتجاوز، ويعني إدخال الجنة والنجاة من عذاب الدنيا والآخرة، أو نحو ذلك.

فتفسيرها بالأثر دون النظر للأصل خلل، فينبغي يعني أن يقال ولا ينبغي أن ينظر إليه. ولذلك أخبرتكم أن هذه الصفة هي من جهة صفة ذاتية قائمة بذات الله، فهو الله الرحمن الرحيم، ولها آثارها على الخلق كما بينتم لكم.

وقوله صلى الله عليه وسلم: **(لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ)** مفهوم المخالفة منه أن من رحم الناس، وأشفق عليهم، وتجاوز عن ما أسأؤوا به إليهم، يوشك أن ينال نصيبه الأوفر من رحمة الله، وعفوه، والعكس صحيح.

كلما قسا قلب الإنسان، وتجرد عن الرحمة إلى القسوة، والصلف، والمشقة على الخلق، وتعذيبهم، وإرهاقهم، ونحو ذلك، كان أبعد عن الله وعن رحمته. وأخسر الناس صفة وحظاً ونصيلاً من عفو الله وعافيته سبحانه وتعالى. لذلك جاء في الحديث الصحيح: **((إن الله جل وعلا يوم القيامة يعذب الذين يعذبون الناس))**<sup>(1)</sup> وهذا مقتضى العدل.

وقال \_ عليه الصلاة والسلام \_ : **((صنفان من أهل النار لم أرهما))**<sup>(2)</sup> أي لم يرهما في الواقع، لكن أخبر أنهم سيأتون بعد ذلك، وذكر طبعاً **((النساء الكاسيات العاريات والمميلات وقوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس يروحون بغضب الله يغدون في غضب الله ويروحون في سخط الله))**<sup>(3)</sup> وتخيّل يعني كيف يعيش إنسان وهو يصبح في غضب الله، ويمسي في سخط الله، ثم يأكل ويشرب ويضحك. فلا تكونوا من هؤلاء الذين هم يتقلبون بين غضب الله وسخطه.

وكثير من الناس انعكست مفاهيمهم، فيظنون أن الرحمن يفسرها بعضهم بنوع من الضعف. يعني الإنسان إذا كان ضعيف، وما يستطيع أن يستخلص حقه، ويعني كذا درويش، ولا مثل ما يقولون يعني، يفسرونها بأنها نوع من الخلل، والضعف. هذا منطق جاهلي، نعم كان أهل الجاهلية على ذلك، وكانوا

(1) ابن حنبل في مسنده ج 3 / ص 403 حديث رقم: 15366.

(2) مسلم في صحيحه ج 3 / ص 1681 حديث رقم: 2128.

(3) مسلم في صحيحه ج 3 / ص 1681 حديث رقم: 2128.

يتفاخرون في أشعارهم بذلك. كلما كان صلفاً، خبيثاً، ظالماً، هذا رجال يعني. وكلما كان يعني عفواً رقيقاً، قالوا هذا أبله ودرويش، وما يفهم وكذا.

والظلم من شيم النفوس....

الظلم في عرف الجاهلية يصبح من شيم النفوس كما قال الشاعر:  
والظلم من شيم النفوس فإن بجد  
ذا عفة فليعلل لا يظلم.

إذا وجدت أحد لا يظلم وكذا، اعرف انه تعبان مريض ولا ما فيه خير. هذا منطق الجاهلية. وأما منطق ودعوة القرآن العظيم، الله رب العالمين لا يقوم لقدرته ولا لقوته شيء، ولا أحد يملك منه شيئاً. لو أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ولا يبالي، ومع ذلك اتصف بصفة الرحمة، فهو رحمن، رحيم، عفو، كريم سبحانه وتعالى، وأنبيأه ورسله عفواً عمن ظلمهم، وعاداهم كيوسف \_ عليه الصلاة والسلام \_ مع إخوته، ومحمد صلى الله عليه وسلم مع قومه مع شدة الأذية. هذه من شيم النفوس الرحمة.

وهي كما قال بعض العلماء. نقل ذلك ابن القيم أن الرحمة هي مرادفة للإيمان. بقدر ما يكون العبد مؤمناً، بقدر ما يكون رحيماً، رقيق القلب، قريباً، مألوفاً، سهلاً. لا يجد الناس منه لا في بيع، ولا في شراء، ولا في معاملة، مشقة ولا عنت. وإن كان بعضهم يفسر هذا بالضعف. كيفهم يفسرونه كما يشاؤون.

قال عليه الصلاة والسلام: ((ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره))<sup>(1)</sup> وفي رواية وفي بعض الأحاديث: ((أهل الجنة كل مخموم القلب))<sup>(2)</sup> مخموم القلب الذي قلبه رقيق، رحيم، سهل، قليل الحال، يعني ما هو مستكثر من متاع الحياة الدنيا. حتى إذا مات، يمت عن قلة وخفة، ما يموت عن مصائب كانت كالجبال شوف متى يخرج منها.

وفي الحديث الآخر قال عليه الصلاة والسلام: ((المؤمن مألفة))<sup>(3)</sup> المؤمن يؤلف بسرعة، وتقبله النفوس، للطفه، ورقة قلبه. يقول عليه الصلاة والسلام: ((ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف))<sup>(4)</sup> وشر الناس من ودعه الناس اتقاء فحشه وشره. فهي مرتبطة بالإيمان لزماً.

(1) سنن ابن ماجه: ج2/ص1378 ح4115.

(2) ابن ماجه في سننه ج 2 / ص 1410 حديث رقم: 4216.

(3) الطبراني في معجمه الكبير ج 6 / ص 131 حديث رقم: 5744.

(4) الطبراني في معجمه الكبير ج 6 / ص 131 حديث رقم: 5744.

ودليل ذلك من الواقع، من أسلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا قبل الإسلام في جاهلية قساة، وبلغت بهم القسوة مراحل عالية جداً لدرجة أنهم تجاسروا على أن يقوم أحدهم ليأخذ ابنته وهي طفلة صغيرة بنت يوم أو يومين، ويدفنها حية في التراب. يعني المشهد من القسوة، وسجلها القرآن عليهم في قصة الموؤودة، تدلك على ما جبلت عليه تلك القلوب. أولئك الأقوام بأنفسهم لما آمنوا، وأسلموا، وهذبهم الإيمان، كانوا من الرقة والإحسان إلى الخلق، ورحمتهم، ما نفع الله بهم الأرض كلها في أزمانهم وبعد ذلك.

فالإنسان نفسه إذا هذبه الإيمان، واستكن في قلبه، وتغذى بطرف من كتاب الله \_ جل وعلا \_، واقتدى بالسابقين الأولين، لا بد من دلالات صحة إيمانه، وحسن إسلامه، أن يكون فيه شيء من الرقة، والرحمة، ونفع الخلق، ويكون مألوفاً قريباً، سهلاً، لا يعني عسراً، شكساً، فاحشاً، بذيئاً. هذه صفات تناقض وتضاد الإيمان. فلا يرحم الله من لا يرحم الناس. فبقدر رحمتك للخلق تنال جزاء رحمتك. اقرأ ما بعده.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الإمام أبو عبد الله البخاري رحمه الله تعالى: (حَدَّثَنَا أَبُو التُّعْمَانِ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ \_ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ \_ قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ رَسُولٌ إِحْدَى بَنَاتِهِ يَدْعُوهُ إِلَى ابْنِهَا فِي الْمَوْتِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ فَأَعَادَتِ الرَّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقْفَعُ كَأَنَّهَا فِي شَنٍّْ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا قَالَ هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ).

(أَبُو التُّعْمَانِ) شيخ البخاري اسمه محمد بن الفضل السدوسي، وهو الحافظ الملقب بعارم.

قال: (حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ) هو الجهضمي البصري.

(عَنْ عَاصِمِ الْأَحْوَلِ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ) تعرفون اسم أبي عثمان النهدي؟ مر معنا أذكر.

تعرفونه؟ اسمه عبد الرحمن بن مُل. وإن كان الصواب كما ذكره صاحب كتاب "اللباب"، أن كلمة مُل يجوز في حقها تثليث الميم، يعني تقرأها بالضم والفتح والكسر بن مُل.

والنهدي نسبة إلى بطن من قضاة اسمهم مالك بن النهدي. مالك بن النهدي فخذ من قبيلة كبيرة اسمها قضاة، فهو القضاة النهدي القضاة.

هذا أيضاً مخضرم عبد الرحمن بن مل هذا، يعني وعمر دهنراً طويلاً، يعني لما مات مائة وثلاثين سنة عمره، لا إله إلا الله. ستين سنة في الجاهلية، وأسلم في حياة النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ ولكنه لم يرد المدينة إلا حتى بعد وفاة أبي بكر، ففاته الرواية عن أبي بكر، وروى عن عمر وبقيّة من كان موجوداً من الصحابة. ثم عمر بعد الستين هذه سبعين سنة ثانية، ما شاء الله. ومات وهو صحيح، سليم الحواس، مستجمع الخلق، ما انهار منه شيء، لا سقط منه سن، ولا ما شاء الله يعني كف بصره، ولا أصابه مما يصيبنا في سن الأربعين شيء. طبعاً السكر هذه ما فيه نهائي أصلاً. وروى علماً كثيراً، وهو من فضلاء التابعين ويعني حفاظهم.

(عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ) حَبِ رَسُولِ اللَّهِ.

قال: (كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ) ، (إِذْ) يسمونها الفجائية، يعني تشير أنه حصل موقف مفاجئ، لم يكن يعني متوقعاً أو يعني منتظراً.  
(إِذْ جَاءَهُ رَسُولٌ إِحْدَى بَنَاتِهِ) هي زينب بنت رسول الله، زوج أبي العاص بن الربيع، توفي لها بن صغير وهذه قصته.

(يَدْعُوهُ) أي تدعو والدها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(إِلَى ابْنِهَا فِي الْمَوْتِ) لأنه كان في السياق، وتحب أن يشهده الرسول عليه الصلاة والسلام لينال من دعائه، وهذا شيء مقصود طبعاً.

(فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْجِعْ) يقول لرسوله.

(ارْجِعْ فَأَخْبَرَهَا أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى) يريد يعني يخبرها النبي صلى الله عليه وسلم أن حضوره أو عدمه، لن يمنع من قضاء الله وقدره شيئاً، فله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى. ويحسن استخدام هذه الألفاظ في العزاء والتعزية.

(فَمُرَّهَا فَلْتَصْبِرْ وَتَحْتَسِبْ) وهذا الأمر الذي ينبغي أن يكون عليه كل صاحب مصيبة من

المسلمين. يصبر لأن قضاء الله لا يرد، والمعول فيه الصبر، وتحتسب الأجر عند الله؛ لأن عدم ذلك لن يغير في القضاء شيئاً. عدم الصبر، وعدم الاحتساب، لن يرجع ميتاً، ولن يدفع مرضاً وقع، ولن يغير شيء. الأمر قضي، وسيقع سيقع، لن يمنع شيء. فالعاقل المؤمن يصبر على ما أصابه من أقضية الله، ويعلم أنها

من الله، وأن الله إذا أراد شيئاً لا يردده شيء، ويحتسب الأجر عنده. من رضي بقضاء الله فله الرضا، ومن سخط فعليه السخط، وقضاء الله نافذ فيه ولا يستفيد شيئاً.

**فَأَعَادَتِ الرَّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا** فكان لا بد من أن يجيب دعوتها بعد هذا الإلحاح.

**فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ** سيد الخزرج، وكان من بني ساعدة،

وهم إحدى بيوت الخزرج من الأنصار. وقام أيضاً معه معاذ بن جبل، الصحابي المشهور، ذكرنا شيئاً من حاله في الدرس، وهو من بني جُشَم أيضاً من الخزرج.

**فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَيْهِ وَنَفْسُهُ تَقَعَّقُعُ** يعني وقت الغرغرة وطفل يعني في النزاع.

**كَأَنَّهَا فِي شَنْ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ** عينا رسول الله عليه الصلاة والسلام.

**فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ** أي سعد بن عبادة.

**يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا** سؤال سعد ما هذا ليس من فراغ. هو سبق من النبي صلى الله عليه وسلم

تعليم لهم ألا يكثر البكاء، والتأسف، والصراخ، فضلاً عن النياحة عياداً بالله. سمعوا من النبي صلى الله

عليه وسلم نهيًا عن ذلك. حتى أنه كان يقول أن الميت نفسه الذي تبكون عليه، يتأذى ويتضرر **((إن**

**الميت ليعذب ببكاء أحدكم عليه))** <sup>(1)</sup> يتضرر، ويتأذى، والبكاء والصياح والعيويل والنياحة لا تعيد كما

قلنا ميتاً، ولا تدفع قدرًا.

فلما رأى سعد بن عبادة رسول الله عليه الصلاة والسلام فاضت عيناه في هذا الموقف، استشكل

ربما كونه يبكي، وقد علمهم قبل يعني التقليل أو الامتناع عن البكاء، والصياح، ونحوه، في أثناء المصيبة.

فلما أورد سعد هذا على رسول الله قال يا رسول الله ما هذا؟ أي كأنك كنت تنهانا؟ جاء في بعض

الألفاظ في حديث غير هذا: **((ألم تكن نهيتنا عن البكاء))** ونحوه فقال: **((هذه رحمة))** <sup>(2)</sup> هذا جواب

الاعتراض، أو جواب كشف، فما سبق النهي منه عن البكاء في موضعه، وهو البكاء الذي يتجاوز الحدود

الطبيعية في أعراف البشر، الذي يصحبه الصياح، ويصحبه ضرب الرأس مثلاً، أو لطم الوجه، أو شق

الثوب، أو رفع الصوت، ورفع الصوت من البكاء نياحة مباشرة ولو لم يصحبه كلام. فإن صحبه كلام،

يشعر بالاعتراض على القدر، أو يشعر مثلاً كأنه أصابته المصيبة التي ما أصابت أحداً قبله ونحو ذلك. هذا

كله فيه إثم شديد؛ بل هو من الكبائر على الصحيح. قال عليه الصلاة والسلام: **((النائحة إذا لم تتب**

(1) مسلم في صحيحه ج 2 / ص 641 حديث رقم: 928.

(2) مسلم في صحيحه ج 2 / ص 636 حديث رقم: 923.

**سريلت))** أو قال: **((ألبست ثوباً من قطران يوم القيامة))** <sup>(1)</sup> وكان ينهى عن صوتين ملعونين خبيثين: صوت فاجراً في رنة أي الغناء وكذا، وصوت نائحة في مصيبة.

وخصت النساء بالذكر، والحكم يشمل الطرفين؛ لأن هذا يقع أكثره من النساء. وإذا لم يقع من الرجال، لكان ربما حتى في حقه أقبح، وآثم. إذا رفع صوته بالصياح، أو البكاء، أو كذا. أما يعني حزن القلب، ودمع العين بما يوافق الطبيعة البشرية، والقلوب المؤمنة الرقيقة الرحيمة، فهذا محمود ليس فقط جائز؛ بل محمود يدل على ما في هذه القلوب المؤمنة، وأعظمها قلب النبي عليه الصلاة والسلام من الرحمة والرقّة. فقال: **(قَالَ هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ)** وقد قررنا قبل قليل ارتباط هذه الرحمة

المجعولة في القلوب بالإيمان المجعول في تلك القلوب، فمستكثر من ذلك ومستقل. فلا بد لهذه الرحمة في القلوب من أثر، يتأثر إذا رأى مصيبة، يعني يتأثر إذا رأى يعني كذا، يتأثر إذا حضر ميتاً، يتأثر إذا رأى فقيراً، يرق إذا رأى حزيناً. أليس كذلك؟ أما تمر عليه هذه المصائب وهو مثل الجبل هذا، أعوذ بالله هذا ليس من البشر هذا. لا يجزئه بكاء الحزين، ومصيبة صاحب المصيبة، ونوح الثكلى، هذا لا تعده من البشر أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

فقال عليه الصلاة والسلام: **(قَالَ هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ)** هذه تدخل كلمة **(هَذِهِ رَحْمَةٌ)** تدخل ضمن النوع الثاني من نوعي الرحمة المضافة إلى الله، وهي الرحمة المخلوقة، التي هي أثر اتصافه بصفة الرحمة؛ لأن جعلها الله في قلوب عباده، خلقها وأنزلها، وأودع هذه القلوب منها ما شاء أن يودع. فمنهم رحماء، أرقاء، هم أجدر برحمة الله، ومنهم من هو أقل من ذلك، ومنهم من تنعدم الرحمة في قلبه.

ثم عقب بقوله: **(وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ)** هنا مسألة أو مسائل:

المسألة الأولى: أن حديث جرير السابق: **(لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ)** وحديث أسامة هذا:

**(وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ)** يؤسسان لقاعدة وهي أن الجزاء من جنس العمل.

الله عز وجل يقابل العباد جزاءً من جنس ما يصنعون. فمن كان رحيماً من الرحماء، قابله الله بحظ

أوفر من رحمته. ومن كان أيضاً خبيثاً قاسياً ظالماً معذباً للناس، قابله الله من سخطه وعذابه جزاءً ما فعل.

(1) ابن ماجه في سننه ج 1 / ص 504 حديث رقم: 1582.

فالجزاء من جنس العمل على حد قول الله تعالى في سورة الرحمن: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾<sup>(1)</sup> مع الفارق الهائل العظيم بين أفعالنا البسيطة المحدودة، وبين عفو الله، وكرمه، وتجاوزه العظيم.

قال عليه الصلاة والسلام: ((كان رجل فيمن كان قبلكم)) اسمع لهذه القصة. ((كان ذو مال وكان يداين الناس. كل من أتاه يستدين منه مالا ليسد حاجة يعطيه، فيه سماحة، وفيه.. فكان يقول لذي ماله القائمين على أمواله، إذا أتاكم الموسر يريد أن يسدد فأسقطوا عنه، لا تأخذوا المبلغ كامل يعني، وإذا أتاكم المعسر فتجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عنا. وهو يعني له إسراف على نفسه في جوانب أخرى. فيقول الله جل وعلا لملائكته نحن أحق أن نتجاوز عنه))<sup>(2)</sup>.

هذا الجزاء من جنس العمل، كوفئ بذلك. وقصة التي ساقى الكلب الماء وهي يعني حتى بغني من بغايا بني إسرائيل، غفر لها بسبب ذلك، ونحو ذلك.

فبقدر ما يرحم الإنسان غيره، ويحسن إلى غيره، يحتسب عند الله جزاءً من جنس العمل، مع قطع النظر عن المقابلة أصلاً بين ما تفعل وبينما يغمرك الله سبحانه وتعالى بعفوه، وعافيته، وإحسانه جل وعلا. هذا المسألة الأولى.

المسألة الثانية: اسم الرحمن الذي تدور عليه مباحث هذا الباب. قال العلماء هو خاص من جهة اسمه، عام من جهة فعله وأثره. وقابلوه باسم الرحيم، وجعلوا اسم الرحيم عام من جهة اسمه ولفظه، خاص من جهة أثره.

ومعنى ذلك أن الفرق بين الرحمن، أن الرحمن كما قلنا في أول الدرس خاص بالله، لا يجوز التسمي غيره به، هذا معنى خاص من جهة لفظه واسمه. لكن عام من جهة معناه. قالوا في معنى الرحمن هو ذو الرحمة للخلائق كلها: الإنس، والجن، والملائكة، والبهائم، والحيوانات، والمسلم، والكافر، والبر، والفاجر، كلهم يتقبلون في رحمة الله. آمنوا، كفروا، اعترفوا، لا يغير ذلك. رحمن متكفل بمعاش الخلائق وأرزاقهم، وقيام أموره سبحانه وتعالى. هذا معنى عام من جهة أثره.

ولذلك قلت في أول الدرس في تفسير الآية، أن هذين الاسمين يضاف إليهما في القرآن كل أفعال الربوبية. ما هي أفعال الربوبية؟ الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، ونفع الخلق بشتى المنافع من المعاش وغيره.

(1) الرحمن: 60.

(2) الحاكم في مستدرکه ج 2/ ص 34 حديث رقم: 2226.

فلما كان خاصاً بالله لا يتسمى به غيره، اندرج تحته عموم في أفعاله وأثره، فاندرج كل تحت الخلق، كل الخلق. وهذا يقابل من جهة العباد بما يُعرف بنوعي العبودية. نحن كخلق عباد الله أليس كذلك؟ العبودية هذه لها ذات قسمين:

قسم عام: ينتظم كل من سوى الله، كل ما سوى الله عبد لله، بمعنى مخلوق خلقه الله، عرف أم لم يعرف، آمن أم كفر، اعترف أو جحد، هذا لا يغير في ذلك شيئاً. نحن عباد الله مسلمنا، وكافرنا، شمسنا، وقمرنا، أرضنا، وسماؤنا، الملائكة، الجن، البهائم، كلنا خلق الله، عبيده، ما شاءه الله فينا يقع. وهذا معنى قوله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ﴾<sup>(1)</sup> شوف المناسبة الآن والمقابلة ماذا؟ "عَبْدًا" قابل بين اسم الرحمن الذي هو اسم خصيص لله، فهو خاص من جهة لفظه واسمه، عام من جهة شموله لمنافع الخلق، فقابله بعبودية عامة تنتظم جميع المخلوقات ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا<sup>(2)</sup>.

وهناك نوع آخر للعبودية الخاصة، وهي تناسب اسم الرحيم. اسم الرحيم عام من جهة لفظه، يجوز أن يتسمى غير الله به. يقول فلان رجل رحيم وللا لا؟ ولا لا يجوز؟ فلان رجل رحيم يجوز هذا، يجوز لاشك في ذلك. فهو فيه عموم من جهة التسمي به، لكن فيه خصوص من جهة أثره بالنسبة لله. فالله لا يرحم من عباده إلا فئات معينة، هذا أصل اسمه الرحيم، الرحماء، والراحمون. ماذا تقول الآية ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾<sup>(3)</sup> في الأحزاب ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ قصر، وحصر، وخص أثر اسم الرحيم على فئة خاصة من عباده وهم المؤمنون ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ وهذه تقابلها العبودية الخاصة من العباد. والعبودية الخاصة هي الذي عبّد نفسه طوعاً لله، وهم المؤمنون. يدخل فيها الملائكة، ويدخل فيها مؤمنو الجن والإنس، وما شاء الله مما لا نعلم. ويخرج عنها من لا يُكلف من أنواع المخلوقات في الأرض، ويخرج عنها قطعاً عن هذه العبودية الكافر، والمشرك ونحوه. فلا نصيب لهم الذين لم يدخلوا في العبودية الخاصة، خطأً في اسم الرحيم، ويخسر ذلك غير الرحماء.

وهنا تأتي فائدة المقابلة بين الإيمان والرحمة في القلوب، لا تنفك. بقدر ما يكون إيمانك عالياً، بقدر ما يكون الرحمة نصيبك من الرحمة عالياً. وبقدر ما يكون استشارك، واستنزال رحمة الله عليك، وهي إحدى مفردات اسمه الرحيم عليك عظيماً. فبقارن بين أمرين تتضح لك القضية.

(1) مريم: 93.

(2) مريم: 93-95.

(3) الأحزاب: 43.

أيضاً من المسائل التي ينبغي الاعتناء بها في هذا الباب، قال العلماء \_ هذه مسألة مهمة جداً \_  
انعقاد إسلام كل من شهد الله بالألوهية، بأحد هذين الاسمين شرطاً. إذا قال أشهد أن لا إله إلا الله، صح  
إسلامه. طيب إذا قال أشهد أن لا إله إلا الرحمن ماذا تقولون بناءً على ما سمعتم؟ طيب إذا قال أشهد أن  
لا إله إلا الرحيم، أو إلا العظيم، أو إلا الكريم، ماذا تقولون في هذا؟ في المسألة قولين اثنين:  
القول الأول: لا ينعقد إلا بهذين الاسمين فقط. إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، أو قال: أشهد أن  
لا إله إلا الرحمن، صح ذلك.

والقول الثاني: يضاف إلى هذين الاسمين ما يشعر بخصوصية الله. رأيت لو قال: أشهد أن لا إله إلا  
المحيي المميت مثلاً؟ أشهد أن لا إله إلا الله إلا خالق السموات والأرض مثلاً؟ أشهد أن لا إله إلا الله إلا  
رب العالمين؟ الصواب يصح؛ لأن هذه في الشرع بصرف النظر عن قناعاته هو. يعني بعضهم اعترض قال  
كيف تقبل ربما يقصد برب العالمين غير الله، أورد بعضهم. أقول أيضاً هذا القصد قد يأتي أيضاً حتى في  
اسم الرحمن والرحيم. المنافق يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وليست في قلبه. فانتبه فمقاصد الخلق يحاسبهم  
بها علام الغيوب. لكن أنت كتشريع، هل تقبل إسلامه؟

صح عند أكثر العلماء ذلك، بشرط أن يكون ما ذكره في الاستثناء بقوله "إلا" مما لا يجوز اتصاف  
غير الله به. وأبرز ذلك اسم الله، واسم الرحمن.

مسألة ثالثة أيضاً: انعقاد يمين كل من حلف باسم من الأسماء الثابتة لله حصراً. فإذا قال والعظيم،

أو والكريم، أو والرحيم، عند الجمهور تنعقد هذه اليمين. إلا رواية حكوها في مذهب الشافعية، أنها لا  
تنعقد إلا بهذين الاسمين فقط اليمين؛ لأن تلك السماء يعني يتسمى بها الخلق كثيراً، فليس فيها من التميز  
ما في اسم الله، واسم الرحمن. فينبني الخلاف في انعقاد اليمين على هذين القولين، والصواب الأول وهو أن  
تنعقد اليمين بكل اسم ثابت لله، وبكل صفة ثابتة لله، وبخاريننا إمامنا من أصحاب هذا القول؛ ولذلك  
سيأتي لنا باب في هذه المسألة: "باب الحلف بعزة الله وقدرته وحياته" إن قلت وحياء الله، وعزة الله، وقدره  
الله، وعلم الله. كل ذلك أيمان منعقدة على الصحيح، وسنحرر هذا في حينه إن شاء الله تعالى.

فائدة رابعة مهمة هنا يجب التنبيه عليها. الحافظ قال هنا عندنا يعني كلاماً يحسن، أو ينبغي التنبيه

عليه، والتعليق عليه. قال الحافظ أن البخاري \_ رحمه الله \_ في هذا الباب وغيره، يترجم بآية من القرآن

كما سمعنا الآن: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ ثم يأتي بحديث أو حديثين، فيه معنى دلالة الآية. لما  
جاء في الآية اسم الرحمن، أتى بحديث أو حديثين لاتصاف الله بهذه الصفة.

يقول الحافظ إنه يصنع ذلك تنزلاً على قول من لا يرى الاحتجاج بحديث الآحاد، وأفراد الأحاديث في العقائد، حتى تعتضد بمتواتر إجماعاً، أو نص من القرآن كما يقول كثير من الطوائف. ونحن نعلم أن مذهب أهل السنة خلاف ذلك، والبخاري من هذا القبيل. فلا يحتاج أهل السنة إلى تعضيد الحديث الصحيح ولو كان فرداً أو آحاداً، لإثبات قضية اعتقادية غيبية، بإحدى المعضدات سواءً بآية حتى لو تستقل السنة، يستقل الحديث النبوي، ولو كان حديثاً واحداً، ولو كان من الأحاديث الآحاد لبناء العقائد عليه. هذا قول مشهور لأهل السنة والبخاري من هذا القول.

ويدل على ذلك أنه ستأتي معنا أبواب، لا آيات فيها، لم يترجم بلفظ الآية، وأتى فيها بأحاديث في مسائل عقائدية كثيرة. فهو إنما يريد أن يقصد البخاري، أن لا يكاد تأتي السنة بقضية اعتقادية، إلا وفي القرآن إما مثلها، أو نظيرها، أو أصلها. ثلاث قضايا: إما مثلها: كما هنا الرحمة جاءت في آيات كثيرة مضافة إلى الله صفة، وجاءت في أحاديث نبوية مضافة إلى الله صفة.

أو نظيرها: نظيرها مثال ذلك: في القرآن وُصف الله أنه ذو يدين جل وعلا. أليس هذا في القرآن موجوداً؟ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ اقرؤوا الآية ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾<sup>(1)</sup> وفي آية "ص" المشهورة، في لوم الله جل وعلا لإبليس في امتناعه للسجود لآدم قال: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾<sup>(2)</sup> وجاء في السنة وصف الله جل وعلا بالقدم، وجاء وصفه بالقدمين. هذا النظر اليدان صفة ذاتية غيبية، والقدمان صفة ذاتية غيبية غير مكيفة وغير مدركة الكنه. شيء ذُكر في القرآن وشيء ذكر في السنة. هذا في النظر.

أو الأصل: والأصل في ذلك كما هو معلوم القرآن ساق من صفات الله: الذاتية، والفعلية، والاختيارية شيئاً كثيراً.

\_\_ من الصفات الذاتية: ما سمعتم وصف الله باليدين، ووصفه بالعين جل وعلا، والوجه. والفعلية: كما الخلق، مثلاً استوى على العرش، ونظائرها.

(1) المائة: 64.

(2) ص: 75.

\_\_ والاختيارية: كالغضب. ما ورد في القرآن؟ ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾<sup>(1)</sup> الغضب صفة اختيارية، من توابع المشيئة.

فالقرآن أصل وصف الله، وإضافة الصفات إلى الله بالأنواع الثلاثة: ذاتية، وفعلية، واختيارية. هذا هو أصل المسألة.

فإذا جاء النبي صلى الله عليه وسلم، وصح عنه أنه أضاف الله صفة من النوع الأول ذاتية، أو من النوع الثاني فعلية، أو من الثالث اختيارية، وجب قبول ذلك متى صح إليه السند؛ لأن أصل ذلك مؤصل في القرآن. فقد يأتي في السنة ما هو مثل للقرآن كما هنا، وقد يأتي ما هو نظير له، وقد يأتي ما في القرآن أصله والعلم عند الله.

### بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ

قال \_\_ رحمه الله \_\_: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ

حَدَّثَنَا عَبْدَانُ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ \_\_ رضي الله عنه \_\_ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ).

قال الإمام \_\_ رحمه الله \_\_: (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) هذه الآية

جاءت بعد الآية العظيمة، التي أخبر الله فيها بأنه إنما خلق الخلق من الجن والإنسان ليعبدوه، ويوحده،

ويقوموا بما هو حق له عليهم. قال الله تعالى في خواتم الذاريات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

(56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾<sup>(2)</sup>

فصدر هذا السياق بخلق العباد، بإضافة الخلق إلى نفسه بصيغة الإفراد فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ﴾ ليعمض

هذا الفعل فيه جل وعلا، ليعمض استحقيقه للعبادة فيه أيضاً جل وعلا.

فلما كان هو خالقنا ولا خالق غيره، ولم يحتج في خلقنا إلى معين، وإلى مساعد، وإلى معاون \_\_

تعالى ربنا تقدس جل وعلا \_\_ كان استحقيقه أن يعبد وحده لا شريك له، مناسب لكونه الخالق الرازق جل وعلا.

(1) الفتح: 6.

(2) الذاريات: 56-58.

ثم ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعَمُونَ﴾ فيه إشعار بأنه إنما خلق الخلق لغير حاجة إليهم. بمعنى الغنى المطلق التام. فتمحضت حكمة وغاية خلق الخلق، في أن يُعبد، ولا شيء وراء ذلك، وما يصنعه الناس من تحسين وتغيير أوضاع معاشهم؛ إنما هو بحكم يعني حياتهم المعيشية، وعقلهم المعيشي، لا يدخل في حكمة الخلق، لا يدخل في حكمة الخلق.

ولذلك يجب أن نفرق \_ هذه قضية مهمة \_ يجب أن نفرق. جاء في بعض الآيات القرآنية دعوة الله \_ جل وعلا \_ أو ثناؤه، أو إخباره بعبارة أدق أن الخلق سيعمرون هذه الأرض، وأخبرنا أنه خلقت أمم سابقة عمروا الأرض أكثر مما عمرها من جاء بعدهم. وعمارة الأرض يعني مطلوبة كناحية تقديرية معيشية يقتضيها العقل المعيشي. مادام أننا مخلوقين مركبين على الحاجة، فالحجة تقضي لنا أن نبني داراً، وأن نلبس ثوباً، وأن نأكل طعاماً، وأن نشرب ماءً، وأن نتداوى. وللا لا؟

فهي طبيعة ما يسميه العلماء العقل المعيشي، وهذا هو الذي يعني يكدر فيه الناس، ويعملون، ويتغير، ويتطور، ونحو ذلك. هذا ليس مقصوداً في حكمة الله في خلق الخلق؛ لأن البهيمة نفسها تحسن ذلك بحسب كفايتها وحاجتها، فتأكل ما ترى أنه ينفعها. لماذا لا تأكل البهائم التي تأكل الأعشاب، لماذا لا تأكل اللحوم والسماك لماذا؟ من علمها؟ أو درست، أو كذا؟ بحكم العقل الفطري المعيشي. يسميه العلماء العقل المعيشي.

ولذلك عتب الله على من كفروا به، وغفلوا عن عبادته، واشتغلوا بعمارة الأرض. عتب الله عليهم بأن هؤلاء انشغلوا بالعقل المعيشي الذي هو أصلاً من طبيعة الحياة، عن الحكمة الكبرى. آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا﴾ هذه فيه الآية هذه؟؟ ﴿مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

فلما جاء في آية الذاريات، محض الحكمة، محض الحكمة من خلقهم في عبادته، وذكر صفة الخلق مضافة إليه بصيغة الإفراد. مع أننا نعرف أن أفعال الربوبية في القرآن تضاف إلى الله بصيغة الجمع، الدال على التعظيم: خلقنا، وبعثنا، وأرسلنا، وأنزلنا، وأمثالها. لكن هنا قال: ﴿خَلَقْتُ﴾ ليمحض فعل الخلق في ذاته ليمنع المعين عنه، لا معين له جل وعلا. من يعينه وقد كان ولا شيء من المخلوقات سبحانه وتعالى؟ فتمحض استحقاقه أن يعبد وحده لا شريك له.

(1) الروم: 7.

فلا يذهب الخلق يعني ينشغلون بما هو غير الحكمة التي خلقوا من أجلها، من عمارة الحياة الدنيا، وإن كانت هي بطبيعة العقل المعيشي هي واردة عليهم، وتحمد من هذا الجانب فقط؛ لأن الإنسان يحمد إذا فعل ما يصلح له، وابتعد عن ما يضره، يُحمد. هذا بطبيعة العقل المعيشي، ويستوفيه العقلاء؛ بل ربما غير العقلاء تشترك في شيء من ذلك، بحكم الغريزة والعقل المعيشي، الذي هداها الله لها.

لكن عبادة الله جل وعلا هي الحكمة المتمحضة من خلقنا. فإذا لم تحصل، أو وقع فيها الخلل، ولذلك قال بعدها: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ ليشعر باستغنائه عنهم، وليخبر بأنه إنما خلقهم من أجل ذلك لا من حاجة إليهم.

ثم جاء بالآية التي صدر بها البخاري ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ أختتم ونوَّجِل شرح الأسماء هذه ومناسباتها للدرس القادم.

أختتم بأن ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ هذه قراءة الجماهير، لكن جاء في حرف من القراءات وهي قراءة يحيى بن وثاب وغيره، قرأها هكذا ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ بالكسر بالخفض. هذا ما يسميه العلماء الخفض بالمجاورة. هو محلها الرفع؛ لأنها معطوفة على الرزاق؛ لأنه هو الرزاق محلها مرفوع، والمعطوفات قطعاً تتبع ما عطفت عليه إعراباً. ﴿الرَّزَّاقُ﴾ مرفوعة، ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ أيضاً مرفوعة.

لما جاء لـ ﴿الْمَتِينُ﴾ وهي معطوفة، العطف إذا ألغيت حروفه، بعضهم يسميه عطف النسق، ما تحتاج فيه حروف العطف حتى ، مثل الرحمن بسم الله الرحمن الرحيم، عطف نسق. أجرى الأسماء مجرى واحداً، وأسقط الحرف، ما نحتاج له.

فهمت حرف العطف الذي تعودنا أن يعطف به المعطوف على المعطوف عليه. فأتبع كلمة ﴿الْمَتِينُ﴾ للكلمة التي قبلها وكلمة (القوة) هنا اقرأ ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ القوة مخفوضة لأنها مضافة إلى ﴿ذُو﴾ فخفض كلمة ﴿الْمَتِينُ﴾ لفظاً إتباعاً لشكلة التي قبلها وإن كان محلها الرفع، هذا يسمونه في علم اللغة العطف بالمجاورة. لا يغير في المعنى، لكن استسهالاً الانتقال من مكسور إلى مرفوع، الرفع أقوى الحركات كما تعلم، والكسر أضعفها.

والانتقال فيه كلفة على اللسان. أنت ربما ما تشعر بذلك؛ لأنك تقف على كلمة ﴿الْمَتِينُ﴾، لكن لا تقف تشعر بهذا ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ تحتاج أن تعد نفسك ربما، حتى تظهر ضمة ﴿الْمَتِينُ﴾ إذا وصلت القراءة.

فيحي بن وثاب في قراءته وهي طبعاً ليست معدودة في السبعة، لكنها يعني ذكر هذا بالمناسبة،  
خفض إتباعاً للشكلة التي قبلها تسهياً ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ مثلها قراءة منسوبة لأبي  
عمرو بن العلاء، أحد القراء المشهورين لآية سورة الرحمن: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ﴾<sup>(1)</sup> شوف الرفع الآن  
﴿مَنْ نَارٍ﴾<sup>(2)</sup> كل القراء يقولون ﴿وَنُحَاسٌ﴾<sup>(3)</sup> على أن ﴿وَنُحَاسٌ﴾ معطوفة على ﴿شَوْاظٌ﴾ وكلمة ﴿مَنْ  
نَارٍ﴾ دخلت هنا لتعريف نوعية الشواظ هذا. فهت ولا لا؟ هكذا القراءة ﴿شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا  
تَنْتَصِرَانِ﴾<sup>(4)</sup> القراءة التي نسبت إلى أبي عمرو هذا قرأها هكذا: ﴿شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾ مثل ما صنع  
يحي بن وثاب في (المتين) خفض لفظي فقط. يسمى الخفض بالمجاورة لتسهيل، وهو وارد في كلام العرب  
وأشعارهم، لا نشغلكم كثيراً. نكتفي اليوم بهذا القدر.

زادنا الله وإياكم علماً ونفعاً وخيراً وهدى. والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.



## الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم. إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا،  
وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا  
شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.  
أما بعد:

قال الإمام البخاري \_ رحمه الله \_ : (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)

هذه الآية التي ترجم بها الإمام البخاري هذا الباب من كتاب التوحيد من الجامع الصحيح، جاءت في  
سباق بيان الله تعالى للغاية، والحكمة من خلقه للجن والإنس، وهو أن الله عز وجل إنما خلق الجن والإنس  
ليعبده وحده لا شريك له، لم يخلقهم استكثاراً من قلة، ولا استنصاراً من ضعف، ولا استغناءً من فقر.

(1) الرحمن: 35.

(2) الرحمن: 35.

(3) الرحمن: 35.

(4) الرحمن: 35.

تعالى الله وتقدس فهو الغني سبحانه وتعالى، القوي المتين، الذي لا يحتاج إلى من يعينه، ولا يحتاج، وليس ذو حاجة أصلاً.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(1)</sup> ثم عقبها بقوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾<sup>(2)</sup> لأن الله عز وجل هو الصمد. ومن معاني الصمد، هو الذي لا يطعم الطعام، ولا يشرب الشراب، وليس بذئ حاجة أصلاً سبحانه الله وتعالى. الصمد ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾.

وهذه الآية تدل على أن الله جل وعلا، يريد أن يبين لنا أنه إنما خلق الخلق، وأنزلهم في هذه الأرض، وابتلاهم بالخير والشر، وركبهم على الحاجات، والفقر، وابتلاهم بأنواع البلايا، لتظهر فيهم آثار صفاته العظيمة. من صفاته أنه الخالق، فلا بد من مخلوقات، أثر تلك الصفة. من صفاته أنه الرزاق، فلا بد من مخلوقات تحتاج إلى الرزق والله يرزقها. من صفاته أنه الغفور الرحيم، فلا بد من خلق يذنبون، فيستغفرون فيغفر الله لهم. من صفاته أنه شديد العقاب، وأخذة أليم شديد، فلا بد من عباد وخلق يعصونه، يشاقونه، فيأخذهم ويهلكهم ويعذبهم.

فمن أهم الحكم العظيمة لوجود المخلوقات، أو لإيجاد الله للمخلوقات، أن تظهر فيهم آثار صفاته من الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والمغفرة، والرحمة، والمغفرة، والتعذيب، والنكال، والتدمير، ونحو ذلك من الصفات.

فقوله في هذه الآية قوله تعالى في هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ ﴿الرَّزَّاقُ﴾ اسم عظيم جليل من أسماء ربنا تعالى. لم يرد في القرآن الكريم كله إلا في هذا الموضع الواحد. لم يرد في القرآن كله إلا هنا. وجاءت وصف الله برزق الخلق في آيات كثيرة بصيغة الفعل، كقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾<sup>(3)</sup> ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾<sup>(4)</sup> ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾<sup>(5)</sup> فيضيف فعل الرزق إليه.

(1) الذاريات: 56.

(2) الذاريات: 57.

(3) طه: 132.

(4) هود: 6.

(5) الأنعام: 151.

ولم يأت في القرآن تسميته باسم الرزاق محلاً بـ"ال" إلا في هذا الموضع الواحد. و﴿الرِّزَاقُ﴾ يقولون فعّال، من الرزق فعال أي كثير الرزق؛ بل إن أرزاق الخلق كلهم متوقفة عليه. وسر المسألة أن الله خلق المخلوقات كلها مركبة على الضعف، والحاجة، والفقير. لا بد لها من طعام، وشراب، وهواء، ودواء، وعافية، ودفع للآفات، واستجلاب للخيرات، لا بد للخلق من ذلك.

لا يتصور انفكاك الخلق عن الحاجة والفقير مطلقاً. فلما ركبوا على الحاجة، التي لا يتصور انفكاكهم عنها، كان الله جل وعلا هو المتكفل والقائم بسد هذه الحاجات، كما دلّ عليه اسم الرزاق، ودلّ عليه اسم الصمد، هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، ودل عليه اسم القيوم، أي القائم بشؤون خلقه، وأحوالهم، وأرزاقهم كما قال الله تعالى في الآية السابقة ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾<sup>(1)</sup>. فالرِّزَاقُ فعّال من الرزق.

ولذلك ينبغي على الخلق مادام أنهم محتاجون وفقراء، لا يتصور انفكاكهم قط عن الحاجة، وجب عليهم أن يلجئوا جميعاً إلى الغني ذاتاً، والمقتدر ذاتاً، ويطلبوا أرزاقهم منه، وينتظروها منه سبحانه وتعالى. ولذلك وجهنا ربنا إلى ذلك فقال: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(2)</sup>. فمن طلب رزقاً، أو حياة، أو شفاءً، أو نصراً، أو سد خلة من غير الله، فقد ألقى حاجته في غير محلها، ولجأ إلى فقير مثله، وضعيف مثله ليسد حاجته، وترك باب الغني سبحانه وتعالى.

قلت لكم في الدرس السابق، أن أجمع القراءة تقريباً على قراءة لفظ المتين في هذه الآية بالرفع ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ على أنها وصف من أوصاف الله معطوفاً على كلمة الرزاق، وهي مرفوعة. ما خلا قراءة يحيى بن وثاب وهي ليست من السبعة، فإنه قرأها بالخفض ﴿متين﴾ وهذه القراءة أحدثت في بعض كتب التفسير فهماً للآية يعني غير مستقيم، على أن المتين وصف للقوة وهي كلمة تسبق كلمة المتين وهي مخفوضة ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾ وبناءً عليه قال الزجاج وغيره أن ﴿المتين﴾ ليس من صفات الله، وليس من أسمائه، وهذا هو اللبس الذي حصل؛ وإنما هو وصف للقوة بالمتانة. وإن كان هذا داخلاً في معنى المتين، لكن ليس هذا بسديد.

وبناءً على ما وجه العلماء، وجهوا كلمة ﴿المتين﴾ مخفوضة على قراءة يحيى بن وثاب، على أنه خفض لفظي ليس معنوياً، محلها الرفع، على أنها وصف اسم معطوف على اسم الرزاق، وهو مرفوع

(1) هود: 6.

(2) العنكبوت: 17.

﴿الرِزَاقُ الْمَتِينُ﴾ لكن خفضها يحيى بن وثاب في قراءته لفظاً، بما يسمى عند علماء اللغة الخفض للمجاورة. وهو أن يعتمد إلى الكلمة، فينظر إلى الكلمة التي تسبقها، فإن كانت مخفوضة تُخفض لفظاً مع بقاء حكمها الإعرابي محلاً على الأصل وهو الرفع. فالعطف أو الخفض هذا لفظي. وذكرت لكم أيضاً أن في القرآن شاهداً آخر على مثل هذا الصنيع، وهو الخفض بالمجاورة إتباعاً لشكلة التي قبلها، مع أن محلها ليس الخفض وإنما الرفع، أو ربما النصب.

والموضع الثاني أو الشاهد الثاني في سورة الرحمن على قراءة أبي عمرو بن العلاء وهو من القراء السبعة فإنه قرأ قوله تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ ۙ﴾<sup>(1)</sup> شوف مرفوعة ﴿شُوَاظٌ ۙ﴾ لأنها نائب فاعل ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ ۙ﴾ قرأ ﴿وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ فخفض أبو عمرو في قراءته كلمة ﴿نُحَاسٍ﴾ إتباعاً لشكلة التي قبلها وهي كلمة (نار) وهي مخفوضة لفظاً، مع أن محلها الرفع ﴿وَنُحَاسٍ﴾ لأنها معطوفة في المعنى على كلمة ﴿شُوَاظٌ﴾ على قراءة الجمهور.

وهذا وارد في كلام العرب وفي أشعارهم، وذكروا له ابن عبد البر وغيره شواهد كثيرة في الخفض بالمجاورة، ولا يغرك هذا الخفض فتتنظر إلى محل الكلمة الأصلي الإعرابي، فتبني المعنى عليه. ومن شواهد ذلك قول امرئ القيس في قصيدته المعلقة المشهورة يقول:

كأن ثبيراً.....

جبل مشهور في مكة اسمه ثبير.

كأنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانٍ ۙ وَبِلِهِ

يعني في وقت نزول المطر عليه.

كبيرُ أناسٍ في بَجَادٍ مُّزْمَلٍ

مزمل وصف لكلمة كبير فمحلها الرفع، كان الأولى أن يقول "مزمل"، لكن قصيدته كلها على

اللام المخفوضة، فخفض كلمة مزمل إتباعاً لشكلة التي قبلها وهي كلمة "بجَاد"، "في بَجَادٍ مُّزْمَلٍ" وحقها الرفع.

ومنه قوله أيضاً:

صَفِيفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُّعَجَّلٍ

فظلَّ طُهَاهُ اللحم ما بَيْنَ مُنْضِجٍ

(1) الرحمن: 35.

"قَدِيرٌ مُعَجَّلٌ" حقها النصب لأنها معطوفة على "صَفِيفٌ" فكان الأولى لغة أن يقول: "صَفِيفٌ شِوَاءٌ" أو قَدِيرٌ مُعَجَّلٌ" ولكن هذا سيخل بوزن القصيدة، وروبيها، فخفض إبتاعاً لكلمة "شِوَاءٌ":

صَفِيفٌ شِوَاءٌ أو قَدِيرٌ مُعَجَّلٌ .....

مع أن محل كلمة "قَدِيرٌ مُعَجَّلٌ" النصب. وهذا له شواهد كثيرة من أشهرها قولهم البيت المشهور الذي يروونه في كتب التفسير كثيراً يقول:

حي داراً أعلامها بالجناب  
مثل ما لاح في الأديم الكتاب

الكتاب فاعل، لاح الكتاب. فحق الشاعر أن يقول: مثل ما لاح في الأديم الكتاب، لكنه خفضها إبتاعاً لشكلة التي قبلها، ومحلها الحقيقي الرفع. وهذا يزيل الفهم الخاطئ الذي ذكره الزجاج وغيره، أن (المتين) ليس بالتالي معطوفاً على الرزاق، فلا يحسب من أسماء الله؛ لأنه وصف للقوة. وخطؤه أنه حمل الخفض في كلمة (متين) في قراءة يحيى بن وثاب على أنه خفض معنوي، والحقيقة أنه لفظي.

أما قوله: ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ ، ﴿ذُو﴾ هنا مسألة مهمة ﴿ذُو﴾ في لسان العرب ولغتهم تأتي على

معنيين:

- المعنى الأول: بمعنى الصاحب، ذو مال أي صاحب مال. ذو علم أي صاحب علم.
- وتأتي بمعنى المالك، مالك الشيء. يعني مثلاً ذو الدار، أو ذو الكنائس: مالكها والتي هي في ملكه. هكذا في اللغة.

وأكثر أهل اللغة يعتبرون المعنيين واحداً. يحق لك أن تستخدمها بمعنى المالك، وبمعنى الصاحب، لكن في القرآن تختلف. خصوصاً عندما تأتي كلمة ﴿ذُو﴾ مضافاً إليها شيء أو وصف أضيف إلى الله. عندما يضاف شيء إلى الله في القرآن العظيم، مستخدماً في كلمة ﴿ذُو﴾ فيجب أن تنظر، يكون هذا على نوعين اثنين:

النوع الأول: انظر إلى ما بعد كلمة ﴿ذُو﴾ فهو الوصف المضاف إلى الله. فإن كان وصفاً ومعنى، فتكون ﴿ذُو﴾ قولاً واحداً بمعنى صاحب الشيء، ليس بمعنى المالك.

وفيه أربعة شواهد في القرآن، لا أظن ولا أعتقد أن هناك غيرها.

منها هذا الموضع: ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ أي صاحب القوة. مباشرة تعتبر القوة صفة من صفات.. لأن القوة صفة ووصف ومعنى. فلما أضيفت إلى الله بلفظ (ذو) تكون قولاً واحداً بمعنى الصاحب. أي صاحب القوة، فتكون القوة صفته التي اتصف بها، القائمة بذاته العلية \_ تعالى وتقدس \_.

قوله تعالى مثلاً: ﴿وَرُبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾<sup>(1)</sup> في أي سورة هذه؟ في الأنعام هذه؟ ﴿وَرُبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ أي صاحب.. لا تقل مالك الرحمة. هنا قولاً واحداً تقول صاحب الرحمة، فتكون الرحمة صفة التي اتصف بها، وقامت به تعالى.

في غافر يقول جل وعلا: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ﴾<sup>(2)</sup> ذي الطُّوْلِ الطول وصف، وهو يأتي على معنيين اثنين كلاهما صحيح أن ينسب إلى الله:

المعنى الأول: بمعنى الغنى والسعة، وهذا وصف حقيقي وصحيح. ﴿ذِي الطُّوْلِ﴾: أي ذو الغنى والسعة، الذي يستوعب الخلائق كلها فضله، وإحسانه، وإنعامه. هذه من معاني ﴿ذِي الطُّوْلِ﴾ ويأتي أيضاً (الطُّوْل) بمعنى الشيء الأبدي، الباقي، السرمدي، الذي لا يزول، ولا يحول. وهذا (14:57) بالله، فالله سبحانه وتعالى حي لا يموت، ولا يطرقة شيء من الخلل والنقص والفناء \_ تعالى الله وتقدس \_ . والإنس والجن يموتون، كل شيء سوى الله معرض للفناء، والخراب، والاضمحلال، والزوال، إلا الله سبحانه وتعالى. هذا معنى كونه أبدي، باقي، سرمدي، وهذا المعنى صحيح، وله شواهد في اللغة. منها قول الشاعر، وهو القطامي في قصيدته المشهور يقول:

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل  
وإن بليت وإن طالت بك الطيل

الطيل هنا جمع طول. أي وإن استلمتكم الأمور التي هي مستديمة في حكم الزمان، مثل الفناء. لا يمكن شيء في الأرض لا يفنى، أليس كذلك؟ مهما عاش، ومهما طال، ومهما.. سيأتي عليه يوم يتعرض فيه لليل، والخراب، والفناء، حتى الدنيا هذه كلها لها يوم وللا؟ هذا حكم قدري زمني. وما أحسن قول أبي ذرّيد في مقصودته المشهورة، لما عبّر عن هذا المعنى بقوله يقول:

إنَّ الجديدين إذا ما استوليا  
على جديدي أدنياه لليلي.

الجديدين يقصد بهما الليل والنهار. كل يوم يتجددان أليس كذلك؟ كل يوم ليل جديد وبعده نهار جديد. لكن هذين الجديدين، حكم تجددهما أبدي سرمدي إلى آخر الزمان. كل شيء يشملهما حكم الليل والنهار، مهما كان جديداً، فإن جدة الليل والنهار ستستلمه حتى تدنيه قطعاً، وبقيناً، وواقعاً إلى البلى والفناء.

والشاعر يقول:

(1) الكهف: 58.

(2) غافر: 3.

..... وإن طالت بك الطيل

.....

يعني مهما كنت جديداً أيها الطلل، فإنك ستبلى وستفنى؛ لأن طول الزمان، وتعاقب الدهور، سنة كونية تدني كل شيء إلى الفناء، والخراب، والنهاية. هذا المثل الثالث لكلمة ﴿ذُو﴾.

فيه مثل رابع وهو في سورة "الرحمن"، في موضعين في أول السورة يقول جل وعلا: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾<sup>(1)</sup> فوصف نفسه بالجلال، والإكرام، مضافاً إليه ﴿ذُو﴾ فيكون الجلال، والكرم، والإكرام من صفات ربنا جل وعلا وفي آخرها قال: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾<sup>(2)</sup> الجلال وصف ومعنى. والكرم والإكرام أيضاً وصف ومعنى أضيف إلى الله بصيغة (ذو). فلا بد تجعلهما قطعاً بمعنى الصاحب، أي أنه صاحب تلك الصفة. والصفة هذه قائمة بذاته، سبحانه وتعالى، لم يكن قط معطلاً عنها، ولن يعطل عنها قط في الزمن القادم \_تعالى الله وتقدس\_.

الجلال وهو بمعنى العظمة، وبمعنى الهيبة، حتى يأتي الجلال بمعنى الهيبة. الله أهل للجلال والتعظيم، وأهل لأن يُهاب، ويُخشى، ويُتقى سبحانه وتعالى. ويأتي في كلام العرب الجلال والجلل، بمعنى الأمر العظيم، ويأتي بمعنى الأمر المهاب، الذي يفرع ويخاف منه، ويملك على الإنسان جوارحه ونحو ذلك.

وإن كان مع الأسف يصرفونها الخلق هذه المهابة، وهذه الجلال إلى المخاليق مثلهم. يهاب من أمير، ويهاب من وزير، ويهاب من شرطي، ويهاب من ماني عارف إيه، ويعطي الجلال لمن لا يستحقه. حتى قال الأصمعي كلمة جداً أعجبتني.

الأصمعي الإمام المشهور، قرر أن وصف الجلال، ومشتقاته من التجليل، والجلالة، ونحوها لا تليق إلا بالله، فلا تصرف لغيره حكماً شرعياً. وخالفه بعض أهل اللغة كالسجستاني وغيره، وأبو حاتم، وهو مردود عليهم بأدلة كثيرة، ليس ربما الآن موضع تفصيلها. والشاعر يقول ابن جميل أو غيره، جميل بن معمر يقول، يعني يتجلل أطلال معشوقته كعادة الشعراء يعني هكذا، يروح يبكي عند الحجارة البالية، والخيام ويقول:

رسم دار.....

هي جميلة القصيدة تسمعون مطلعها

رسم دارٍ وَقُتُّ فِي طَلَلِهِ

قَدْ قَضَيْتُ الْيَوْمَ مِنْ جَلَلِهِ

(1) الرحمن: 26-27

(2) الرحمن: 78.

يعني كدت أموت من مهابة أطلال صديقته وصاحبته. أطلال يعني يشوفها كاد أن يموت لما رأى أطلال، هذا لا يليق إلا بالله رب العالمين سبحانه وتعالى.

لا يجوز صرف الجلال، والتجليل، والإجلال، والجلالة، ومشتقاتها، وما يتفرع عنها من المهابة، والخشية، لغير ذي الجلال والإكرام ربنا سبحانه وتعالى.

نعم، هذا النوع الأول. فإذا كان المضاف إلى الله في القرآن بكلمة ﴿ذُو﴾ وصفاً أو معنى، تعتبر ذلك صفة، وهي أربعة مواضع كما سمعتم.

أما إذا كان المضاف إلى الله عيناً، من أجناس المخلوقات، فلا يكون ذلك وصفاً لله، فهي تكون

﴿ذُو﴾ قطعاً هنا بالمعنى الثاني، وهي بمعنى الملك مالك الشيء كقوله تعالى مثلاً: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾<sup>(1)</sup> في أي سورة هذه؟ في غافر ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ﴾، ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أي مالكة، وخالقه. العرش مخلوق من مخلوقات الله. وإن كنا نحن أهل السنة نعتقد أن العرش أعظم المخلوقات طراً، وهو سقف العالم كله كله.

كل شيء من المخلوقات، ما نعلمه وما لا نعلمه، كله تحت قبة العرش يسبح. العرش انتظم

المخلوقات. هذا العرش العظيم، الجليل، المجيد، المهيب، هو خلق من خلق الله سبحانه الله. خلقه الله،

وأوجده، مسبوق بالعدم، ويعني جعله الله أعلى المخلوقات، وسقفها، وله ملائكة تحمله، وله أطراف ينتهي

إليها، وحول، تحيط به الملائكة وتطيف به قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾<sup>(2)</sup> فلما يضيفوا إلى ذاته جل وعلا بقوله: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ وفي سورة البروج: ﴿ذُو الْعَرْشِ

الْمَجِيدُ﴾<sup>(3)</sup> هذه الإضافة إضافة ملك، أي أن الله مالك هذا العرش، وخالقه، ومدبره، وهو الذي يحمله

جل وعلا.

فيجب أن تفرق. فما أضيف إلى الله بكلمة (ذو) إن كان المضاف معنى، أو وصفاً، تعتبر معنى

الصاحب، وتجعل ذلك صفة لله. وإن كان المضاف إلى الله (ذو) عيناً وخلقاً، فتكون هنا (ذو) بمعنى الملك

كقوله: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾.

(1) غافر: 15.

(2) غافر: 7.

(3) البروج: 15.

هنا ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ القوة معنى من المعاني، وصفة من الصفات، ف ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ أي صاحب القوة، فالقوة صفته.

وجاء في نصوص أخرى تسمية الله بالقوي، فدل على هذه الصفة إضافتها إلى الله بلفظ (ذو)، ودلّ ليها اسمه القوي سبحانه وتعالى.

هنا عندكم في الشرح، نحتاج إلى أن ننبه إلى بعض التنبهات، دونتها حتى لا أنساها.

يفسر ينقل الحافظ \_ رحمه الله \_ عن كثير من الشراح تفسير القوة بمعنى القدرة مثلاً. نقل عن ابن بطال عندكم هنا، وعن البيهقي أيضاً أنها بمعنى القدرة. على قواعد أهل السنة هذا لا يستقيم. فالقوة صفة من صفات الله، والقدرة صفة أخرى، ولذلك يعني يجب أن ننبه إلى الفرق.

قد تقول لي طيب ما الفرق بين صفة القوة وصفة القدرة؟ إذا لم نقبل تفسير القوة بالقدرة؛ لأن هذا سيحيل صفة القدرة إلى القوة، سيحيل صفة القدرة إلى القدرة. إذا لم نقبل ذلك، فلا بد أن نذكر فرقاً معنوياً بين وصف القوة ووصف القدرة فنقول.

ذكر أهل السنة طبعاً من غير الشروحات من كتب أخرى، أن القادر على الشيء، أنت تعرف

الفرق، قد يقدر عليه ويستحق وصف القادر عليه، ولكن بنوع كلفة، ومشقة، وصعوبة، وجهد، أليس كذلك؟ تقول فلان يقدر أن يرفع هذا مثلاً المائة كيلو وللا... الي يجيئونهم في التلغاز كل واحد مثل البغل ما شاء الله يرفع، ويعطونه جائزة ويسفون. وهو قدر أن يرفع ويستحق أن يسمى قادراً على هذا الفعل، لكن بنوع كلفة، وجهد، ومشقة، وتعب، هذا في حق الله ملغي.

فالله يقدر على كل شيء بلا كلفة، ولا مشقة. لماذا؟ لأنه هو القوي. فقوته جل وعلا، التي هي

صفته، مكنته من أن يفعل ما يشاء بلا مشقة، ولا كلفة، ولا جهد، وهذا منصوص عليه في القرآن. قال الله تعالى في آية الكرسي: ﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾<sup>(1)</sup> حفظ السماوات والأرض. حفظ السماوات والأرض عمل هائل عظيم؛ بل حتى العقل لا تكاد تتصوره.

إمساك السماوات أن تزول، وتقدير الأقدار هذه كلها، ومراقبة الخلق، والقيام بأحوالهم وأرزاقهم،

هذا عمل هائل عظيم، لا تستطيع عقولنا أن نتصوره. هذا يفعله جل وعلا ويقدر عليه بلا كلفة لماذا؟

لقوته ﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ أي لا يُكْرَهُهُ، ولا يكرهه، ولا يزعجه، فضلاً عن أن يعجزه حفظ السماوات والأرض والقيام بهما. فعرفت فيه فرق ولا ما فيه فرق؟

(1) البقرة: 255.

قد يكون قادراً على فعل، لكن بكلفة ومشقة وجهد. وهذه الكلفة، والمشقة، والجهد، لنقص في القوة. أما الذي يفعل ما يشاء، ويقدر على ما يريد فعله بلا كلفة، القوة التي هي صفته، هي مُكْتَنُّه في فعله وقدرته على فعل ما يريد.

آية التي رد الله بها على اليهود. اليهود لما زعموا وافتروا بأن الله جل وعلا لما خلق السماوات والأرض، انتهى وفرغ من خلق السماوات والأرض يوم الجمعة، فاستراح أخذ إجازة يعني يوم السبت، ليزيل عن نفسه آثار الإعياء والتعب، فكذبهم الله وأنزل الآية في سورة "ق": ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾<sup>(1)</sup> هذا لكمال القوة، التي مكنته وأقدرته جل وعلا، وهو القادر المقتدر القوي أن يفعل ما يشاء بلا كلفة ولا مشقة.

فارق آخر: كل قادر غير الله تفرضه، لا يستقل بالقدرة، يحتاج ربما في أحوال كثيرة إلى الأعوان والأنصار. وللا لا؟

افترض ملك على بلد ما، هو قادر على ضبط الأمور هذا الملك وهو فرد واحد، وقادر على حفظ مملكته، وحفظ نفسه، وتصريفه، لكن وحده؟ لا يتصور ذلك. يحتاج إلى جيوش، وعساكر، ووزراء، ومستشارين، وكتّاب... لا يمكن أن يستقل لوحده بفعل شيء من الأشياء. واعتبر ذلك بأحوالك وأحوال.. لا يمكن مهما كنت متمكناً. ويصح عقلاً ولغة أن تقول فلان قادر على ضبط أمر دولته، قادر لكن ليس استقلالاً، لنقص فيه؛ لأنه مخلوق، فيه ضعف، فيه نقص، ماذا يضبط وماذا يمسك لوحده؟ ما يمكن. يحتاج إلى جيوش جراحة حتى يتمكن من.. إلا الله جل وعلا.

فلكمال قدرته المبنية على تمام قوته، لا يحتاج إلى الأنصار، ولا إلى الأعوان، ولا إلى المستشارين جل وعلا. يستقل بفعل ما يشاء وما يريد سبحانه وتعالى. ولقد كان ولا مخلوق جل وعلا، وهو الخالق للخلق والمقدر لهم، والمزيل لهم إذا شاء.

فصار عندنا فرقان اثنان واضحان، بين وصف القدرة، ووصف القوة. فإحالة القوة إلى القدرة، إحالة الوصف الأصلي، الذي هو بُنْي عليه القدرة في التصور العقلي.

أما قوله: ﴿الْمَتِينُ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ جل وعلا. أيضاً لم يرد هذا الاسم في القرآن كله إلا في هذا الموضع الواحد. لكن في غيره جاء موضعان أو ثلاثة، قال الله تعالى فيهما:

(1) ق: 38.

﴿وَأْمَلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾<sup>(1)</sup> والمتين في اللغة يأتي بمعنى الشديد، كما قاله ابن عباس، ويأتي بمعنى مهم جداً هذا المعنى، ويصح أن يضاف إلى الله في معنى المتين.

كل قوي تفرضه، وكل قادر تفرضه سوى الله، لا بد قطعاً وضرورة بحكم القانون القدري للخلائق، أن يطرق قوته ضعف ما. وللا لا؟ ونقص ما. ما يبقى قوي طول عمره. وللا لا؟ يتدرب ربما، ويصبح قوياً، وبعد خمس سنين يصبح ما يقدر يمشي. صحيح؟ أي قوي تفرضه سوى الله، قوته وقتية، آنية، مهما كان قادراً أو قوياً، سيطرق قوته الضعف، والوهن، والبلى، إلا الله سبحانه وتعالى. فقوته متينة، وصفته متينة بمعنى أنه جل وعلا لا يطرق وصفه بالقوة، ووصفه بالقدرة، وغيرها من الأوصاف، أي خلل، وأي نقص مهما طال الزمان، قصر الزمان، هذه لا اعتبار بها في أوصاف الله سبحانه وتعالى. ويجب أن ننظر إلى هذه من جهتين اثنتين:

من جهة الزمن الماضي: لم يكن جل وعلا قط في زمن ماضي تقدره معطلاً عن صفة من صفاته الجليلة، أو ناقصاً كاملها يوماً من الأيام.

وتنظر في الزمن القادم أيضاً، لن يكون في الزمن القادم قط، أن يطرق وصفاً من صفاته سبحانه وتعالى شيء من ذلك، ولذلك يجب أن نعتقد على قواعد أهل السنة، أن الله سبحانه وتعالى كان ولم يكن معه غيره، وكان جل وعلا بجميع صفاته العلية، حتى قبل وجود خالق قبل أن يخلق \_ على عبارة الطحاوي المشهورة \_ ورازقاً قبل أن يرزق، وقوي، ومتمين، وعليم، حتى قبل وجود المعلومات، وتحققها في أرض الواقع. فيجب أن نعتقد ذلك.

فصفاته جل وعلا تامة كاملة، وهذا معنى المتين. لم يطرقها نقص، فضلاً عن تعطيل وزوال في الزمن الماضي، ولن يطرقها أيضاً نقص فضلاً عن زوال أو تعطيل في الزمن القادم. هذا هو الأمر المتين، فهو وصف للصفة. هذا معنى مهم جداً، مع ما نقل عن ابن عباس أن معنى ﴿الْمَتِينُ﴾ بمعنى الشديد.

يُنظر إلى ﴿الْمَتِينُ﴾ من جهة ثانية أو ثالثة، من جهة كونها وصفاً ذاتياً لله جل وعلا. عرفنا معناه قبل قليل، أنه مكتمل جل وعلا، كامل الصفات لم يطرقها قط نقص في زمن ماضي ولا قادم.

ولها معنى فعلي، أشارت إليه آيتي: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ فعلم الله سبحانه وتعالى متين، فلا يؤتى من جهل سبحانه وتعالى، ولا من خفاء: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾<sup>(2)</sup>.

(1) الأعراف: 183.

(2) طه: 52.

ومن أكثر أسباب ورود المضار على الإنسان، عزوب العلم عنه، تجهل مضرة هذا الأمر، وتجهل أنه سيصيبك في ذلك المكان سوء، وتجهل أن هذا الإنسان سيفعل بك كذا، وتجهل، وتنسى، وتغفل، فتأتيك الآفات. هذا لا سبيل له إلا الله، لمتانة علمه سبحانه وتعالى. أخذه، وعذابه، ونكاله لأعدائه متين، وذلك من جهتين اثنتين. من جهة لن يفلت منه أحد. قدم ما شئت من ملوك الدنيا وبجيوشهم، ما يستطيع أن يربطون كل ما يريدون، تفلت منهم الأمور من هنا وهناك.

لا يستطيع أحد أن يفلت من قبضة الله. وهذا منصوص عليه في القرآن. ومن سوء ظن الكفار والمشركين، وكثير من الفجار، والمنافقين، ومن ران على قلوبهم معصية الله، أنهم يظنون ربما جهلاً وتغريراً للشيطان بهم، ويحسبون نظراً لخفة تعظيم الله في قلوبهم، أنهم ربما يفوتون الله؛ بل قد يظنون أنهم قد يعجزونه ويسبقونه، هذا منصوص عليه في القرآن: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (1).

فإذا علمت أن الله متين في علمه، وفي حكمه، وفي قبضه، وفي أخذه، لا يمكن أن تظن بالله هذا الظن أنك ستسبق الله فيفوتك، فلا يطلبك بذنوبك ولا بجرائمك. ومعنى ﴿يَسْبِقُونَا﴾ أي يفوتونا، فلا نحصي عليهم مثاقيل الذر من أعمالهم، ويغلطوننا الحساب يوم القيامة. هكذا ذكر ابن عباس وغيره. يظن أن يجي مثل ما هو في الدنيا فهلوي كده، ويلخبط الحسابات، يظن بعض الجاهلين هكذا. وهذا الظن حقيقي، وإلى يوم القيامة بعض الخلق في الموقف الأكبر، والمشهد الأعظم الذي تطيش فيه العقول، يحسبون أنهم ربما بالكذب، يروجون على الله. اقرأ الآية في سورة المجادلة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ ماذا يصنعونه؟ ﴿فَيَخْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ (2) حسب الكلام، والكذب، والنور، والبهتان، والأيمان الكاذبة تمشي، هذا لا يزال إلى ذاك اليوم يظن بالله ظن السوء.

فالمتين في علمه، وفي أخذه، وفي حسابه، لا يظن به هذا الظن أبداً. فالله أخذه، وقبضه متين، وكيده لمن يكيدون بدينه وعباده أيضاً متين. لذلك قال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ (3) ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ (4) ﴿فَدَرْنِي﴾

(1) العنكبوت: 4.

(2) المجادلة: 18.

(3) القلم: 44.

(4) الأعراف: 183.

﴿وَمَنْ يُكذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾<sup>(1)</sup> ماذا أصنع بهم؟ قاعدتين مائة سنة يكذبون ويفترون على الله الكذب  
﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (44) وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾<sup>(2)</sup>.

يقول الإمام ابن القيم \_ رحمه الله \_ يقول: لا بد للذنوب، والآثام، ومشاقاة الله من آثار، لا بد لها من عقوبة. والله يعامل خلقه ويعاقبهم بما يفعلون، وبما يجنون، وبما يفترون عليه، وبما يتجاوزون من حرمان بإحدى عقوبتين. يقول ابن القيم إحداهما هي الأعظم في ظاهر النظر، بينما الأخرى هي الأعظم في حقيقة الأمر.

الأعظم في ظاهر النظر، أن يأخذك الله أو يأخذ العاصي هذا كما أخذ أمم سابقة، ولا يعجزه شيء سبحانه وتعالى. كما سنقرر هذا ربما في الحديث عند قوله: ﴿مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ﴾ ومعنى صبر الله سبحانه وتعالى، لحكم عظيمة استدراجية. لا كصبر المخلوقين كما سنذكر إن شاء الله. إيش قلت؟ العقوبة، نعم العقوبة، هذه قد تكون رحمة للعاصي هذا، يطهره الله بها. ولكن الأخرى وهي الأسوأ في الحقيقة، وهي أن الله يملئ لهذا الظالم، ولذلك الفاجر، ولذلك المنافق. صحته طيبة، تسعين سنة ما صار له ولا حتى سخونة أعوذ بالله من الشيطان، أمواله تزيد ما تنقص، كل ما يريد أن يفعل يفعل، وما أصابه من قوارع الدنيا شيء. هذا أراد الله به أمراً عظيماً ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (44) وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

فسرتها آية آل عمران: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾<sup>(3)</sup> هذا معنى ﴿الْمَتِينُ﴾.

إذا ندخل على الحديث الآن. قال البخاري \_ رحمه الله \_ : ﴿حَدَّثَنَا عَبْدَانُ﴾ قلت لكم غير مرة عبدان، لقبه واسمه عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد، العتكي المكي، وله شقيق من شيوخ البخاري في الصحيح، مرّ معنا أكثر من مرة اسمه شاذان، أو لقبه شاذان، واسمه عبد العزيز بن عثمان بن أبي رواد. فأنت بين عبدان وشاذان.

﴿عَنْ أَبِي حَمَزَةَ﴾ السكري، الإمام المشهور، اسمه محمد بن ميمون.

﴿الْأَعْمَشُ﴾ هو سليمان بن مهران.

(1) القلم: 44.

(2) القلم: 44-45.

(3) آل عمران: 178.

(عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ) الوالي الأسدي مولاهم، الإمام التابعي المشهور.

(عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ) هذا تابعي جليل، وهو أحد أعمدة القراءة، قراءة القرآن. الذين

تكاد يكون واسطة عقد في أسانيد القراءات. نقل القرآن غظاً طرياً كما أنزل من أفواه الصحابة. قرأ القرآن على عثمان، وعلى علي، وعلى زيد بن ثابت، وعلى أبي، كبار قراء الصحابة. وأكثر أسانيد القراءات المشهورة، ترجع إليه إلى أبي عبد الرحمن السلمي.

ثم هو محدث كما تسمعون، وعابد، ناسك زاهد. اسمه عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي، كوفي من الكوفة، عمّر حتى بلغ تسعين سنة، وتوفي سنة سبعين أو نحوها.

من المعلومات المهمة، لم يفته من الصحابة في الراية سوى الصديق أبي بكر وأبي عبيدة. من عمر ومن بعد أدركهم وروى وسمع منهم، عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، فاته الصديق، وفاته أبو عبيدة.

(عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ

مِنْ اللَّهِ) الصبر من الخلق قد يكون لأسباب كثيرة. أنت لماذا تصبر على أمر يكرهك أو يسوؤك؟ فيه أسباب تدفعك إلى الصبر. من ذلك رجاء العاقبة الحميدة للصبر في الدنيا والآخرة. وللا لا؟ فتصبر، تصبر على لأواء الدنيا، تصبر عن معصية الله فلا تفعلها، تصبر على طاعة الله فتأتيها، تصبر على المكروه، تصبر على الأقدار التي تصيبك. لماذا؟ لأنك ترجو من صبرك هذا عاقبة حميدة في الدنيا والآخرة، والصبر خير كله بالجملة. نصف الإيمان أو كما جاء في الآثار. لا بد من الصبر.

قد يصبر الإنسان عجزاً، يعني كما نقول نحن صابر غصباً عنه. مريض داروا به المستشفيات، ودّوه لأمرها... مريض يصبر غصباً عنه هذا ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾<sup>(1)</sup> إيش مسوي يعني؟ أجيوني معشر العقلاء، هذا صبر اضطراري، غصباً عنه؛ لأنه ما له حالة غيره. صاح، ما صاح، بكى، ضرب، خبط، لا يرد ذلك في الأمر شيئاً.

قد يصبر عجزاً عن الانتقام مثلاً. يقهره عدو أو آذاه فيصبر لعجزه عن أخذ حقه، ومدافعة، قد يصبر ضعفاً. أسباب صبر المخلوقين كثيرة، هذه كلها لا تأتي في صبر الله. لا يصبر الله جل وعلا انتظار عاقبة. ينتظر عاقبة ممن جل وعلا؟! ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾<sup>(2)</sup> لا يصبر عجزاً عن دفع أمر يكرهه \_ جل وعلا \_ وأخذ حقه ممن يعاديه من المخلوقين. ليس صبره من هذا الباب؛ إنما صبره من أي باب؟

(1) الطور: 16.

(2) الحج: 41.

صبره أولاً من جهة أن الخلق جميعاً لن يبلغوا ضره. حتى تفهم معنى الأذى بعد قليل. ايش معناه على أذى سمعه من الله. وفيه نجيب على بعض ما قاله بعض الشراح في معنى الأذى. ما استوعبوا كلمة **(عَلَى أَدَى سَمِعَهُ)** ونظائرها كقوله: **(يُؤْذِنِي ابْن آدَمَ)** <sup>(1)</sup> مثلاً. ما استوعب بعض الشراح كيف أن المخلوق يؤذي الله، هذا نوع ضرر يوصله المخلوق إلى الخالق.

وقد علمنا بالقواعد والأصول العظيمة، أنه لا يبلغ الخلق كلهم ولو اجتمعوا ضر الخلق سبحانه وتعالى. كما في الحديث القدسي حديث أبي ذر: **(يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك مما عندي شيء)** <sup>(2)</sup> لا يضر الله شيء سبحانه وتعالى. لو كل الخلق كفروا، وفجروا، وشاقوا الله، وادعوا، لن يبلغوا ضره. فليس صبره انتظار عاقبة، فله عاقبة الأمور. ولا عجزاً عن أخذ حقه من عدوه.

أولاً: لأنهم ما بلغوا ضره \_ هذا من جهة \_ فيضروه.

ثانياً: حتى يرتبط مناسبة الحديث بالآية التي ترجم بها البخاري. أما عرفنا في كلمة (المتين) قبل قليل أن من معانيها أن الله يستدرج الفاجر، ويستدرج المنافق، يعطيه خمسين سنة يعبث، وستين سنة يلعب، وتسعين سنة يفجر.. استدراجاً له، هذا هو معنى الكيد المتين. هذا هو الصبر، يصبر استدراجاً له، ليوقعه في شر أعماله، فلا يجد له مسلكاً ولا سبيلاً للنجاة. إذا عامل الله العبد بهذه المعاملة انتهى هذا، انتهى. من يقوم لكيد الله سبحانه وتعالى، ومكره، ومثانة كيده. فصبره من هذا الباب.

قال أهل العلماء: هو إنما يصبر جل وعلا؛ لأنه قضى وقدر أنه لا بد أن تظهر كل آثار صفاته في خلقه، ومنها تعذيبه لمن أراد تعذيبه، وإهلاكه لمن أراد إهلاكه، ورحمته لمن أراد رحمته. فلا بد أن يمد في المدة لهذا ولهذا، يمد في المدة لهذا حتى يتوب ربما. قد يكون به خير، أراد الله به خيراً، فيعطيه ستين سنة ويمد في عمره. يجي بعد ستين سنة يتوب، **﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾** <sup>(3)</sup> هذا معنى صبره، لتظهر آثار حكمته وصفاته في خلقه، لا على معنى المدافعة، وعلى معنى المغالبة، ولا على معنى انتظار العاقبة، ولا على معنى العجز، عن أخذ حقه من عدوه: **﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾** <sup>(4)</sup> كما قال سبحانه: **﴿أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾**

(1) الطبراني في معجمه الأوسط ج 8 / ص 354 حديث رقم: 8856.

(2) مسلم في صحيحه ج 4 / ص 1995 حديث رقم: 2577.

(3) إبراهيم: 27.

(4) الزخرف: 42.

**فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ** <sup>(1)</sup> وأيام الله في الكفار تدل على ذلك. فهذا معنى قوله: **مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَىٰ أَدَىٰ سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ**.

الخلق يؤذون الخالق كما سمعنا الآية هنا، أو كلام النبي صلى الله عليه وسلم. فنسبة الولد إلى الله أذى، يسمعه الله من الخلق، ويصبر عليه لما علمنا من حكم ومعاني صبره. في الحديث الآخر المشهور حديث النبي صلى الله عليه وسلم، يقول فيما يرويّه عن ربه جل وعلا. يقول جل وعلا: **((يؤذيني بن آدم))** ماذا يصنع؟ **((يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار أقليمهما كيف أشاء))** <sup>(2)</sup>.

لما يأتي الخلق تصيبه مصيبة، فيذهب يسب الزمان والدهر، ويتهمهم بكذا، هو ما يسب، الزمان ما هو؟ ظرف للفعل. الزمان في تعريف المناطقة ظرف للفعل. حتى في اللغة يسمونه ظرف زمان. فالذي قدر هذا القدر، وفعل هذا الفعل، ليس الليل والنهار، هما ظرفان للفعل، والفاعل هو الله المقدر المدبر \_ جل وعلا \_.

فسبّ الزمان والدهر نظراً لما أصاب الإنسان مما لا يجب، ومما يكره، يؤول بالضرورة سباً للمقدر المدبر، الذي قدر هذه الأمور وهو الله سبحانه وتعالى. فجعل ذلك أذية **((يؤذيني ابن آدم))**.

قال النبي عليه الصلاة والسلام في قصة كعب بن الأشرف، في الحديث المشهور يقول: **((من لكعب بن الأشرف فإنه آذى الله ورسوله))** <sup>(3)</sup> والقرآن يصدق ذلك قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ**

**اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾** <sup>(4)</sup> فأذية الخلق حتى لا تشكل عليك مع ما قرناه، وما هو مقرر فطرة وعقلاً وشرعاً، بأن الخلق لن يضروا الله في شيء سبحانه وتعالى. الله جل وعلا أذيته يفسرها ما جاءت الأذية مقرونة به، نسبة الولد إلى الله أذية من الخلق إلى الخالق، وفي معناها كل الشرك، سب الدهر أذية لله، معادة الأنبياء والرسل، ومعادة أمر الله، وعدم الرضا به، نوع أذية لله سبحانه وتعالى.

معنى الأذية حتى سألت. يقول العقلاء: كل شريف عفيف، نظيف، يكبر عليه، ويغضبه، ويحفظه أن يتهم بما ليس فيه. أليس كذلك؟ أليس كذلك؟ وهذا من الكمال. إذا كان لا يغضبك ما تُتهم به زوراً وبهتاناً، فأنت يعني لا تحسب نفسك حتى من البشر.

(1) الزخرف: 42.

(2) الترمذي في سننه ج 2 / ص 15 حديث رقم: 5274.

(3) مسلم في صحيحه ج 3 / ص 1426 حديث رقم: 1801.

(4) الأحزاب: 57.

الشافعي له كلمة جميلة يقول: "من استغضب فلم يغضب فه و حمار". نعم الحمار، يا حمار، يا كلب، يا جحش، ما فيه فائدة. الحر الشريف تؤذيه الكلمة وللا لا؟ وتحفظه. أما الأبله الثور الحمار ما يفهم شيء. كلب، يا حمار، مثل يا بطل، مثل يا شاطر، كلها واحدة، أبله ثور. فكلما ازداد شرف الشيء \_ حتى من العقلاء \_ كلما عظم عليه أن يُتهم بما ليس فيه. ولذلك قالوا أن أعظم أذية تعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم تدرن ما هي؟ اتهامه بما هو أبعد الناس عنه. أربعين سنة مثال للأمانة، والصدق، والشرف، والطهر، فجأة يصبح مجنون، أنت مجنون، أنت ساحر، أنت كاهن، أنت، أنت. هذا يكبر على الشريف، ويحفظه، ويغضبه. فمعنى أذية الله جل وعلا أن إذا قال الخلق ذلك، فقد أحفظوه وأغضبوه. والغضب صفة كمال في موضعها. وللا لا؟

إذا غضب الله من عبد، أو من أهل بلد، فقد أحفظوه، وأغضبوه. هذا معنى أذيتهم له، وبالتالي سيقع وبال غضبه، ونقمته، بسبب أذية عليهم. فالغضب بموجبه، وفي موضعه كمال. كما أن الرضا من آثار أفعال العباد، كمال. الله من صفاته أنه يغضب ويسخط. أليس كذلك؟ ويعاقب ويهلك، بسبب ما الذي يغضبه؟ أفعال العباد وللا لا؟ يسبون الدهر، ينسبون له الولد، يشركون به، يكفرون بدينه، يسبون أنبياءه، يؤخرون شريعته، ويقدمون غيرها عليها، ينتهكون حرماته فيحفظونه ويغضبونه. فإن شاء عجل العقوبة، وإن شاء كادهم الكيد المتين الذي تكلمنا عنه قبل قليل. أما قال عليه الصلاة والسلام: ((إن الله يغار))<sup>(1)</sup> ما الذي يحرك هذه الغيرة عند الله ويبعثها؟ فعل أن يزي عبده، أو تزني أمته. فالغيرة في موضعها محمودة وكمال، والغضب من آثار أفعاله محمودة وكمال. تماماً كما أن الرضا والفرح من صفات الله، أيضاً من آثار العباد. إذا تاب العبد، فرح الله بتوبته. إذا استقام على طاعته، فرح به ورضي عنه.

فآثار أفعال العباد، هي التي تنزل عليهم أحد آثار صفات الله. إما الغضب والنقمة، إذا آذوه وأحفظوه. وإما الرضا، والفرح، والمغفرة، والرحمة إذا أطاعوه، ويعني قاموا بما يريد منهم، وتابوا إليه، وأتابوا إليه.

وهذا هو الكمال. فالغضب في موضعه كمال، والرضا في موضعه كمال. والله سبحانه وتعالى يغضب ويرضى لا كأحد من الورى. أرجو أن أكون أوصلت المعلمة كما ينبغي.

(1) مسلم في صحيحه ج 4 / ص 2115 حديث رقم: 2761.

(سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ) يعني إشارة إلى من نسبوا إلى الله الأولاد كالنصارى، وحتى

المشركين في الجاهلية جعلوا الملائكة بنات الله، وغير ذلك. فنسبة الولد إلى الله قدح في أحدية الله وصمديته؛ لأن من معاني الصمد كما قررنا وغير ما مرة، أن الله جل وعلا لم يلد، ولم يولد، لم يخرج من أصل سابق، ولا يلحقه فرع لاحق. فنسبة الولد إليه قدح في أخص خصائص صمديته وإلهيته سبحانه وتعالى، أعظم من جنس الشرك نسبة الولد إلى الله. ولذلك خصها بالذكر، هنا مع أن في صور الشرك كثيرة. التي أشركها الخلق قديماً وحديثاً، لكن نسبة الولد إليه، وفي معناه نسبة الصاحبة، وفي معناها نسبة تدبير أمر من الأمور في العالم لغيره، أو أن الله أعواناً وأنصاراً، وهو قد نزه نفسه عن ذلك بقوله: **﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَهُ﴾**.<sup>(1)</sup>

(ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ) قال بعض الشراح: مناسبة \_ نختتم بها الباب هذا \_ إخراج البخاري لهذا

الحديث متناغماً مع الآية **﴿الرِّزْقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾** من جهتين:

من جهة باب صفة الرزق. تحدثنا عنها قبل قليل يعافيهم ويرزقهم، وأن الله عز وجل لا يمنع رزقه

عن الخلق حتى لو أغضبوه، وحتى لو كفروا به، وحتى لو ... لأن هذا تكفل بأفعال الربوبية التي تعم الخلق جميعاً. وقد يمد لهم في الرزق أيضاً إذا كان هناك استدراج وكيد متين لهم.

المناسبة الثانية: ماذا؟ تفيدنا حتى في تفسير الأذى الذي قبل قليل. الآية ذكرت أن الله ذو القوة،

وأنه متين، بلا عجز، ولا ضعف، ولا مانع، وأن الخلق لا يبلغوا ضره فيضروه، كما أنهم في نفس الوقت لا يبلغوا نفعه فينفعوه. وفي الحديث يقول: **﴿مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَىٰ أَدَىٰ سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ﴾** فهو على معنى أذى الشريف الجليل، الذي يُحفظه كما قلنا ويغضبه، أن يضاف إليه ما يعلمه هو سلامته منه، وبراءته منه، مما يغضبه، فينتقم ذو القوة المتين لنفسه، ولصفته، ولأحدثته، ولصمديته، لمن نسبوا إليه الولد.

الآن بعد مائة سنة يملي لهم، يستدرجهم، هذا صبره، وهذا كيده المتين، وهذه قوته. المهم أنه لا

يؤخر شيئاً عن عجز، ولو شاء لأهلكم الخلق جميعاً **﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾**.<sup>(2)</sup>

## الأسئلة:

(1) الإسراء: 111.

(2) المائدة: 17.

**سؤال:** نعم يقول السائل: هل يستقيم أن نقول إن الله تسمى بالأسماء الحسنى واتصف بها

**قبل أن يكون شيء؟**

**جواب فضيلة الشيخ:** نعم كان الله \_ جل وعلا \_ بجميع صفاته وكمالاته قبل وجود شيء من الخلق. لم يكن قط معطلاً عن صفة من صفاته في الزمن الماضي، ولن يكون معطلاً في الزمن القادم. يجب أن نعتقد هذا.

**سؤال:**.....

**جواب فضيلة الشيخ:** لا يجوز يعني وصف الجلالة لا يجوز إطلاقه على غير الله.

**سؤال:** ما هو أفضل كتاب يتكلم عن أسماء الله الحسنى؟

**جواب فضيلة الشيخ:** كتاب القرطبي، المفسر أبو عبد الله القرطبي صاحب التفسير، له كتاب اسمه "المقصد الأقصى" نعم المقصد الأقصى أظن في شرح أسماء الله الحسنى، هذا يعني جيد وطيب يراجع فيه فوائد كثيرة.

**سؤال:**.....

**جواب فضيلة الشيخ:** يسأل عن الدهر، ليس الدهر من أسماء الله ولا من صفاته. الدهر هو

جنس الزمان. والزمان كما تعرفون ما له إلا ظرفين اثنين: الليل، والنهار ما فيه شيء ثالث. الليل، والنهار، الشمس، والقمر، والسنين. مخلوقات من مخلوقات الله، لكن السب يؤول إلى المدبر الذي ليس هو الليل، وليس هو النهار، وليس هو الشمس، وليس هو القمر.

فليس الدهر ولا الزمن، لا من أسماء الله ولا من صفاته على خلاف في ذلك؛ لأن بعض أئمة السنة

القدماء مثل نعيم بن حماد الخزاعي يرى أن الدهر والديهور والديهار من أسماء الله، وهذا قول ضعيف لا يعول عليه والله أعلم.

اللهم علمنا وعلم بنا. اللهم أصلحنا وأصلح بنا. اللهم ارزقنا وارزق بنا. اللهم ارحمنا وارحم بنا.

اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه. والسلام عليكم.



## الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم. إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.  
أما بعد:

فواصل بتوفيق الله درسنا في كتاب التوحيد من الجامع الصحيح. ونقرأ الباب الذي وقفنا عليه. الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين. والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

### باب قول الله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً

قال الإمام أبو عبد الله البخاري \_ رحمه الله تعالى \_ : (باب قول الله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً و إن الله عنده علم الساعة و أنزله بعلمه و ما تحمّل من أنثى و لا تضع إلا بعلمه إليه يرد علم الساعة قال يحيى الظاهر على كل شيء علماً و الباطن على كل شيء علماً حدّثنا خالد بن مخلد حدّثنا سليمان بن بلال حدّثني عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مفايح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله و لا يعلم ما في غد إلا الله و لا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله و لا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله و لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله).

بؤب الإمام البخاري \_ عليه رحمة الله \_ لمسألة العلم، وهي صفة عظيمة من صفات رب العالمين جل وعلا. صفة العلم، و صدر الباب بهذه الآيات فقال: (باب قول الله تعالى عالم الغيب فلا يظهر

عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾<sup>(1)</sup>. وقوله تعالى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾<sup>(2)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾<sup>(3)</sup> وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾<sup>(4)</sup>.

قال العلماء: صفة العلم بالنسبة لله سبحانه وتعالى يندرج تحتها ثلاثة أنواع:

النوع الأول: علم الغيب المطلق، الذي لا يعلمه أحد سوى الله. لا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل. وهي هذه الخمس التي ذكرت في حديث ابن عمر: **(مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ)** وذكر الخمس، وسيأتي ذكرها في شرح الحديث. هذه الخمس لا يعلمها سوى الله تعالى، لا يطلع الله عليها أحداً لا من الملائكة، ولا من الأنبياء والرسل \_ عليهم الصلاة والسلام \_ . ولذلك سميت علم الغيب المطلق.

والنوع الثاني: علم الغيب النسبي، وذلك أن الله سبحانه وتعالى في النوع الثاني هذا ربما يطلع على بعض هذه العلوم الغيبية، من شاء من الملائكة الكرام كجبريل، ومن شاء من أنبيائه ورسله يطلعهم على بعض المغيبات، كأشراط الساعة التي تحدث عنها الأنبياء والرسل، وبعض أحداث القيامة، وبعض الأخبار التي حصلت في أمم سابقة، هذه علم غيب، لا يستطيع أحد من البشر أن يعلمها إلا الأنبياء والرسل، عن طريق تعليم الله لهم كما نص عليه في أول آية في الباب: **﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾**<sup>(5)</sup> أي من الخلق **﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾**<sup>(6)</sup>.

والنوع الثالث: مما يسمى علم الشهادة. وعلم الشهادة هو بالنسبة لله جل وعلا، يجب أن يُنظر إليه من جهتين. قبل أن يكون علم شهادة، كان في حق الله سبحانه وتعالى علم غيب، قبل أن يخلق الله الخلق، ويجري أحداث الدنيا هذه، ويقدر الأقدار، كانت هذه الأمور كلها في علم الله سبحانه وتعالى. لا يعلمها غيره؛ لأنه ما ثمة إلا هو جل وعلا، ما فيه مخلوقات، لا سماوات، ولا أرض، ولا بشر، ولا... كان الله، ولم يكن شيء غيره سبحانه وتعالى. وفي علمه كل ما سيكون، ثم يخرج الله جل وعلا هذه الأشياء التي علمها،

(1) لقمان: 34.

(2) النساء: 166.

(3) فاطر: 11.

(4) فصلت: 47.

(5) الجن: 27.

(6) الجن: 27.

ويوجد لها، فتقلب إلى شهادة. وهي بالنسبة لنا نحن الخلق أيضاً قبل أن تقع، وقبل أن تحصل، هي في حقنا غيب. فإذا وقعت وشهدناها، انقلبت في حقنا إلى شهادة.

مثال ذلك: لا يدري أحدنا من الحاضرين، ولا غيرنا، ما سيقع له ويجري يوم غد الأحد. فهو ما سيجري غداً بالنسبة لنا اليوم غيب. أليس كذلك؟ إلا على سبيل التخمين، والظنون، أو ما يطرقة الناس من أخبار الكهان والسحرة، هذه كلها أمور لا تسمن ولا تغني من علم.

فإذا خلقنا يوم غد ووُجدنا ولم نمت، سنشهد ما سيحصل لنا ويقع لنا، فينقلب ما كان اليوم في حقنا علم غيب، إذا حضرناه وشهدناه غداً انقلب في حقنا علم شهادة.

وكل هذه الأنواع الثلاثة في علم الله ثابتة، مركوزة، إلا أن بعضها لا يطلع الله عليه أحداً، كمفاتيح

الغيب. وبعضها ربما يطلع عليه أنبياءه ورسله. وبعضها مما قدّر الله أنها تكون من علم الشهادة، فتخرج إلى الوجود حسب تنظيم الله وتقديره لها، فتقلب في حق المخلوقات كلهم إذا شهدوها إلى علم شهادة.

الآية الأولى قوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ يتمدح رب العالمين باختصاصه بعلم الغيب، بأنواعه كلها: علم

الغيب المطلق، وعلم الغيب النسبي، وحتى علم الشهادة الذي نسميه شهادة. قبل أن يكون شهادة، هو في حق الله كان علم غيب. الأشياء ما وقعت ولا حصلت، لكنها ستحصل، فتقلب من علم غيب إلى علم شهادة.

ويجب أن نعلم أن علم الله يتعلق بالأشياء قبل كونها، ويتعلق بالأشياء حال كونها، ووجودها

وحصولها. فعلمه بالأشياء قبل كونها هو من علم الغيب. وعلمه بما حال كونها وحصولها ووجودها، علم شهادة.

والذي يتحدد بالنسبة لله سبحانه وتعالى، ليس زيادة علم بشيء لم يكن يعلمه؛ وإنما ما يتعلق

بكونه علم غيب، انقلب إلى علم شهادة. وربما يطلع عليه من حضره وشهده من الخلق. أما آية الجن هذه

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ فيتحدث عن النوع الثاني من الأنواع الثلاثة السابق ذكرها،

وهو علم الغيب النسبي، الذي لا يطلع الله عليه إلا الأنبياء.

كما أخبر الأنبياء عن أشراط الساعة، هذا علم غيب لا يعلمه البشر، ولا يدرون ما سيحصل. علم

بعض أمور الآخرة، الأخبار الماضية للأمم السابقة، كلها من علم الغيب النسبي الذي أطلع الله عليه فقط

أنبياءه ورسله، وعن طريقهم أطلع بقية الخلق عليه.

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ وكذلك الآية الأخيرة في الباب ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ

السَّاعَةِ﴾ علم الساعة من مفاتيح الغيب الخمس، فهي من النوع الأول الذي هو الغيب المطلق، الذي لا يعلمه إلا هو سبحانه وتعالى. والمراد به علم وقت قيام الساعة؛ لأن ما يسبق هذا الوقت من أحداث، أخبر به الأنبياء والرسل، نسميه أشرطة الساعة، الأمور الممهدة، والسابقة، والمؤمّرة أي اللي هي أمانة وعلامة على الساعة، هي من النوع الثاني، من العلم الغيبي النسبي الذي أطلع الله عليه الأنبياء والرسل.

والمسلم \_، ولا الملائكة. لذلك يقول الله تعالى في سورة النازعات: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ

مُرْسَاهَا﴾<sup>(1)</sup> متى تقع وتحصل؟ ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ (43) ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾<sup>(2)</sup> وفي آية الأعراف ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾<sup>(3)</sup> الآية.

وفي حديث جبريل المشهور. لما سأل جبريل النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ . جبريل هو كبير

الملائكة، وسيدهم، وهو أمين الوحي، وهو المقدم عند الله سبحانه وتعالى، وهو الروح الأمين وروح القدس، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو سيد الرسل، وكبيرهم، وشفيعهم والمقدم فيهم يوم القيامة \_ عليهم جميعاً الصلاة والسلام \_ . كبير الملائكة وسيدهم يسأل إمام الرسل ويقول متى الساعة؟ فيكون جوابه المشهور: ((ما المسئول عنها بأعلم من السائل))<sup>(4)</sup> لأنها من العلم الغيب المطلق، الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه

وتعالى. ولكن يجب أن نفرق بين مدلول آية ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ ومدلول الآية الأخيرة وهو قوله: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾.

مدلول الآية الأولى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إخبار صريح مؤكد بكل المؤكدات اللفظية من

(إن) ووقعها التثري في الخطاب والكلام ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ يخبرنا جل وعلا أن علم وقت الساعة علمه الخاص به، الذي هو عنده، الذي لا يطلع عليه أحد.

وآية ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ فيها إخبار مع طلب وتوجيه، أي لا تتعانوا أيها الخلق وتشغلوا

أنفسكم بطلب وقت الساعة، فإنه لا سبيل إلى الوصول إلى هذا العلم مطلقاً.

ووجب علينا في هذين الآيتين واجبان:

(1) النازعات: 42.

(2) النازعات: 43-44.

(3) الأعراف: 187.

(4) ابن حبان في صحيحه ج 1/ ص 399 حديث رقم: 173.

الواجب الأول: تصديق خبر الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ نصدق الله في خبره، أن علم الساعة من خصائصه، ومفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو.

والواجب الثاني: المدلول عليه بآية ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ لا نتعاني في بحث وطلب علم وقت الساعة، ولو دفعنا أنفسنا لشيء من ذلك، أو سُئِلنا عنه، وجب علينا أن نرده إلى عالمه سبحانه وتعالى، كما رده النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل بقوله: ((ما المسئول عنها بأعلم من السائل)). وكما دفع النبي صلى الله عليه وسلم الأعرابي الذي سأله فقال له متى الساعة؟ الحديث مشهور في الصحيحين، لما جاءه رجل، حديث أنس أو غيره: ((قال: متى الساعة فسكت عنه. ثم بعد فترة قال أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنذا قال ما أعددت لها؟))<sup>(1)</sup>. أعرض عن ذات السؤال متى الساعة؟ لا جواب عنها. الجواب ماذا أعددت لها؟

هذا الذي من وظيفة الأنبياء والرسل توضيحه للناس، حتى يكونوا إذا حصلت الساعة، أو أتتهم ساعتهم الخاصة بهم وهي الموت، يكون قد أعد للقاء الله عدته. قال: ((ما أعددت لها كبير صوم ولا صلاة ولكني أحب الله ورسوله قال: أنت مع من أحببت))<sup>(2)</sup> الحديث.

فالآية الأولى خبرية محضة، وجب تصديق الله في خبره ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية الثانية فيها معنى الطلب بوجوب قطع ما ربما تدفع إليه النفوس، من طلب علم وقت الساعة.

وأهل العلم يقولون في تفسير آية الشبهات، التي في أول آل عمران قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾<sup>(3)</sup> أجود التفاسير للمتشابهات هو هذا: طلب علم وقت الساعة. فإن القرآن

أخبرنا أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأخبرنا أنها قريب ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾<sup>(4)</sup> وأنها عند الله سبحانه وتعالى ﴿إِلَّا كَلِمَاحُ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾<sup>(5)</sup> في آية "ص" أو غيرها.

فقط النفوس تتوق، نفوس البشر ربما تتوق، وتتطلع، وتحب، وترغم ربما عن طريق حسابات، عن طريق مثلاً مدلولات نصوص عامة، أو عن طريق ظنون وأوهام من هم ربما يستطيعون أن يضعوا توقيتاً ولو

(1) ابن حنبل في مسنده ج 3 / ص 207 حديث رقم: 13180.

(2) ابن حنبل في مسنده ج 3 / ص 207 حديث رقم: 13180.

(3) آل عمران: 7.

(4) الأحزاب: 63.

(5) النحل: 77.

تقريباً لوقت الساعة. وهذا ليس جديداً هذا منذ القديم. يعني حتى بعض المشهورين من العلماء، يعني طرق شيئاً من ذلك، وقامت عليه الشُّنعة، وحتى بالغ الحال ربما أتهموا..

الطبري الإمام المشهور صاحب التفسير، يعني قال كلاماً فُهم، ومن فهم له مصوغ في الفهم. لما قال: من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة قال خمسمائة سنة. هذا كلام الطبري وهو توفي سنة ثلاثمائة وعشر. يعني كان بقي بعد موته مائتين سنة. نحن الآن كم سنة؟ وحسبها جاب حديث، وكان فيه ضعف: **(( ما بقاؤكم فيما مضى قبلكم إلا كنصف يوم ))** أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم. وحسبها بأن يوم عند الله كآلف سنة، فنصف يوم خمسمائة سنة.

لو كانت المسألة بهذه السهولة، حديثين ونطلع عملية حسابية، خمسمائة، نصف خمسمائة، هذا ما صار من أسرار الغيب، ولا من مفاتيح الغيب، ولا المسؤول عنها بأعلم من السائل حتى تحسب خمس دقائق.

فالطبري لا أدري ما الذي دفعه لذلك، وشُنع عليه، واستغلها بعض من له إحن خاصة من معاصريه من العلماء، أذكر لكم هذا فكفروه، وسعوا به سعاية فاسدة عند بعض السلاطين، كأن السلاطين عاد همهم، خايفين بس يقرب لهم الساعة، وهم ييغونها شوية بعيدة، وهو قال ترى بعد مائتين سنة، ما يقدرن يأخذون راحتهم. وكاد يُسعى في إراقة دمه، ثم اعتذر عنه؛ إنما يعني الفهم الخاطئ يحصل وكذا. وجاء بعده السيوطي، وزاد المسألة وجعلها ألف سنة ولا ألف وخمسمائة سنة. المهم هذا كله يتصادم مع الاعتذار لكبار الأئمة. لكن نذكر هذا حتى لا تفاجأ به إذا وجدته في بعض الكتب، يعني لا يجوز لأنه يقول: **﴿إِلَيْهِ يُرْذُ﴾** فيه توجيه الآية. لا تعاني نفسك ولو حتى بنيت على حسابات حديثة. يعني جبت حديث من هنا، وحديث من هنا، وألفت بينها وطلعت بأرقام حسابية وكذا، وطلعتها ألف سنة، ولا ألف ومائة سنة، ولا ألف وخمسمائة سنة وتقوم الساعة. ليس ذلك في علم البشر، والباب دون ذلك مغلق، وهي من علم الغيب المطلق الذي سميته لكم.

فتعاني ذلك أولاً بحث فيما لا فائدة فيه، ولا يوصل إلى نتيجة.

ثانياً: يتعارض ويتصادم مع توجيهات القرآن، ومدلولاته بأن هذا علم وقت الساعة لا يعلمه إلا الله

سبحانه وتعالى. فيجب علينا أن نرد بنص الآية **﴿إِلَيْهِ يُرْذُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾**.

والآية الثالثة أو الرابعة قوله: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ هذه آية عظيمة، ويجب أن نقف معها وقفة. هذا المعنى "أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ"، جاء في القرآن الكريم في موضعين آيتين: آية في القرآن المدني، في سورة النساء وهي هذه. وآية في القرآن المكي في هود.

في القرآن المدني: قال الله تعالى في سورة النساء في هذه الآية ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾<sup>(1)</sup>.

في آية هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَآنَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

في الآيتين كليهما وجهان من التفسير. ما معنى ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾؟

القول الأول الذي اختاره شيخ المفسرين أبو جعفر بن جرير الطبري \_ رحمه الله \_ أن ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ صفة تعود إليه، أي أنزله عالماً به، وبمنازله، وبمن أنزل إليه وهو النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه مصطفى، ومختار من قبله على علم. فعلمه يتعلق بالإنزال ومواقعه، ومن أنزل عليه كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

يختار الله مصطفى الأنبياء والرسل على علم ولا لا؟ علم الله جل وعلا بسابق علمه أن هذا الرجل أحق الناس وأجدرهم بمقام النبوة والرسالة فاصطفاه بنبوته ورسالته، فهو اصطفاء على علم، وبالتالي القدح في نبوته صلى الله عليه وسلم، أو نبوة أي نبي، هو قدح في اختيار الله، واصطفائه الذي ينبني عليه ضرورة القدح في علمه، أنه ما أحسن أن يختار لنبوته، وهذا القدح تطرق وحصل من أعداء الأنبياء والرسل، ونصّ عليه القرآن، وذكره في آيات كثيرة كقوله تعالى في سورة الزخرف، اقترح المشركين اقتراح يعني إن كان ولا بد من النبوة، ولا بد يعني لازم لازم، يعني عندنا نحن أشخاص أولى، نرى أنهم أجدر بهذا المقام من محمد \_ عليه الصلاة والسلام \_.

(1) النساء: 166.

(2) هود: 13-14.

(3) الدخان: 32.

فاقترحوا شخص الوليد، وشخص آخر من الطائف قيل أنه عروة أو غيره ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرْبَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾<sup>(1)</sup> هذا ليس قدح في النبي صلى الله عليه وسلم، قدح فيمن اصطفاه واختاره، كأنه ما أحسن أن يختار، ولا أحسن أن يصطفي لمقام النبوة. ونحن نرى يروهم بمنظورهم أن هناك من هم أعظم، وأجدر بهذا المقام منه \_ عليه الصلاة والسلام \_ فقال الله تعالى في الرد عليهم: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾<sup>(2)</sup> على علم، وعلى حكمة، وعلى خيرة. وقوله تعالى أيضاً في سورة ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾<sup>(3)</sup> في الأحقاف أظن أو في غيرها.

وفي الأنعام يقول عنهم جل وعلا، يقول لما طلبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرد من مجلسه بلالاً، وصهيباً، وعماراً. أشرف قريش لما قالوا لا تتحدث العرب أننا جلسنا مع عبيدنا في مجلس واحد، كان ولا بد تريد أن نتحدث معك، فأخرجهم واطردهم من مجلسك، ونزل القرآن يعاتب ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(4)</sup> ماذا بعدها؟ هذا الشاهد ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا﴾<sup>(5)</sup> هذا قدح في الاصطفاء والاختيار، ما أحسن في نظرهم أن يختار نبياً، ولا أحسن أن يختار أتباعه وأصحابه ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا﴾ فكيف كان جواب القرآن؟ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ إذن أعادهم أنه على علم.

فقدحهم في النبي المصطفى المختار، وقدحهم في أصحابه المصطفين الأخيار، ليس قدحاً فيهم، هو بالضرورة قدح في علمه؛ لأنه اختارهم على علم سبحانه وتعالى فقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾<sup>(6)</sup>. هذا هو القول الأول عند بن جرير ﴿بِعِلْمِهِ﴾ أي أنزله عالماً به، عالماً بما تضمنه من خير، عالماً بمنزله، عالماً بأحقية النبي الكريم محمد بأن يُنزل عليه هذا القرآن العظيم، وأن يقوم خير القيام ببلاغه، وواجب الدعوة والنبوة \_ صلى الله عليه وسلم .

(1) الزخرف: 31.

(2) الزخرف: 32.

(3) الأحقاف: 11.

(4) الأنعام: 52.

(5) الأنعام: 53.

(6) الأنعام: 53.

القول الثاني أن الباء في قوله : ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ وآية هود ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾<sup>(1)</sup> هي باء المصاحبة. فيكون المعنى أن الله أنزله متضمناً لعلمه، مستصحباً له. فما في القرآن من علوم سواء كانت علوم خيرية محضة، كأخبار الأمم السابقة، وأخبار القيامة أو نحوها، فهي من علم الله. وما فيه من أحكام، وطلب، وتشريع، هي أيضاً من علم الله. فالقرآن كله متضمناً هو علم الله نازل إلينا. وهذا قول عظيم جداً في التفسير، وعليه جماهير من الأئمة؛ بل المنقول عن السلف القدماء هذا المعنى.

يقول روى ابن أبي حاتم في تفسيره، والنقل عن "الذر المنثور" للسيوطي؛ لأن أكثر ابن أبي حاتم مفقود، عن التابعي المشهور الذي مر معنا ذكره في الأسبوع الماضي أبو عبد الرحمن السلمي. تذكرونه؟ عبد الله بن حبيب، وبالتالي قلت لكم هذا الذي نقل، يُعتبر إمام في القراءة، سمع القرآن من كبار الصحابة كعثمان، وعلي، وزيد، وأخذ عنه كبار القراء.

كان إذا أقرأ رجلاً القرآن، وختمه عليه، هذا رواه ابن أبي حاتم. قال له أبو عبد الرحمن السلمي يقول لهذا. قال: لقد أخذت علم الله. شوف العبارة العظيمة. لقد أخذت علم الله. ما هي مجرد بس مد لازم، ومد كلمي مثقل، وحرفي مخفف وخلاص ونمشي. لا، أخذت علم الله، فليس أحد اليوم أحسن حالاً منك، إلا بعمل أي يفوقك بأن يبني على هذا العلم عملاً.

فمعنى كلامه هذا التابعي الجليل، ووصيته العظيمة، أن القرآن الذي قرأته وتفهمته، أنت أخذت اليوم نصيباً وافراً من علم الله. فلا أحد ضمّ في صدره علماً أحسن منك، إلا من أخذ مثلك، وفاقك بحسن العمل، وحسن توظيف معاني القرآن، واستثمارها في حياتك.

وهذا اختاره الزّجاج المفسر المشهور، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، أن هذا هو القول الذي يعني أقرب إلى المعنى، وأن القرآن هو علم الله المنزل إليك.

ولذلك انبنى الاستشهاد في الآيتين: في آية النساء التي قلت لكم أنها من القرآن المدني؛ لأن القرآن المدني كما تعرفون أكثره تشريع وللا لا؟ أحكام نازلة في الصلاة، في الصيام، في الحج، في الطلاق، في البيوع، في المعاملات مع الكفار، في الجهاد.. أحكام تنزل "يا أيها الذين آمنوا"، "يا أيها الذين... أحكام تشريع.

(1) هود: 14.

وهذا التشريع أنزله الله بعلم، فهو جزء من علم الله. فالقدح في التشريع الإسلامي المنزل في القرآن العظيم، أو الاعتراض عليه، أو الابتعاد عنه، أو الحكم بغيره، أو رؤية غيره، ربما يحقق المصلحة الدنيوية، ولا المصلحية ولا ماني عارف إبه، أكثر من علم الله هو ليس قدحاً لا في النبي صلى الله عليه وسلم، ولا في الإسلام والمسلمين؛ وإنما قدح في المشرع الأول الذي نزل ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ أنزل التشريع بعلم؛ لأن الله عز وجل متصف بثلاث صفات، يجب أن تعلم في باب التشريع، وباب الحكم، باب المسألة كلها. صفة العلم، وصفة الحكمة، وصفة الخبرة. الله عليم، وحكيم، وخبير.

الشراح هنا يرونها كلها في باب واحد. خبير بمعنى يعلم، حكيم يعني يعلم، فيه فوارق. العلم أوسع في دائرته من الحكمة. لو نظرت قد يكون عالماً ولا يكون حكيماً. فالحكمة هي إحسان توظيف العلم، معرفة منازل مصلحة الأمور. الحكيم هو الذي يضع الأمر في موضعه، ويوقعه في موقعه، وينزله في منزلته. فهو علم وزيادة. وللا لا؟

الخبرة والخبير قالوا هي غاية العلم مع غاية الخبرة. يعني الخبير قالوا في تفسيره: الذي سير الأمور، وعرف سرها، وجهرها، وأولها، وآخرها، ومستقرها، ومستودعها، وعرف طبائع النفوس، يعني هو خالقها، وهو موجدتها، فهو الخبير بها، وهو الأجدر والأعلم بما يصلحها، ولذلك شرع. القدح في التشريع، لا تنظر له أنه قدح فيك كمسلم، أو في النبي صلى الله عليه وسلم، هو قدح في علم الله؛ ولذلك قال القرآن.. الآية جاءت في معرض تشريعات كثيرة في سورة النساء، النساء كلها تشريعات وللا لا؟ سورة النساء من أولها تقريباً إلى آخرها، اللهم إلا في مواقف معينة نقاش مع اليهود ومع النصراني، والباقي كله تشريع في أحكام النساء، والموارث وغيرها.

تأتي هذه الآية في منتصف الطريق لتنبه: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾<sup>(1)</sup> يحى النبي صلى الله عليه وسلم الناس معرضون، يرى النبي صلى الله عليه وسلم الناس يكذبوه، يرى النبي صلى الله عليه وسلم الناس يسخرون ويستهزئون بشرعه ودينه وكذا، فالله يقول له: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ﴾ لأنه هو الذي أنزله بعلم وحكمة وخبرة. لماذا هذا؟ لأنه ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾، متضمناً علمه في باب التشريع ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾<sup>(2)</sup>.

(1) النساء: 166.

(2) النساء: 166.

في آية هود وهي في القرآن المكي، في وقت الصراع على التأسيس الاعتقادي، وأنه لا إله إلا الله، وأنه لا أصنام، ولا أوثان، ولا أرباب، ولا أنداد، ولا طواغيت، ولا مشرعين. وسر المسألة أن الشرك في باب الألوهية بعبادة غير الله، يتلازم معه ضرورة الشرك في التشريع، بإصدار واستصدار أحكام تناسب هذا الشرك الطاغوتي والأحكام الطاغوتية ضرورة.

انظر أي مجتمع مشرك لا يعبد الله، في قديم الزمان وحديثه، لا بد تصاحب شركه في عبادة غير الله، وكفرهم بالله، لا بد تصاحبه تشريعات هم يضعونها، رؤسائهم، حاخاماتهم، زعمائهم، أهل الرأي فيهم، لا بد يشرعون تشريعات تتناسب مع الواقع المعكوس هذا؛ لأن الشرك عكس الفطرة، وسيجر الشرك معه سيجر الإباحية، ويجر الفساد، ويجر الظلم، ويجر البغي، ويجر الطبعية، يجر خلفه ظلمات بعضها فوق بعض.

فلا بد هؤلاء المشركون يضعون من القوانين والتشريعات والأنظمة، ما يبقى على مراكزهم، وشركهم، وكفرهم، وإباحيتهم، لا بد ضرورة. واعتبر بحال العرب الأول العرب، العرب قبل الإسلام، العرب أولاد إسماعيل بن إبراهيم أليس كذلك؟ إسماعيل نبي مرسل. أين أرسل إسماعيل؟ في أم القرى ومن حولها بنص القرآن قال الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (1) وبالإجماع أن إسماعيل منذ طفولته إلى موته ما خرج من مكة. فأين رسالته؟ في المريخ؟ في مكة وما حولها، في أبنائه ومن اتصل بهم من جُرَّهم وغيرهم.

فالعرب كانوا مسلمين، مؤمنين، لا يشركون بالله طرفة عين. العرب إلى عصور متقدمة، إلى إلياس بن مُضَر، وإلى نزار وأمثالهم من أجداد العرب بعد عدنان لا يزالون مسلمين. نص على ذلك ابن عباس وغيره. ما عرفوا أصناماً ولا أوثاناً. حتى قامت خُزاعة.. القصة المشهورة موجودة هنا في البخاري "باب قصة خزاعة". شوفوها في المبعث النبوي، وطردت جرهماً عن مكة، وحكمت البيت.

والذي يحكم مكة، يكون هو في الغالب الذي يحكم ويسود على العرب كلهم، لما ملكة من موضع عند العرب من أيام إسماعيل وإبراهيم.

فقام ذلك الشقي عمرو بن لُحَي، الذي قمع بخندف الخزاعي، وهو جد خزاعة وأبوهم، وذهب واستخرج الأصنام التي عُبدت من قوم نوح بوسوسة الشياطين ود، وسواع، ويغوث، ونسر. وكانت

(1) مريم: 54.

(32:9) مرطومة هنا في سيل البحر وشاطئ البحر، وأوردها معه إلى مكة، وانتظر حتى جاءت العرب إلى

الموسم إلى الحج، وبدأ يعرض عليهم أن هذه أسماء رجال صالحين، نفس الشبهة التي وقعت في قوم نوح الأولين، وكانوا يستسقون بهم وكانوا يستنصرون، فتوزعت قبائل العرب تلك الأصنام. فدبّ الشرك في التأليه في العبودية، في أول مرة عند العرب.

مباشرة \_ حتى تعلم سر المسألة \_ استصدر عمرو بن لحي ومن وافقه على شركه، أحكام تناسب

الدين الجديد، لا بد.

فجاءت البحيرة، والسائبة، والوصيلة، ذكرت في القرآن ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا

وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>(1)</sup> الذين أشركوا وأتوا بالأصنام ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(2)</sup> فهذا شرك

في التشريع. ناسب ضرورة، طبيعية، وقدراً الشرك في التأليه، في عبادة غير الله وإن وضع ذلك عمرو بن

لحي. بنص حديث النبي صلى الله عليه وسلم في مسلم وغيره قال عليه الصلاة والسلام: ((رَأَيْتَ عَمْرُو بْن

لَحْيٍ بْن قَمْعَةَ بْن خَنْدَفٍ يَجْرُ قُصْبَةً فِي النَّارِ))<sup>(3)</sup> لماذا؟ قال: ((لأنه أول من سبب السائبة)) شوف

التشريع ((ووصل الوصيلة وحمل الحامي وغير معالم دين إسماعيل)) أو قال إبراهيم. فأدخل على

العرب نوعي الشرك المتلازمين.

أينما وجدت في الأرض قديماً وحديثاً، عبادة لغير الله، ستجد معها تشريع يناسبها. والتشريع هذا

سيجر كما قلت لكم كل الأضرار، من الإباحية، والفساد، والظلم، والطبقية، ولا يصل حق لضعيف ولا

لغيره؛ لأن التشريع وضعه البشر. والبشر يضعون ما يشتهون، وما يحفظ امتيازاتهم، وما يحفظ مخصصاتهم،

وما يبقى الناس تحت إمرتهم وتحت سلطانهم، كما قال تعالى في قصة يوسف: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي

دِينِ الْمَلِكِ﴾<sup>(4)</sup> الملك هذا حاط له دين حتى يبقى الناس تحت حكمه.

فتشريع الله ما فيه، فيه مساواة، وفيه إذا سرق الشريف كما إذا سرق الضعيف. هذا ما يمشي مع

الأنظمة الطبقية والكلام هذا. وللا لا؟

فآية هود نعود لها. فتلاحظ القضية هذه جداً مهمة. وأوامر القرآن وتوجيهاته خاصة في الأنعام،

سورة الأنعام وسورة النساء متلازمة، يذكر لك الشرك في عبادة غيره، سواء في صورة الأصنام أو غيرها، إلا

(1) المائة: 103.

(2) المائة: 103.

(3) مسلم في صحيحه ج 4 / ص 2192 حديث رقم: 2856.

(4) يوسف: 76.

ويأتي معها شرك التشريع. شرك التشريع مباشرة يأتي معه، فلا تظن أن المسألة منفصلة؛ بل هي متلازمة بتلازم يعني النهار مع طلوع الشمس، ما يمكن.

آية هود قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۗ﴾<sup>(1)</sup>. طيب إذا قلت أن النبي افترى هذا القرآن، والنبي بشر يأكل مما تأكلون، فالوضع الطبيعي في التحدي ﴿قُلْ فَاتُوا بَعْشَرَ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾<sup>(2)</sup> وأنتم أفصح الناس، والقرآن بلسانكم، من جنس حروفكم وكلامكم، والعجز واضح بالاعتراف الصريح، والدليل أنهم ما استطاعوا فقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾<sup>(3)</sup> وهم لن يستجيبوا.

أمرنا الله بثلاث أوامر: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ قبل أن نذكر ذلك، "لكم" شوف العبارة القرآنية. من أول الخطاب، الكلام عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَاتُوا﴾ يا محمد. لكن لما جاء في الآية الثانية: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ ضم مع محمد صلى الله عليه وسلم، أتباعه، وأنصاره، ومن آمنوا به. بمعنى أن الاعتراض على الإسلام وعلى القرآن سيستمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وتواجه به.

كل مسلم مؤمن يريد أن يقيم أمر الله، ويريد أن يرى شرع الله قائماً في الأرض، سيواجه باعتراض، كما قلنا قبل قليل أن القضية الاعتراض في النهاية فهو إلى علم الله، وحكمة الله، وخبرة الله، ولذلك قال: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾<sup>(4)</sup> هذه أول قضية. فيحدث هذا عندك أولاً أنك تطمئن أنت، الخطاب الآن لك أنت يا مسلم، تطمئن إلى أن هذا القرآن حق وصدق، وكل ما فيه خير. مهما لبسوا من شبهات، ومهما قدروا من تقديرات، ومهما أتوا بمسوغات، هم الباطل، وهم الضلال، وهم الكفر، والله هو الحق المبين سبحانه وتعالى.

المشكلة لا يمكن أنت تكون في مستوى التحدي ﴿قُلْ فَاتُوا بَعْشَرَ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ إذا كنت أنت نفسك مهزوماً، مأزوماً، متردداً، شاكاً. وللا لا؟؟؟ كما حالنا اليوم، نستحي أن نصرح بأحكام الله في محلات كثيرة. وللا لا؟

نستحي والله الناس ايش يقولون، ولا الناس العالم فين راح، العالم فين وصل العالم، العالم يأكل تبين نأكل تبين مثلهم. سبحان الله. أنت عاجبك هذا العالم اليوم؟ يعجب عاقل هذا؟؟؟ هذا العالم كله ظلم،

(1) هود: 13.

(2) هود: 13.

(3) هود: 14.

(4) هود: 14.

وبغي، وعدوان، وكفر، وشرك، وظلمات، وإباحية. لا أعراض محترمة، ولا شيء قائم. القوي هو العائش، والغني هو العائش، والفقير يأكل تراب. هذا الواقع حتى عندنا هنا في كل مكان.

هذا الواقع أن النظام الطبقي هكذا حاله. حيثما يغيب شرع الله، هناك ظلم، وهناك البغي، وهناك العدوان، واترك من الكلام كله بلا معاهدات، بلا مؤسسات دولية، بلا كلام فاضي.

هذه لما وجدت هذه المؤسسات الدولية، زاد الظلم في الأرض، واعتبر أنت شوف العالم أمامك.

الحروب تزداد، والقتل يزداد، والاضطهاد يزداد، والعنصرية عند اليهود والنصارى وغيرهم تزداد، كلهم ببركة المعاهدات الدولية، وجنيف، ونجري وراءها وعندنا ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾.

إذن نحن المشكلة فينا نحن ليس في اليهودي. اليهودي ماذا تنتظر منه أنت ولا النصراني؟ ماذا تنتظر منهم؟ ولا بوذي يعبد الأوثان والأصنام، ولا هندوسي، ولا شيوعي ماذا تنتظر منه؟ يحترمك ولا يحترم دينك، وأنت نفسك مهزوم مأزوم على مستوى الدول والمجتمعات والأفراد. هكذا هذا الواقع.

فالله يقول لنا ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ إذا ابتدأنا بأنفسنا فأحسننا الظن برينا، وأن دينه وكتابه أنزل بعلم، وأنه هو الحق وأن ما سواه باطل، وأن ما تضمنه من تشريع وتوجيه، هو غاية الخير والسلام. إذا أيقنا بذلك، نستطيع أن نكون في مستوى ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ مواجهة هذه، حرب طويلة عريضة. فهمتوا وللا لا؟ ﴿فَاعْلَمُوا﴾ يجب أن تعلم أن توقع ﴿أَنَّ مَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾.

الثانية: ﴿وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ما قلت لكم لا بد إذا دخل علينا وتطرق إلينا الخلل في تشريع الله، واستبدلنا غيره به، أو حكمنا بغيره، انظر الشرك في الألوهية، عما قريب على هيئة القبور، والأضرحة، على هيئة الاستغاثة بغير الله، على هيئة تعظيم الأنداد والطواغيت والأرباب، تجدد الشرك أمامك ويجر خلفه الإباحية، والفساد الخلقي، والربا، والزنا... والظلم، والطبقية، إلى أن يصبح فساد لا يعلم مداه إلا الله.

فهمتوا وللا لا؟

مباشرة حيثما يغيب شرع الله، أو يشكك فيه، أو يختزل، أو يختصرن أو يبعد، أو يكفر به كما هو الواقع اليوم، سواء بالكلام ولا بالفعل. والكفر بالفعل قد يكون أسوأ من الكفر بالكلام. ايش ينفع تقول لي أنا مسلم، وشرع الله ما أنت معترف بحكم واحد منه، مسلم كيف هذا؟ أنا أريد أن أفهمك كيف مسلم؟ والله يقول: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ مَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فالخلل في قولنا، خلل في لا إله إلا هو بالضرورة عندك، عندك أنت في نفسك، مو بس نصلي كم ركعة وشايفين أنفسنا أحسن من غيرنا. دين

الله هكذا ﴿وَأِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾<sup>(1)</sup> هكذا ماذا تريد؟ تريد إعلان الغزو ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(2)</sup> لا تكون مسلماً إلا بالأمرين: لا إله إلا هو، واعلم أنما أنزل بعلم الله التشريع تشريع الله والحكم حكم الله. ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ صيغة سؤال، معناه فيه تردد. والقرآن يتحدى وهذا الكلام الله. القرآن نزل إلى يوم القيامة، يتحدث عن ما هو في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك قلت ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ عمم الخطاب ﴿لَكُمْ﴾ إلى يوم القيامة ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. هذه من القرآن المكّي، والصحابة ما يستطيع أحدهم يصلي ركعتين عند الكعبة أيام الاستضعاف وأيام... هذا القرآن في هود سورة هود.

ثم آية النساء مناسبة للتشريع في المدينة بعد ذلك؛ لأنها من القرآن المدني.

إذن هذا هما وجهان من التفسير في قوله: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾.

قوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ أيضاً هذه من مفاتيح الغيب، أن ما في أرحام النساء لا يعلمه إلا الله.

والقرآن ذكر ثلاث مستويات في تعلق علم الله بما في أرحام النساء: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ﴾ و﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ و﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ أربعة مراحل بجامع الآية التي في إبراهيم ما هي الآية؟ إيش أولها؟ ذكروني التي في الرعد: ﴿كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾<sup>(3)</sup> فعندنا:

- ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ﴾،
- ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾،
- ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾،
- ﴿وَلَا تَضَعُ﴾.

﴿مَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ﴾: هذا العلم السابق. يعلم أن هذه المرأة ربما تكون حتى لسه طفلة صغيرة، أنها ستحمل في علم الله، علم سابق، هذا ما أحد يعلمه، ما يعرفه أن هذه ستحصل ببطنين، أو ثلاثة، أو أربعة، أو كذا. هذا في علم الله ما تحمل من أنثى قبل أن تحمل هو في علم الله. فهو يرجع إلى الغيب. النوع الأول.

(1) محمد: 38.

(2) هود: 14.

(3) الرعد: 8.

﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ إذا وقع الحمل، الحمل في مرحلة الغيب، وهي مرحلة تعلق النطفة. هذه لا يعلمها إلا الله أيضاً ولا أحد غيره. ولذلك جاء في بعض الأحاديث: ((لا يعلم ما تغيظ الأرحام إلا الله))<sup>(1)</sup> خصوصاً مرحلة غيظ الأرحام، وهي بداية تعلق النطفة الذكرية بماء الذكر بالأنثى، مرحلة لا يعلمها أحد لا أطباء، ولا غيرهم، في علم الله ماذا سيتخلق من هذه النطفة.

أما ازديادها، وهي تقلبها من علقه وإلى مضغة ثم إلى خلق مستجمع، هي في علم الله سبحانه وتعالى، لكنها خرجت من الغيب المطلق إلى الغيب النسبي.

وما تضع: تخرج من الغيب النسبي إلى غيب الشهادة.

تعلق علم الله بالأربع مستويات، لكن تنفرد الأمرين الأولين بعلمه المطلق فافهموا هذا.

**﴿قَالَ يَحْيَى الظَّاهِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَالْبَاطِنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾** يحيى هو ابن زياد الفراء.

عالم لغوي، فنه اللغة لا يحسن غيرها. وله كتاب اسمه "معاني القرآن" مطبوع موجود في ثلاثة أجزاء، يشرح مفردات ألفاظ القرآن لغوياً، يعني من جهتين. علم اللغة نوعين كما قلت لكم: علم الإعراب، وعلم ذات المفردة. فهمتوا وللا؟ المفردة تحتاج تعرف معناها، وتحتاج تعرف موقعها الإعرابي لتفهم المعنى الكلي للجملة والآية، تحتاج لهذين النوعين.

فيحيى بن زياد الفراء في "معاني القرآن" تعانى الأمرين: علم ذات المفردة ما معناها، ويعني إعرابها. طبعاً ليس كل الألفاظ. يرى الألفاظ التي تحتاج أن تبين وكذا، بعضها قد تكون يعني ما تحتاج. والبخاري ينقل عنه كثيراً في الصحيح. تارة يسميه كما هنا، وتارة لا يسميه؛ بل أكاد أقول لا تجد في صحيح البخاري نقل من هذا النوع، خاصة في كتاب التفسير من الجامع الصحيح، يشرح البخاري معاني مفردات كثيرة بدون تسمية، من نقل عنه. هي في الغالب إما عن يحيى بن زياد الفراء من كتاب "معاني القرآن"، أو عن الآخر معمر بن المثنى، أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه "مجاز القرآن".

**(45:35)** في نقله لمعاني المفردات، أو ربما لإعرابها في الصحيح كله على أحد هذين العالمين

اللغويين: إما يحيى بن زياد الفراء كما سماه هنا، وكثيراً لا يسميه.

وإما رفيقه الآخر: أبو عبيدة معمر بن مثنى في كتابه "مجاز القرآن".

(1) البخاري في صحيحه ج 4 / ص 1733 حديث رقم: 4420.

نقل عن يحيى في تفسير قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾<sup>(1)</sup> فسرهما يحيى الفراء بأنها ﴿الظَّاهِرُ﴾ أي على كل شيء علماً. ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ أي على كل شيء علماً أيضاً. فجعل الاسمين موردهما واحد في العلم.

وهذا حقيقة يعني وجه محتمل في معنى المفردة كمفردة، ولكن غيره أصوب منه، وأقوى منه. وغيره قولان، هي الماثورة عن السلف. أكثر وأشهر في النقول عنهم.

المعنى الأول أن معنى قوله ﴿الظَّاهِرُ﴾ أي العالي على الخلق سبحانه وتعالى، بمعاني العلو كلها:

- علو الذات، فالله \_ جل وعلا \_ فوق عرشه، فوق خلقه، ليس فوقه شيء. هكذا يجب أن نعتقد؛ لأن من أسمائه: العلي، والأعلى، المتعالي سبحانه وتعالى وهو فوق العالم كله فوق عرشه ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾<sup>(2)</sup>.

- وعلو القدر والمقام: ولا أعظم ولا أعلى من الله \_ جل وعلا \_ قدراً في اعتقاد المسلم.

- وعلو الهيمنة والسيطرة، وهو القائم على الخلق المهيمن عليهم، لا يعزب عن عمله، ولا عن قبضته، ولا عن تقديره شيء.

فمعاني العلو متعددة، يدل عليها اسم الظاهر. فإذا جعلت الظهور علماً فهو الظاهر بالعلم، وهي إحدى المعاني للاسم الذي نص عليها يحيى الفراء. وإذا علو الذات هو الظاهر على خلقه علواً بذاته \_ سبحانه وتعالى\_. وإذا علو الهيمنة، والملك، والسيطرة، والقوة، فله هذه المعاني كلها \_ جل وعلا \_ . هذا أحد بل هو القول الذي يدور على ألفاظ السلف وتفسيراتهم لمعنى اسم الله الظاهر وسيأتي له إن شاء الله درس مستقل.

﴿وَالْبَاطِنُ﴾ الذي يقابل هذا العلو، مناسب جداً مع معنى العلم، أي سبحانه بطن علمه بالأمر إلى أخفى أخفى شيء تتصوره. فمهما استبطن في صدور الخلق وأخفى، في علم الله لا يخفى سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(3)</sup>.

هذا يتناسب مع معنى العلو. فعلوه \_ جل وعلا \_ في ذاته، وقدره، وهيمنته، لا يتصادم مع علمه بدقائق الأمور، ومثاقيل الذر في ظلمات الأرض. فهو بطن الأمور كلها بعلمه. وهذا معنى المعية، أو إحدى

(1) الحديد: 3.

(2) طه: 5.

(3) آل عمران: 5.

معاني المعية التي في القرآن الكريم ، ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ أي لا يخفى عليه شيء بالعلم المتضمن الهيمنة، والسيطرة، والقبض، والتقدير. الذي لا يعلم ما يدور كيف يهيمن؟ وكيف يسيطر؟ وكيف يقدر؟ العلم هو أصل التقدير؛ لذلك أول مرتبة في القدر هي العلم.

الله \_ جل وعلا \_ هو العالي على الخلق، وهو الباطن إلى أدق أسرارها. ما في صدور الخلق، وما هو أدق من ذلك، مما يعلمه ولا نعمله، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، ويعلم ما توسوس به نفسه كالقرآن يذكر: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(1)</sup> { أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ } {العنكبوت: 10}. ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ﴾<sup>(2)</sup> سبحان الله. ولذلك يعني أبو سعيد الخزاز، هذا رجل يعني محسوب على الصوفية، له كلام جميل في بعض كتبه. له كتاب اسمه "كتاب الصدق" مطبوع، جيد جميل، لا بأس أن نذكره. وله كتب أخرى في تهذيب النفس، وله عاد شطحات لا يوافق عليها.

له كلمة قد ربما إن أردت تفهمها بفهم سيء، العبارة تحمل، وقد يكون لها معنى صحيح يتوافق مع ما شرحت قبل في معنى الظاهر والباطن.

قال: مما اختص الله به جمعه في صفته بين الأضداد. هي أضداد عندك أنت إذا كنت بعيد، ما تعلم ما هو بعيد عنك. وللا لا؟ فبعدك يمنحك أن تجمع الضد وهو العلم بالقرب وللا لا؟؟ صحيح وللا لا؟ يعني ما تستطيع أن تجمع بين بعد هائل عن شيء وعلمك به، ما تستطيع أن تجمع بين الأضداد هذه. فمممكن كما حملها شيخ الإسلام وغيره، جمع بين غاية العلو الذي يقتضي عندنا أنه فوق السماء وفوق العرش، بالنسبة لنا قد يكون بعيداً. وغاية العلم بالشيء كأنه أقرب قريب إليه. ففي المعنيين نوع مضادة، لكن في حق الله غاية الكمال.

ويجمع بين \_ سبحانه وتعالى \_ غاية الرحمة والرأفة بالخلق، مع الشدة غاية الشدة في الأخذ والعقاب والعذاب، فالآية تقول لك: ﴿إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾<sup>(3)</sup> وللا لا؟ ويقول لك إنه بعباده غفور رحيم.

يعني قد تبدو لك.. هذه قدرة الله \_ سبحانه وتعالى \_ . ويجمع بين غاية الغضب الذي إذا غضب على الخلق، هلكوا جميعاً، وبين غاية الرضا التي إذا رضي عنهم يعني أفلحوا جميعاً.

(1) العنكبوت: 10.

(2) الأنعام: 59.

(3) هود: 102.

فكلمة أبي سعيد الخراز قد تُحمل على هذا كما حملها ابن تيمية وغيره، أن الأضداد يعني الأمور تبدو لنا متضادة، ما تجتمع في حقنا.

من ميزة الله على الخلق أنها تجتمع في حقه. ولذلك جاء الحديث النبوي في دعاء القنوت، علمه النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ لعلي، وجاء رواية عن الحسن في "السنن" وغيرها، أنه أمرنا أن نستعيد ببعض صفاته من البعض الآخر أعود برضاك من ... ترد الضد بالضد وللا لا؟ ما تستعيد بغضب الله برضا الخلق، ما يمكن، ما تجي. لو رضي عنك الخلق كلهم، ما منع عنك غضب الله. فلا بد تستعين برضا الله من غضبه، وبمغفرته من عقوبته، وبه منه؛ لأنه هو شديد العقاب. إذا أخذ أخذه أليم شديد \_ عافانا الله وإياكم \_ . ولا يُدفع أخذه الأليم الشديد إلا بعفوه هو. فما لك سبيل إليه إلا به. ممكن تحمل كلمة أبي سعيد الخراز على هذا.

الظاهر والباطن هذا القول الأول في تفسير السلف. القول الثاني: أنه الظاهر بالحجج. أي عاقل يتأمل، لا بد يوقن أن لهذا العالم خالق، أن لهذا العالم خالق مدبر، بالعقل هكذا، قبل أن يأتي وارد الشرع. العاقل يرفض أن يوجد عالم مخلوق هذه الخلقة العظيمة الهائلة المنتظمة بدون خالق مدبر.

فالحجج الدالة على وجوده في فطر الخلق، وآيات الآفاق، قوية وظاهرة، ولا يجحدوا إلا المتكبرون الذين لا يقبلون حجة أصلاً، ومهما جنتهم بآية كما قال الله تعالى. ماذا تقول الآية **﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾** <sup>(1)</sup>؟ هذا ايش تسوي فيه؟ **﴿كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾** <sup>(2)</sup> إذا دخل جنهم عاد تلك اللحظة يعرف أنه حق.

والقرآن ذكر هذا **﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾** <sup>(3)</sup> بعضهم لا يعرف إلى أن يصلى نار الجحيم، يعرف هذا أن الله حق، وأن ما أخبرت به الأنبياء صدق. فلا تورد نفسك هذا المورد. الباطن بذاته وكنهه، فهو بالنسبة لنا غيب، لا نعلم كيف الله نحن. وللا لا؟ أحد يعرف كيف الله؟ كنهه، ذاته، حقيقته، لا نعلمها. فهي بالنسبة لنا باطن لا نعلمه، نجعله تماماً، كيف الله \_ سبحانه وتعالى \_؟ حقيقة ذاته، وكنه ذاته، وكنه صفاته.

غيب مطلق استبطن عنا، لا نعلمه. فمع أنه الظاهر علينا بالحجج الدالة على وجوده، وربوبيته، وألوهيته، والباطن عنا بحقيقة ذاته وكنه صفاته تعالى الله.

(1) يونس: 97.

(2) يونس: 97.

(3) النحل: 39.

قوله: **(حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ)** هو القَطَوَانِي، الكوفي أبو الهيثم. القَطَوَانِي نسبة إلى محلة في الكوفة اسمها قَطَوَان. بجلي بالولاء، منتسب إلى بجيلة بالولاء. من كبار شيوخ البخاري، أكثر أئمة الجرح والتعديل على تضعيفه. حتى قال أحمد: أحاديثه مناكير. وضعفه يحيى بن معين في رواية، والنسائي، وغيرهم كثير، وعدّوا أحاديثه مناكير. لكن أخرج له البخاري، وأخرج له مسلم، وأخرج له الترمذي، والنسائي، وابن ماجه. فقط أبو داود الذي لم يخرج عنه من أصحاب الكتب الستة.

وتتبع الحافظ أبو أحمد بن عدي في كتابه "الكامل"، الأحاديث التي قيل أنها منكرات من حديث خالد بن مخلد... آسف أخذوا عليه التشيع، فيه تشيع.

والتشيع كما مررنا في دروس ماضية. التشيع إذا كان لم يصل حد الرفض، وهو سب الصحابة والقدح فيهم. إذا كان فقط يرى علياً أفضل وكذا، يُحتمل ذلك، مادام محله الصدق والثقة.

إذا وصل حد الرفض، كأن عُثِر في كلامه قدح في الصحابة، يُضرب على أحاديثه. ولذلك أحمد في اجتهاده الإمام أحمد رأى أن خالد بن مخلد وصل هذه المرحلة، نُقلت له كلمة عنه فُضِرَب على حديثه. وقال العبارة التي سمعتموها: أحاديثه مناكير.

أما غيره من الأئمة، ما رأوا تشيعه وصل به إلى حد الرفض الموجب إسقاط روايته. ثم لما سبروا الأحاديث التي قيل عنها منكرة، وجدوها أحاديث صحيحة ثابتة، رواها غيره من كبار الأئمة.

يكفي أن تعلم أن من الأحاديث التي رواها هو والتي قيل عنها منكرة حديث: **((البيعان بالخيار ما لم يتفرقا))**<sup>(1)</sup> لا يكاد كتاب في السنة إلا وهو يوجد فيه.

من الأحاديث التي قيل أنها منكرة وهي لها مخارج كثيرة في الصحيحين وغيرها، حديث أبي هريرة:

**((لا يمنعن أحدكم جاره أن يغرس خشباً في جداره))**<sup>(2)</sup> حديث مشهور في الصحيح، الذي فيه كلمة

أبو هريرة لما قال: **((ما لي أراكم عنها معرضين والله لأرمين بها بين أكتافكم أو قال ظهوركم))**<sup>(3)</sup>.

وهو راوي حديث: **((البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل علي))**<sup>(4)</sup> اللهم صلي عليه وعلى آله

وصحبه أجمعين.

(1) أبي داود في سننه ج 3 / ص 273 حديث رقم: 3457.

(2) البخاري في صحيحه ج 2 / ص 869 حديث رقم: 2331.

(3) البخاري في صحيحه ج 2 / ص 869 حديث رقم: 2331.

(4) النسائي في سننه الكبرى ج 5 / ص 34 حديث رقم: 8100.

هو راوي حديث وانفرد به، وهو الحديث المشهور حديث الولاية، فيما يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه: **((قال الله تعالى من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه وبصره))** إلى أن قال: **((وما ترددت))** <sup>(1)</sup>. الحديث هذا العظيم هذا الجليل من رواية خالد بن مخلد وانفرد به، واعتمده البخاري في الصحيح وأخرجه في كتاب "الأدب" أخرجه.

وقام على البخاري من قام، بأنه يعني أخرج حديثاً انفرد به خالد بن مخلد وفيه الكلام المشهور. لكن شواهد الحديث، ومخارج طرقه، وعظيم ألفاظه كما قال شيخ الإسلام بن تيمية والحافظ بن حجر، يدل قطعاً على أنه حديث نبوي صحيح، ولذلك أعطوه الأئمة اهتماماً عظيماً في مصادرهم، ومخارجهم، وفي ألفاظه ومعانيه العظيمة الجليلة.

فما أنكر عليه شيء، إلا وله فيه إما شاهد، وإما له مخرج آخر كهذا الحديث الذي معنا الآن. أي نكارة فيه؟ هذا الحديث في البخاري موجود في خمسة مواضع:

- موجود في كتاب التفسير، في تفسير سورة الأنعام أو الآية أين هذه الآية؟ **﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾** ، **﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾** <sup>(2)</sup> هذه في الأنعام في الأنعام وفي لقمان، أخرجه البخاري في آخر آية **﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾**.
- أخرجه أيضاً في "كتاب الاستسقاء"، أخرج هذا الحديث في كتاب الاستسقاء؛ لأن فيه الآيات لا يعلم متى يأتي المطر إلا الله.
- وأخرجه هنا في التوحيد،
- وأخرجه في موضع خامس يعني لا أذكره الآن. من غير خالد بن مخلد، كلها تنتهي عند ابن عمر، وبعضها ينتهي عند عبد الله بن دينار. وتابع خالد عليه أئمة كبار مثل جعفر الفرزباني وغيره. فأى وجه للنكارة فيه والحديث يعني معلوم معروف؟

فما أنكر عليه حديث، وإلا وقد توبع عليه، واعتمد، فبالتالي زال ما يمكن.. ولذلك البخاري

اعتمده وأخرج أحاديث كثيرة عنه في الصحيح. هذا توفي سنة 213.

**(حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ)** هو التيمي بالولاء، مدني يكنى أبا أيوب.

(1) ابن حبان في صحيحه ج 2 / ص 60 حديث رقم: 347.

(2) الأنعام: 59.

(حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ) أيضاً العدوي مولى عبد الله بن عمر، مدني أيضاً إمام مشهور، يكنى

أبا عبد الرحمن.

(عَنْ ابْنِ عُمَرَ) الصحابي \_ رضي الله عنهما \_.

(عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ ،

مَفَاتِيحُ) فيها لغتان: بإثبات الياء، وبحذفها.

القرآن في سورة الأنعام بدون الياء ولا أنا واهم؟ ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾ بإجماع القراء، إلا ما

شدّد. فمفتاح بدون الياء جمع مفردتها مفتاح. ومفاتيح بإثبات الياء، جمع مفردته مفتاح لغة.

(مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ) لاحظ هنا ذكر كلمة (خَمْسٌ) والقاعدة اللغوية تقول: إذا ذُكِرَ العدد، دل

على أن المعدود مؤنث والعكس صحيح.

تقول جاءني: خمس رجال. صحيح هذا: خمس رجال. جاءني... بلاش جاءني جاء خمسة رجال،

جاء خمس نساء. ضرورة تخالف بين المعدود والعدد. إذا كان مذكر تؤنث، وإذا كان مؤنث تذكر.

هنا ذكر كلمة خمس العدد، فدلّ على أن كلمة (مَفَاتِيحُ) مؤنث.

قال أهل العلم أهل اللغة هي مؤنثة باعتبار جمع التكسير هذا، جمع تكسير يسمونه، لا باعتبار

المفرد. المفرد مذكر كلمة مفتاح، أو مفتاح كمفردة مذكر، ليست مؤنث. لكن لما تُجمع، تجمع على جمع

التكسير كمفاتيح، ومفتاح. جمع التكسير يعامل معاملة المؤنث، فذكر العدد.

(مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ) تدخل في النوع الأول من العلم المنسوب إلى الله، وهو

علم الغيب الذي لا يعلمه سواه، الخمسة أشياء هذه.

(لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ) اجمع بين كلمة (مَا تَغِيضُ) وما شرحنا به الآية أن

تعلق علم الله بالأرحام بما قبل أن تحمل النساء، ومرحلة الغيض، والازدياد، والوضع، فمفتاح الغيب هي

مرحلة ما قبل بطبيعة التقدير لا يعلمها أحد، ومرحلة الغيب، وما وراء ذلك إما يدخل في الغيب النسبي أو

في علم الشهادة.

(وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدِّ إِلَّا اللَّهُ) مع ملاحظة ما ذكرته في تفسير الآية، أن ما في غد لا يعلمه إلا

الله.

اليوم بالنسبة لنا هو غيب، وهو أحد مفاتيح، يعني لا يعلم أحد اليوم ما سيجري غداً، ومن زعم

ذلك فقد ادعى علم أحد مفاتيح الغيب عند الله، ولذلك نكذب الكهان والمنجمين والسحرة والمشعوذة،

ونقدح فيهم، ونعتقد أنهم ادعوا أخص خصائص مفاتيح الغيب عند الله، وهذا أحد أوجه كفرهم. أحد أوجه كفر الساحر والكاهن، الذي يزعم أنه يخبر بما سيجري في غد وما بعد غد، أنه زعم لنفسه صفة هي من أخص خصائص علم الله، أحد مفاتيح الغيب. ولذلك إذا صدقته أنت، فقد خلعت عليه ما هو لله. وللا لا؟ تستطيع أن تأتي على واحد عادي، تخلع عليه صفة من صفات أمير البلد، ولا ملك البلد، تستطيع؟ يرمونك في الشارع.

فلا تخلع عليه صفة ملك الملوك هذا المشعوذ الكذاب هذا. صح وللا لا؟ وهذا أحد أوجه: ((من أتى ساحراً فصدقه فقد كفر))<sup>(1)</sup>، لأنك خلعت عليه مو بس صفة أحد خصائص علم الله، الغيب المطلق الذي ولا الأنبياء، ولا الرسل، ولا جبريل، حتى ما يعرف. إذن لا يعلم ما في غد... ماذا تريد؟ كنت أود أن تنتهي من هذا الباب، لكن يعني أولاً أعتذر عن الأسبوع القادم في الحضور لارتباطي... نلتقي في الذي بعده إن شاء الله.



(1) مصنف ابن أبي شيبة: ج5/ص42 ح23528.

## الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونسأله المزيد من فضله، نشكركه ولا نكفره، ونخلع ونترك من يفجره. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.  
أما بعد:

كنا في الدرس السابق قد ابتدأنا في (باب قول الله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً) وتدارسنا ما يتعلق بالآيات الأربع أو الخمس التي صدر بها الإمام البخاري هذا الباب. وقد أدخل البخاري وروى في هذا الباب حديثين اثنين:

الحديث الأول ربما تدارسناه أو بعضه قوله: (حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ حَدَّثَنَا سَلِيمَانُ بْنُ بِلَالٍ

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ) وتكلمنا على ما يتعلق بأحاديث خالد بن مخلد القطواني، وهذا منها، ومواضع الحديث وذكر أو روى حديث النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ قال: (مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ) وبيننا على هذا ما ذكره العلماء، أن العلم المنسوب إلى الله تعالى على ثلاثة أنواع:

- مفاتيح الغيب وهي هذه الخمس، وهذه لا يعلمها إلا الله جل وعلا، لا يعلمها لا الملائكة ولا الأنبياء ولا غيرهم.
- والنوع الثاني: علم الغيب، وهذا من علم الله \_ جل وعلا \_ وقد يطلع الله بعض أنبيائه وملائكته على بعض هذا العلم، علم الغيب، على مدلول قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾<sup>(1)</sup>.
- والنوع الثالث: علم الشهادة، وهذا يطلع عليه الخلق أو بعضهم، بحسب معاشهم واطلاعهم، ولكن تعلق علم الله بعلم الشهادة من جهتين. تميز علم الله \_ عز وجل \_ على علم البشر في علم الشهادة من جهتين:

(1) الجن: 26-27.

من جهة كون علم الله يسبق الأشياء قبل وجودها، فعلمه سابق. علم الأشياء قبل أن تكون من علم الشهادة. فكل علم الشهادة كان قبل ذلك من علم الغيب، قبل أن يُخلق العالم هذا، وقبل أن نخلق نحن ماذا كان؟ كان في علم الله سبحانه وتعالى، ويخرج الله هذا العلم بحسب أقداره، وما كتب الله وما أراد. والجهة الثانية أو القضية الثانية: أن علم الله بالأشياء علم تفصيلي، يعلم دقائق الأمور. لا يعزب عن علمه \_ جل وعلا \_ مثقال ذرة. والخلق ولو اطلعوا، ولو شاهدوا، ولو علموا، فإنهم يعلمون يعني علماً كلياً جلياً، ولا يستطيع أحد أن يزعم أنه علم حتى من علم الشهادة الأشياء كلها على دقائقها وتفصيلها، بحيث لا يعزب عن علم هذا المخلوق مثقال ذرة. لا يستطيع أحد أن يدعي ذلك. فيظهر حتى تميز علم الله على علمنا حتى في تعلق علمنا بعلم الشهادة. علم الله يسبق الأشياء، علمه سابق، ويعلمها على تفصيلها ودقائقها لا يعزب عنه مثقال ذرة. هذا ذكرناه لكن حتى يتصل الدرس.

ثم ذكر المفاتيح هذه، وهي ما يتعلق بالأرحام : **(لَا يَعْلَمُ مَا تَفِيضُ الْأَرْحَامُ إِلَّا اللَّهُ)** وذكرنا ما يتعلق بهذه النقطة. ولا يعلم ما في غد إلا الله، وهذا ما يتعلق بما ذكرناه قبل قليل. فما في غد هو اليوم من النوع الثاني من علم الغيب، الذي يعلمه الله ولا نعلم عنه شيئاً. فإذا حضر غد ونحن موجودون، وشاهد كل منا ما يمكن أن يشاهده مما يجري له ولغيره، فينقلب في حقنا من علم غيب لا نعلمه إلى علم شهادة نعلمه. ولكن علم الله به تفصيل، وعلمنا به كلي جملي. فلا يعلم ما في غد إلا الله، فقبل أن يكون من علم الشهادة هو من علم الغيب عند الله سبحانه وتعالى.

**(وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ)** قد يقول قائل ربما يتوصل الناس إما بتجربة وخبرة، وإما بأجهزة، وإما بدراسات وحسابات معينة، يتوقعون من خلالها ويعلمون من خلالها مواسم سقوط ونزول الأمطار، ويصدق شيء من ذلك كثير. يتوقعون بحسب دراسات مناخية معينة، وربما حتى بدون دراسات بحسب التجربة.

تجد كل أهل بلد، خاصة اللذين تتعلق حياتهم بالمطر كالزراع والفلاحين مثلاً، عندهم خبرة معينة من خلال تجربة الحياة عن مواسم المطر. يعلمون يعني علم جملي كلي بتقريب لمواسم المطر. فهذا لا يلغي كون لا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، لا يلغي أن يكون هذا العلم من علم الغيب، من مفاتيح الغيب وذلك للأمر الآتية:

أولاً: علم البشر يبقى دائماً في حدود الظن، والتوقع، والتخمين. ولو بني على دراسات دقيقة، يبقى باعتراف الجميع احتمال، والظن، والتخمين.

وهذا لا يلغي ولا يخرج علم وقت المطر من كونه علم غيبي لا يعلمه إلا الله إلى علم مثلاً من علم الشهادة، يمكن أن يعلمه البشر؛ لأننا في حدود الظن والتخمين. فيصدق على هذا التوقع قول الله تعالى الآية في سورة النجم: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾<sup>(1)</sup> وفي الآية الأخرى {يعلمون} ماذا؟ في الظن في النجم نفسها: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾<sup>(2)</sup> هذا المقصود ﴿إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنَّ﴾<sup>(3)</sup> العلم اليقيني لا يستطيع أحد أن يجزم به. لكن يبقى في دائرة الظن، والتخمين، والاحتمال. وهذا يبقى علم وقت نزول المطر في علم الله سبحانه وتعالى العلم الغيبي.

والأمر الثاني: (وَلَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطْرُ) المقصود به ليس يعني أن تتوقع مثلاً أن غداً يدخل علينا موسم المنخفض الهندي، ولا منخفض ماني عارف إيه، وجاء المطر حصل، فعرفت علم الغيب. لا، المقصود ب(لَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطْرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ) الله عز وجل، وهذا منسوب لابن عباس هذا العلم وهذا التفسير.

ابن عباس يقول: "يقدر الله".. هذه ذكرها ابن أبي الدنيا، الرواية هذه عن ابن عباس ذكرها الحافظ ابن أبي الدنيا حتى ترجعون لها، في كتاب له اسمه "كتاب المطر والرياح والرعد والسحاب" وذكر فيه آثار رائعة وجميلة جدا ومهمة عن العلماء في هذه القضايا.

ابن عباس يقول: الله قدر كمية المطر الذي سينزل على العالم كله، على الأرض كلها، خلال السنة كلها، ومواقعه، ومواضعه، ومنازله، ومن سيستفيد منه، ومن لا يستفيد. من يستطيع أن يعلم هذا؟ من يستطيع ولا حتى ضمن التخمين ما يستطيع أن يستوعب هذا.

المقصود ب(لَا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطْرُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ) سبحانه وتعالى، الله عز وجل أنه هو المتكفل بالأرزاق، والقائم بأحوال الخلق، التي تعتمد اعتماداً كلياً على الغيث، والمطر هذا العظيم، الذي يغيث الله به العائشون هؤلاء في هذا العالم.

(1) النجم: 23.

(2) النجم: 23.

(3) النساء: 157.

في كل سنة يقدر الله من كميات الأمطار ما شاء، ويوزعه حيثما شاء. فيعلم سبحانه وتعالى ما سينزل هنا وهنا وهناك، ومواضعه، ومواقعه، على حد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا هُتَمَهُمْ﴾<sup>(1)</sup> أي المطر ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ أي لينسبوا فضل ذلك، وأمره وعلمه إلى الله ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ فينسبون إلى المواسم، وإلى الأجواء، وإلى النجوم كما في حديث زيد بن خالد الجهني المشهور، لما أصبحوا في الحديبية على إثر سماء كانت بهم من الليل، فقال النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ : ((ألم تعلموا ماذا قال ربكم البارحة قال أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب أو كافر بي مؤمن بالكوكب. من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ومن قال مطرنا بنوء كذا ونوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب))<sup>(2)</sup> إحالة الأمطار ونزولها ومواسمها إلى أمور طبيعية بحثة تجريدية ترتبط بطلوع النجوم وغروبها والمواسم، هذا يعني من كفران النعمة، من كفران النعمة. فلا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، والله يصرفه كيفما يشاء.

ورواية أخرى عن ابن عباس رائعة جداً في الكتاب الأنف الذكر لابن أبي الدنيا، وهي حقيقة عجيبة جداً، وأعجبني كثيراً، ويعني تدل على علم عظيم. يقول ابن عباس: "ما من سنة هي أقل مطر من السنة الأخرى، ولكن الله يصرفه". يحرم هؤلاء منه هذه السنة، ويكثره على آخرين، ويجرم آخرين ويكثره على الأولين.

تجد بعض البلدان تغرق من الأمطار، وبعضهم ما يجدون ما يشربون. لله الأمر من قبل ومن بعد. أين النجوم ما تنظم هذا وترتبه؟! ﴿صَرَّفْنَا هُتَمَهُمْ﴾ كمية المطر النازلة كما يقول ابن عباس هي واحدة، لكن تصريف الله لها يغرق بها أقوام، ويجرمها أقوام، وينزلها على أقوام، ويمنعها أقوام، تدبيره وتقديره على علمه وحكمه سبحانه وتعالى.

فبالتالي من هذا يظهر لنا أنه كوننا نتوقع بدراسة، أو بحسابات، أو بتجربة معينة مواسم الأمطار، لا يخرج ولا يلغي أن يكون علم وقت نزول المطر من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله، للأمور التي أسلفت ذكرها لكم .

**(وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)** هذا قطعاً وحقاً، ولا تنفع فيه لا التوقعات، ولا الاحتمالات، لا يدري الإنسان منا في أي أرض قضى الله وفاته \_ سبحانه وتعالى \_ ولا متى ذلك. هذا من علم الغيب،

(1) الفرقان: 50.

(2) البخاري في صحيحه ج 4 / ص 1525 حديث رقم: 3916.

الذي هو اختص الله سبحانه وتعالى بعلمه. لكنه يظهر أو يخرج \_ بعبارة أدق \_ يخرج من كونه من مفاتيح الغيب إلى علم الغيب النسبي، عندما يتصور المخلوق في رحم أمه، ويتكون، وتمر عليه المراحل المذكورة في النطفة والعلقة والمضغة. فإذا تخلق وتكون، بعث الله إليه ملك، فيكتب هذا الملك ذكراً أو أنثى، كما في الأحاديث المشهورة، ورزقه، وعمله، وأجله.

فعندما يكتب الملك أجله، خرج من كونه مفتاح غيب؛ لأن الملك الآن عرف، هذا الملك الموكل عرف أجل هذا الإنسان، فانقلب.. في أفراد المخلوقين يتحول أو يخرج من كونه من علم الغيب، إلى ربما غيب نسبي أو إلى علم الشهادة بعد كتابته. أما قبل ذلك فهو في علم.. من مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله.

**(وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ)** جل وعلا وهذا قطعي. وقد ذكرنا هذا لما فسرنا الآيات،

وذكرنا بعض ما تأول به بعض الأئمة والعلماء لحسابات معينة، أو فهم خاطئ لبعض الأحاديث، يعني تحديد أوقات تقريبية لوقت قيام الساعة، هذا لا يعلمه إلا الله. ومعاناته، وطلبه، ومحاولة بناء حسابات معينة على لغة الأرقام، أو حتى على مفهوم أحاديث، نظن أنها قد تؤدي إلى حساب معين لوقت قيام الساعة، ولو عجز التقريب، هذا معاناة لعلم يعني لا يمكن الوصول إليه، لا يمكن الوصول إليه. وقد ذرت لكم قصة الطبري وما قاله، وما رد عليه الأئمة في هذا الجانب. وكل من عانى هذا الباب فهو مخطئ من وجهين:

- من وجه أنه ينازع في أمر قضى الله سبحانه وتعالى أنه لا يعلمه غيره،
- ومن جهة أنه يضيع وقته وجهده فيما لا طائل فيه، ولا محصل من ورائه.

وأسوأ من ذلك أن يُبنى شيء من هذا العلم على يعني روايات عن أهل الكتاب مثلاً، أو حسابات أبي جاد، أو كما ظهرت الكتب الأخيرة هذه "عمر أمة الإسلام" وأمثاله مهزلة.

يحددون بلغة الأرقام يعني، يوم واحد واحد عام ثمانية وتسعين يخرج الدجال. والله لو كنت سكرتير الدجال ما تعرف تقول الكلام هذا! هذا مهزلة هذا، كلام فاضي. واحد واحد يخرج الدجال، من يعرف هذا إلا الله سبحانه وتعالى؟! وبالיום ما بقي إلا يحط الساعة كمان عشرة ونص وخمس دقائق ينزل عيسى بن مريم، مهزلة فاضية، هذا كذاب أشر من يصنع ذلك، وفاجر لثيم يتطاول إلى علم لا يمكن الوصول إليه، ولا يمكن لا بحساب ولا بغيره، ما هو أقل من هذا علمك أجلك أنت الخاص بك ما تعرف تحسبه، ولا يمكن أن تصل إليه. فلا يتعاني الإنسان.

وأسوأ من هذا أن يجد هذا مثل هذا الكلام له قبول عند الناس، وينتشر، ويشيع، هذا من أعجب ما يمكن مع القطع القرآني لهذه المسألة أنه لا يعلم متى ذلك إلا الله.

ومنهج الأئمة \_ رحمة الله عليهم \_ عدم معاناة ذلك، وعدم يعني الاشتغال به، لعلمهم أن

الاشتغال به مضيعة للوقت، وطرق باب لا يمكن أن يفتح، ما فتح للأنبياء والرسل **((ما المسؤؤل عنها بأعلم من السائل))** <sup>(1)</sup> فكيف يفتح لواحد قاعد في مكتب يسوي حسابات بالآلة الحاسبة، ويطلع متى يخرج الدجال، ومتى ينزل عيسى، ومتى تقوم الساعة. كلام يعني سخيف فاضي لا معنى له.

فلا يعلم متى الساعة إلا الله سبحانه وتعالى. وهذه الخمس هي المنصوص عليها في آخر آية في

لقمان. ولذلك حديث ابن عمر هذا في الصحيح هنا، لما ذكرت لكم مواضع أو خمسة مواضع، في بعضها يقول ابن عمر عن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ)**

ويتلو الآية **﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** <sup>(2)</sup> اقرأ الحديث الذي بعده.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام أبو عبد الله البخاري \_ رحمه الله تعالى \_:

**(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ**

**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ).**

هذا حديث عظيم. قال البخاري: **(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ)** هو الفريابي، الحافظ المشهور.

قال: **(حَدَّثَنَا سُفْيَانُ)** هو ابن سعيد الثوري قولاً واحداً.

**(عَنْ إِسْمَاعِيلَ)** هو ابن أبي خالد.

**(عَنْ الشَّعْبِيِّ)** الإمام التابعي المشهور، عامر بن شرحبيل الشعبي .

**(عَنْ مَسْرُوقٍ)** ابن الأجدع الهمداني اليماني الكوفي، أحد كبار التابعين وأحد المخضرمين.

عن أم المؤمنين **(عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ)** لهذا الحديث سبب وهو أن مسروقاً دخل على

عائشة \_ رضي الله عنها \_ وسألها سؤالاً، فقال لها يا أم المؤمنين، هل رأى محمد ربه؟ هذا الحديث بناءً

(1) مسلم في صحيحه ج 1 / ص 38 حديث رقم: 8.

(2) لقمان: 34.

على سؤال، ووجه من هذا التابعي إلى أم المؤمنين عائشة. وكانت في خدرها وهو جالس ملقي ظهره على المسجد، وبينها وبين المسجد حجاب كما كان عليه الحال في عهد النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ كان يفصل حجرة عائشة عن المسجد بحجاب فقط. فكان النبي ربما يكشفه فينظر إلى من في المسجد، وربما غطاه.

فسألها هل رأى محمد ربه فقالت عائشة \_ رضي الله عنها \_ : **((ثلاث من حدثك بهن فقد كذب))** <sup>(1)</sup> وفي رواية: **((ثلاث من حدثك بهن فقد أعظم على الله الفرية))** <sup>(2)</sup> وذكرتها.  
(مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ) تضمن حديث عائشة هذا العظيم المشهور هذا، ثلاث مسائل:

- المسألة الأولى: هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه،
- والمسألة الثانية: من حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب، أو فقد أعظم على الله الفرية،
- والمسألة الثالثة: من حدثك أن محمداً صلى الله عليه وسلم كتم بعض ما أنزله الله إليه فقد كذب، أو فقد أعظم على الله الفرية، ثلاث مسائل.

البخاري هنا اختصر الحديث على مسألتين: مسألة هل رأى محمد ربه، هل رأى محمد \_ صلى الله عليه وسلم ربه \_ ،

ومسألة من حدثك أنه يعلم الغيب، والمسألة الثالثة: وهي **((من حدثك أن محمداً كتم بعض ما أوحاه الله إليه، فقد أعظم على الله الفرية))** أخرجها البخاري أو اختصرها وأفردها في باب خاص بها هنا في كتاب التوحيد، وعقده فقال: (باب قول الله تعالى { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } ) فنرجع الكلام على هذه المسألة الثالثة إلى الباب الذي خصها البخاري بها. ونقتصر الكلام اليوم هنا على المسألتين المذكورتين في الحديث، تبعاً لتنظيم البخاري \_ رحمه الله \_.

المسألة الأولى: **((مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ))** مسألة رؤية

الله \_ سبحانه وتعالى \_ انعقد إجماع أهل السنة سلفاً وخلفاً على إمكان رؤية الله \_ جل وعلا \_ عقلاً.  
انعقد إجماع أهل السنة سلفاً وخلفاً على إمكان رؤية الله \_ جل وعلا \_ عقلاً، بمعنى أن رؤية الله غير

(1) ابن حنبل في مسنده ج 6 / ص 50 حديث رقم: 24273.

(2) مسلم في صحيحه ج 1 / ص 160 حديث رقم: 177.

مستحيلة ممكنة، ولكنها في الدنيا في الحياة الدنيا ممنوعة، لأدلة سنذكرها. وفي الحياة الآخرة واقعة، وهي من عقائد أهل السنة الكبيرة العظيمة، أن الله \_ جل وعلا \_ يراه المؤمنون بأبصارهم في الآخرة في الجنة. وقد دل على وقوع الرؤية، رؤية الله تعالى في الآخرة آيات سبع في القرآن العظيم، وأكثر من اثنين وثلاثين حديثاً ثابتاً صحيحاً عن رسول الله \_ عليه الصلاة والسلام \_ وما لا يحصى من الآثار عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

ورؤية الله في الآخرة لعظيم موقعها، وكثرة المخالف لها من أهل البدع والأهواء كالمعتزلة ونحوهم، خصّها البخاري بباب هنا في كتاب التوحيد، سيأتي ذكره إن شاء الله باب قوله تعالى {وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ} من النظرة {إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} فنرجع الكلام عليها في وقتها.

أما رؤية الله في الدنيا، فالإجماع منعقد كما قال الطبري، والقرطبي في "التذكرة" وغيرهما أنها ممكنة عقلاً، وهي غير مستحيلة، لكنها ممنوعة شرعاً. منع الله البشر من رؤيته في الحياة الدنيا.

وقد دل على هذا المنع الشرعي أدلة من القرآن والسنة. من القرآن قوله تعالى، الآية التي استشهدت بها عائشة على تفصيل سيأتي ذكره ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(1)</sup> آية موسى \_ عليه الصلاة والسلام \_ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾<sup>(2)</sup> في الأعراف ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ﴾<sup>(3)</sup> لأننا في الحياة الدنيا. أنت تسأل شيء لا يمكن أن يقع في الحياة الدنيا. ومن آية موسى هذا، أخذ العلماء أنها ممكنة عقلاً، ممنوعة شرعاً في نفس الوقت. والدليل على إمكانها عقلاً كون موسى سألها؛ لأن موسى لا يمكن يسأل شيئاً مستحيلاً. الشيء المستحيل الذي لا يمكن أن يقع بحال، كأن يكون مع الله إله ورب آخر، هذا مستحيل، لا يمكن أن يكون خالقان لهذا العالم، مستحيل. كأن تسأل وتطلب أن تكون نبياً، مستحيل. مادام هو مستحيل، لو صنعت ما صنعت لن تكون نبياً. هذا مستحيل.

فطلبه أو البحث عنه، يعني طلب ما لا يكون. فموسى لا يمكن \_ عليه الصلاة والسلام \_ لعلمه أن يطلب ما لا يكون؛ إنما طلب ما يعلم أنه ممكن. لكن لم يكن يعلم أنه ممنوع أثناء هذه الحياة الدنيا. كما قال مالك \_ رحمه الله \_ فيما نقل عنه القاضي عياض في "الشفاء"، وهو يناقش مسألة رؤية النبي لربه.

(1) الأنعام: 103.

(2) الأعراف: 143.

(3) الأعراف: 143.

عياض يقول، نقل عن مالك رواية يقول لأن الله لا يمكن أن يُرى الباقي بالفاني. أبصارنا، وحياتنا، وأجسادنا فانية، والدنيا كلها فانية، والله هو الباقي. فلا يناسب أن يُرى الباقي الذي لا يموت بما يفنى وكذا. في الآخرة هناك حكم آخر؛ لأن الله يعطي المخاليق الذين يبعثهم من أهل الجنة وأهل النار على حد سواء حكم البقاء. فناسب أن يرى في الآخرة، ولا يناسب أن يرى في الدنيا على ما علّله مالك فيما نقله عنه القاضي عياض في "الشفاء".

نعود لأصل المسألة. فموسى لما سأل ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ دل ذلك على أن الرؤية من الممكنات عقلاً. ولو كانت من المستحيلات لما سأها موسى؛ لأن موسى عقلاً وعلماً ونبوة لا يسأل ما لا يكون ويعلم أنه مستحيل. والذي دل على منعها شرعاً قوله تعالى في جوابه لموسى: ﴿أَنْ تَرَانِي﴾ ثم ضرب له المثل أنك في وضعك الدنيوي لأنك فاني، لا يمكن أن يناسب رؤية الباقي، فضرب له المثل: ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ وأين تقع قوة موسى، وحجمه، وصلابته، واحتماله مع الجبل العظيم الهائل الصلب؟! ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾<sup>(1)</sup> الآية في سورة الأعراف.

ومن أدلة ذلك أيضاً المنع هذا، قول النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ فيما رواه مسلم: ((واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت))<sup>(2)</sup> وفي لفظ عند مسلم أيضاً ((واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)) هذا كلام يعني نص في موضع الخطاب، في موضع السؤال، في الدنيا لا رؤيا؛ لأنه مادام أنكم في الحياة الدنيا لن ترووا ربكم ((واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)) وحتى تموتوا تفصل ما بعد الموت عن ما قبله، فيمكن الرؤية رؤية الله في الدار الآخرة ولا تمكن في الدنيا. وانعقد إجماع أهل السنة على أن رؤية الله في الحياة الدنيا غير ممكنة، واختلفوا في مسألتين اثنتين:

- المسألة الأولى: في خصوصية النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وهي التي وقع فيها سؤال مسروق لأم المؤمنين عائشة، وجوابها له.
- والمسألة الثانية: ما يتعلق بالرؤية المنامية وهل يمكن أن يرى الله \_ جل وعلا \_ في المنام أو لا.

(1) الأعراف: 143.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن باب ذكر ابن صياد رقم 169 : 4 / 2245.

فالمسألة الأولى وهي مسألة مشهورة ومبحوثة وكبيرة، هل رأى رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ ربه جل وعلا ليلة أُسري به، ثم عُرج به إلى السماء، فبلغ المبالغ العظيمة، ورأى الآيات العظيمة، وحصل له الموقف الأعظم الأرهب هذا في ليلة المعراج، أم لم يرَ ربه؟

عائشة أمن المؤمنين، ومعها فريق من الصحابة، وجماهير العلماء، وانعقد بعد ذلك إجماعاً على النفي، وهو أن رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ لم يرَ الله \_ جل وعلا \_ ليلة المعراج. واستدلّت عائشة بأدلة من القرآن، وأيضاً دليل خاص من ذات السنة.

أما أدلتها من القرآن فأيتان اثنتان استشهدت هي بهما. في رواية معنا هنا في البخاري؛ لأنها هنا مختصرة ذكر دليل عائشة الأول وهو قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لكن إذا رجعت إلى كتاب التفسير في الصحيح، وفتحت باب تفسير سورة النجم؛ لأن الموضوع المناسب لها، تجد عائشة استشهدت بآيتين اثنتين: الآية الأولى هي هذه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ في الأنعام ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ويصح استدلال أم المؤمنين \_ رضي الله عنها \_ بهذه الآية إذا حُمل الإدراك على معنى إدراك ووصول البصر والنظر إلى ذات الله \_ جل وعلا \_ . فإذا كان معنى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ معنى الإدراك أي وصول نظر المخلوق، هو النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ أو غيره إلى الله \_ سبحانه وتعالى \_ فيشاهد ويُرى.

فعائشة حملت معنى الإدراك هنا على هذا، وهو أن الإدراك أي بمعنى وصول النظر والبصر إليه، فالآية تمثيل (28:24) أن الأبصار أبصارنا نحن المخلوقين ما دام في هذه الدنيا، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يزال في حكم الحياة الدنيا، بصره لا يصل إلى الله ولا يدركه، فيدخل مع غيره في عموم نفي الآية ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ إذا حملنا.. مرة أخرى إذا حملنا الإدراك وهو معنى لغوي صحيح على معنى وصول البصر إليه، فيكون النفي صحيحاً على استدلال عائشة. ولكن غير عائشة \_ رضي الله عنها \_ ومن معها من العلماء منعوا الاستدلال بآية ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ على نفي رؤية النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ لربه ليلة المعراج؛ لأن الإدراك عندهم ليس هو الرؤية، ففرقوا بين النظر والرؤية وبين الإدراك.

والإدراك عندهم قدر زائد على الرؤية، ففسروه بمعنى الإحاطة ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي لا تحيط به، وهذا لا ينفي الرؤية؛ لأنك قد ترى الشيء وفي نفس الوقت لا تحيط به رؤية، وهذا يقع حتى مع المخلوقات. أنت قد تقف أمام بحر عظيم، وتشاهده، وتنظر إليه، ويصل بصرك إليه، وتتمتع بالنظر إليه،

لكن لا تستطيع ولا يزعم عاقل أن نظرك أحاط بهذا البحر من كل أطرافه، ومن كل جوانبه، من فساحه، واتساعه مداه هائل عن مدى بصرك. واقع هذا ولا مو واقع؟ معقول ومقبول أم لا؟  
تنظر إلى القمر، وتنظر إلى الشمس ولا تزعم ولا يزعم عاقل أن نظرك أحاط بالقمر، وعرف تفاصيله، وأطرافه وما فيه، ما يستطيع أن يقول هذا، وكذلك الشمس .

ف عندهم الإدراك قدر زائد على الرؤية وعلى النظر فعندهم ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ لا ينفي أصل النظر؛ وإنما ينفي الإحاطة به. تماماً كما أننا نعلمه \_ جل وعلا \_ ونعرفه، ولا يحيط علمنا به. ألم يقل \_ جل وعلا \_ : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ (1) كان ماذا؟ الآية ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ نحن نعلم الله ونعرفه بأسمائه، وصفاته، وأفعاله \_ سبحانه وتعالى \_ وحقوقه العظيمة، لكن لا يستطيع أحد الزعم أنه علمه أحاط بالله \_ سبحانه وتعالى \_ وحقيقته، وكنهه، وعظيم أوصافه، وجليل أسمائه، ما يستطيع أحد. فهو يعلم ولا يُحاط به علماً، ويُرى على هذا الكلام ولا يحاط به من جهة الرؤية. ففرقوا بين الإدراك والرؤية .

فبناءً على كلامهم، لا يصح الاستدلال.. بناءً على هذا الكلام لا يصح الاستدلال بآية ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ على نفي أن يكون النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ رأى ربه ليلة المعراج؛ لأن الإدراك عندهم غير الرؤية. فيمكن أن يُرى، ويمكن أن يرى النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ ربه وإن كان نظره وبصره لا يحيط بالله \_ جل وعلا \_ كما أن علمه لا يحيط بالله جل وعلا كما فسرنا لكم.  
واستدلوا بالآية المشهورة التي في سورة الشعراء: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالُوا أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (2). ف﴿كَلَّا﴾ هذه من موسى، تنفي الإدراك ولا تنفي أصل الرؤية؛ لأنه تراءى الجمعان، رأى بعضهم بعضاً. فالرؤية حصلت، فالنفي يقع على نفي الإدراك، لا على أصل الرؤية. فاستدلوا بهذه الآية على التفريق بين الإدراك والرؤية، ليسندوا منعهم الاستدلال بآية ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ على نفي أن يمكن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ رأى ربه.

والدليل الثاني عند أم المؤمنين عائشة، الآية المشهورة التي في سورة الشورى، قال الله جل وعلا:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ

(1) البقرة: 255.

(2) الشعراء: 61-62.

**رَسُولًا فَيُوحِي بِأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ**<sup>(1)</sup> جل وعلا. فأخبر \_ جل وعلا \_ في هذه الآية بصيغة التعميم التي تنتظم البشر جميعاً، الأنبياء والرسل؛ بل الآية هي في الأنبياء والرسل أصلاً. ما يكلم الله، ما يكلم إلا الملائكة والأنبياء والرسل ليس كذلك؟ فخرج الملائكة؛ لأن الآية قالت: **﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾** فانحصر الخطاب في الأنبياء.

الآية هذه تخص الأنبياء؛ لأن بقية البشر لا خطاب لله معهم، ما فيه وحي لغير الأنبياء والرسل، ولا خطاب لغير الأنبياء، وهذا مما اختص به الأنبياء والرسل، أن الله لا يكلم ولا يوحى إلا للأنبياء والرسل على وجه الخصوص؛ بل كما سنذكر بعد قليل، الكلام حتى تُخص به موسى \_ عليه الصلاة والسلام \_ على وجه الخصوص من الأنبياء أنفسهم، وخرج الملائكة للتنصيص على البشر.

فالآية في الأنبياء أصلاً؛ لأن الله لا يكلم أحداً منهم، ولا ينزل خطابه إليهم إلا بأحد هذه الطرق الثلاث: إما وحيًا وهو ما ينتظم عموم الأنبياء والرسل، إما عن طريق الملائكة التي تنزل على الأنبياء بالوحي، أو عن طريق الرؤية المنامية مثلاً، أو نحو ذلك، أو من وراء حجاب.

إذا خاطب الله خطاباً مباشراً، نبياً من أنبيائه، بدون مقابلة وبدون رؤية، من وراء حجاب. وأكبر مثل على ذلك نبي الله وكليمه الذي خص بالخطاب المباشر، وسمع موسى \_ صلى الله عليه وسلم \_ كلام الله مباشرة بدون واسطة، وسمع صوت الله جل وعلا بدون واسطة، لكن من وراء حجاب، كلمه من الشجرة بنص القرآن: **﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى﴾**<sup>(2)</sup>.

ولذلك موسى كما قال أهل التفسير لما خص بهذه الميزة الثمينة العظيمة، وهو أن الله خصه بالكلام المباشر بدون واسطة ملك ولا غيره، طمع فيما هو أعظم من الكلام، وهو الرؤية المباشرة، فطلبها كما في آية الأعراف، التي تلونا كلمه ربه: **﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾** يريد أن يزول الحجاب، فينظم إليه شرف التكليم مع شرف الرؤية، هنا مُنع، ليبقى عموم آية الشورى على بابه. **﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾** لأن هناك حكم قدري **﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾** وقد عرفنا أن البشر هنا لا يدخل فيها الملائكة للتنصيص على البشر، ولا يدخل فيها غير الأنبياء والرسل؛ لأنه لا وحي لغير الأنبياء والرسل، فهي منحصرة في الأنبياء والرسل \_ عليهم

(1) الشورى: 51.

(2) القصص: 30.

الصلاة والسلام \_ قال: ﴿لَا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِأُذُنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ هذا من أدلة عائشة \_ رضي الله عنها \_ .

ومن أدلتها أيضاً بعد أن أجابت عائشة \_ رضي الله عنها \_ مسروقاً رحمه الله على سؤاله هل رأى محمداً ربه؟ واستدللت بآية: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ واستدللت بآية: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ﴾ قال مسروق كما في رواية سورة الرواية التي في سورة النجم: ((كنت متكئاً فجلست فقلت يا أماه)) وهذا من لطيف أدبه واحترامه، مع أن سنه أكبر من سن عائشة. هم في السن، مسروق من المخضرمين، سنه أكبر من ابن عباس حتى، وأكبر من عائشة \_ رضي الله عنها \_ لكنه يعني أمهات المؤمنين ((يا أماه أليس الله يقول)).

الآن مادام نقاش ونظار، كان يظن مسروق أن عائشة ما عندها من الأدلة في رؤية النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ في ليلة المعراج إلا عموم آية ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وعموم آية ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ فعرضها بآية أخرى يرى هو أنها في تخصيص للنبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ يكسر بها هذا التعميم في آية ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ والتعميم في آيات ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ فقال: ((يا أماه أليس الله يقول {وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى})). على أن الضمير عند مسروق في سؤاله يعود إلى الله. فكانت عائشة \_ رضي الله عنها \_ عندها الجواب اليقيني في هذه المسألة، فقالت: ((أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ عن ذلك)).

هذه ما تفيدك يا مسروق. ((سألته: {وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى} قال ذاك جبريل)) وفي مسلم: ((قالت سألت رسول الله قلت يا رسول الله قوله: {وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى} رأيت جبريلاً؟)) تسأله عن الآية نفسها. ((قال لا ذاك جبريل رأيت منهبطاً))<sup>(1)</sup> وهذا ما يدل عليه السياق، سياق سورة النجم نفسها حتى ولو لم تسأل؛ لأن السياق كله يدل على أن الخطاب عن جبريل، والضمائر كلها تعود إليه ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾<sup>(2)</sup> هذا وصف جبريل بالإجماع. ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾<sup>(3)</sup> ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾<sup>(4)</sup> إلى أن قال: ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى﴾.

(1) مسلم في صحيحه ج 1 / ص 160 حديث رقم: 177.

(2) النجم: 5-6.

(3) النجم: 9.

(4) النجم: 7-11.

فكل الضمائر بعد كلمة أو بعد قوله: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ تعود على شديد القوى هذا الذي هو جبريل. فما الذي يجعل هذه فقط تخرج من هذا فتعود على الله؟!  
ثم عائشة حسمت الموضوع \_ رضي الله عنها \_ بسؤالها المباشر لصاحب القصة، وصاحب المعراج، وصاحب الآيات \_ صلى الله عليه وسلم \_ قالت هل رأيت ربك، أو سألته عن هذه الآية فأخبرها أن المقصود بها أن المقصود بها جبريل \_ عليه الصلاة والسلام \_ . وراجعوا الرواية المذكورة في مسلم.  
فالموضوع عند عائشة في درجة اليقين أنه لم يقع من النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ رؤية لربه ليلة المعراج، لعموم الآيات. فلما أورد عليه خصوص ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ كان عندها في ذلك علم ليس عند غيرها، سألت عنه النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ لتتحسم المسألة عندها كما يجب أن تتحسم عند غيرها، أنه لم تقع الرؤية من النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ لربه ليلة المعراج فقال: ((ذاك جبريل)).  
ومما يدل عليه من نفس الآية قوله: ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ والخلاف كله في ليلة المعراج، ما فيه أخرى رأى فيها النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ ربه. أي أخرى هذه؟!  
الآية تشعرنا بأن هناك أكثر من مرة رأى فيها وللا لا؟ فهذه هي المرة الأخرى، ويجب أن يكون قبلها أولى. فمتى رأى ربه قبل ليلة المعراج؟ بالإجماع لا يوجد شيء.  
فيجب من منطوق الآية، ولو لم تسأل عنها عائشة النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ حملها على رؤية جبريل؛ لأنه رآه النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ كما قررنا في دروس سابقة في "بدء الوحي"، أنه رأى جبريل أكثر من مرة النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ رأى جبريل في سوره الحقيقية. أول مرة لما نزل عليه الوحي، ورأى الملك منهبطاً بين السماء والأرض، وقد سدّ الأفق له بأجنحته العظيمة، وهياتة العظيمة المهيبه، التي أوقعت في قلب النبي ذلك الروع، الذي رعدت منه فرائسه.  
القصة المشهورة، والمرة الثانية هي هذه ﴿نَزْلَةً أُخْرَى﴾ لكنها ليست في الأرض، ولكن في الأفق الأعلى ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾<sup>(1)</sup>.  
فإذن يظهر من هذا أن عائشة \_ رضي الله عنها \_ على علم خاص بهذه المسألة. بقي سؤال هنا أورده بعضهم: لماذا استدلت عائشة بعموم الآيات، ولم تذكر خصوص سؤالها للنبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ مع أنه ربما يكون أقوى في الدلالة وإقامة الحجة؛ لأن عموم الآيات ربما يفسر بتفسيرات أخرى، كما فسروا ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ بالإحاطة بالذي لا ينفي أصل الرؤية. وكما فسروا آية ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ

(1) النجم: 14-15.

الاستثناء قد يستثنى من هذا العموم. لماذا أوردت الآيات كدليل، ولم تورد سؤالها للنبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ إلا بعد أن سئلت هي؟ ثم في الإيراد هذا إيراد علمي مهم جداً؛ لأن القاعدة الفقهية والأصولية في الاستدلال تقول: الدليل الخاص أقوى في الدلالة من الدليل العام.

إذا كان عندك دليل خاص في ذات المسألة، في الدلالة هو أقوى من أن تدخل هذه النازلة في العمومات. فهتمم أم لا؟ ولكن أجابوا عن عائشة بعدة أجوبة، أن عائشة \_ رضي الله عنها \_ يعني ذكروا جوابين، هذا على سبيل الاحتمال عندهم. ما أدري إيش كان في خاطر عائشة لما ذكرت هذا، لكن من باب يعني الاحتمال أو التوقع أنها أوردت هذه الآيات، ولم تورد خصوص سؤالها للنبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ إلا بعد أن أورد عليها مسروق رحمه الله آية النجم، فذكرت سؤالها للنبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ من وجهين:

الوجه الأول: أن عائشة \_ رضي الله عنها \_ تريد أن تنبه أن المسألة لعظيم موقعها، وعظيم محلها، ذكرها القرآن، ولم يقف حسمها حتى تأتي عائشة تسأل. فهتمم الآن وللا لا؟ يعني لم يقف حسم مسألة بهذا الحجم عندها هي على أن تأتي هي فتسأل النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ ولو لم تسأل تبقى المسألة غير محسومة، عندها الحسم موجود في القرآن. ولذلك هي يعني ربما استغربت، واستبعدت، واستعجبت من أن تُطرق هذه المسألة وفي القرآن حسمها. فهتمم وللا لا؟

ولذلك في بعض ألفاظ الحديث، حتى في البخاري لما قال لها: **((يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه قالت لقد قف شعري مما قلت))**<sup>(1)</sup> دليل على أن السؤال استرهبته، واستعظمته، واستغربته. من أي وجه تستغربه وتستعظمه وفي القرآن والوجه أن في القرآن حسمه؟! فكيف يغيب عنك يا مسروق وعن غيرك حسم القرآن لهذه المسألة، فتبدأ تسأل عنها وتوردها؟! فهتمم وللا لا؟ لماذا تستعظم تقول: **((لقد قف شعري))** قف يعني وقف شعري. والإنسان لا يقف شعره إلا من شيء عظيم يرد عليه وللا لا. ما هو الشيء العظيم الذي يرد عليها، ورد عليها في السؤال؟

يطيب قلبها وقلوبنا جميعاً لو كان النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ رأى ربه. ذلك يعجبنا، ونحبه، ونوده لو كان وقع وللا لا؟ ويزيد نبينا شرفاً \_ عليه الصلاة والسلام \_ ونحب له ذلك، لكن استعظامها، واستغرابها الذي نتج منه وقوف شعرها، أن تسأل عن مسألة وفي القرآن جوابها.

(1) ابن حنبل في مسنده ج 6 / ص 50 حديث رقم: 24273.

فاستعظمت أن يغيب عنك شيء من علم القرآن، فتسأل مثل هذا السؤال. وهذا يقع كثيراً. أن يأتيك سائل يسألك عن مسألة، وقد حسمها القرآن، فتستغرب وتستعظم ورود هذه المسألة والقرآن قد نص عليها. أليس كذلك؟

ومن باب كون الناس يسألون عن أشياء، ويبحثون هذا وقد حسمها القرآن، وألغاهما، ومنعها، وبين الحكم فيها. لا وجه عند من ذكر هذا الجواب لاستعظام عائشة إلا هذا.

والجواب الثاني: أن عائشة إنما سألت النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ ليس عن أصل المسألة، ولكن عن تفسير الآية التي في النجم فقط وهي قوله: **﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾** فلم تورد سؤالها وجواب النبي لها إلا لما أورد عليها خصوص آية: **﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾** فيظهر من أدلة هذه، من أدلة أم المؤمنين \_ رضي الله عنها \_ قوة واضحة، واستدلالات قوية على ما ذهبت إليه.

وقد وافق عائشة على نفي رؤية النبي لربه ليلة المعراج، عدد من كبار الصحابة كابن مسعود، وأبي ذر الغفاري \_ رضي الله عنه \_.

وأبو ذر الغفاري أيضاً ممن اعتنى بهذه المسألة، وسأل عنها رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ سؤالاً مباشراً، والحديث في صحيح مسلم من ثلاثة طرق، من ثلاثة طرق في مسلم:

- من طريق همام بن يحيى، عن قتادة، عن أنس، عن أبي ذر.
- ومن طريق هشام الدستوائي، عن قتادة، عن أنس، عن أبي ذر.
- ومن طريق يزيد بن أبان، عن قتادة، عن أنس، عن أبي ذر.

**((هل رأيت ربك؟))** سؤال مباشر من أبي ذر الغفاري لرسول الله \_ عليه الصلاة والسلام \_ وهذا

السؤال ما جاء من فراغ كما نقول. لماذا يسأل؟ ما هكذا خطرت المسألة على بال أبي ذر. جالس هكذا، وقال خيلني أسأل أشوف، إلا لأن المسألة يعني لها يحتاج فيها جواب، وتدور، وربما سمع من غير النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ كلاماً فيها، فيريد أن يحسم المسألة عنده من صاحب القضية نفسه \_ عليه الصلاة والسلام \_.

في مسلم لفظان، اتفقت رواية همام بن يحيى عن قتادة، مع رواية هشام الدستوائي عن قتادة، على لفظ. وانفردت رواية يزيد بن إبراهيم هذا، أنا قلت ابن أبان، يزيد بن إبراهيم صححوا، بلفظ روايتي هشام

ويحيى عن قتادة: ((قال رأيت نوراً))<sup>(1)</sup> في جواب النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ لما سأله أبو ذر: ((هل رأيت ربك؟)) كان جواب النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ لأبي ذر قال: ((رأيت نوراً)).

وانفردت رواية يزيد بن إبراهيم، عن قتادة، عن أنس، عن أبي ذر بلفظ اعتبر شاذاً، وأنكره الأئمة، وخطئوا مسلماً في إخراجها، وهو قوله في جواب أبي ذر: ((نور أنى أراه))<sup>(2)</sup> هذه الرواية شاذة، أنكرها الإمام أحمد في رواية الخلال عنه في كتاب "العلل". قال: "لا أراها إلا منكراً" لأنه يزيد بن إبراهيم خالف من هو أوثق منه، وأكثر عدداً حتى، همام بن يحيى وهو من كبار أصحاب قتادة، وهشام الدستوائي الحافظ المشهور، فخالف من هم أوثق منه وأكثر عدداً. هذه حكمها في علم الحديث ما هو؟ الشذوذ، والشذوذ يُسقط، والإمام أحمد أعطانا الحكم كما رواه عنه الخلال في كتاب "العلل".

ورواية أحمد هذه راجعها حتى ذكرها ابن الأثير في "النهاية"، "النهاية في غريب الحديث" لابن

الأثير، ابن بركات بن الأثير ذكر رواية الخلال عن أحمد، وهو يفسر اسم النور من أسماء الله \_ جل وعلا

— ذكر هذا الحديث، وذكر استنكار أحمد له؛ لأنه من مفردات يزيد بن إبراهيم في روايته عن قتادة،

التي خالف فيها من هم أوثق منه وأجل وأكثر عدداً.

وأنكرها ابن خزيمة أيضاً في كتاب "التوحيد" قال: "في النفس منها شيء" وغيرهم من الأئمة.

واعتذر بعضهم عن مسلم في إخراج هذه الرواية المعلولة الشاذة، التي أنكرها من هم قبله، وأقعد

منه كأحمد وغيره، اعتذروا له أنه ذكرها في باب الشواهد، وهذا صحيح.

لو رجعت للرواية هذه في مسلم، تجد قبلها أن مسلماً \_ رحمه الله \_ استفرغ جهده في ذكر طرق

حديث عائشة هذا الذي نقرأه الآن، حديث مسروق عن عائشة، ذكره من طرق كثيرة جداً، ثم أردفه على

طريقته في ذكر الشواهد بحديث أبي ذر، على أصل المسألة، وأن عائشة بنفيها لم تنفرد، بنفيها رؤية النبي \_

صلى الله عليه وسلم \_ لم تنفرد وإنما معها أبو ذر. وكما أن عائشة سألت، أبو ذر سأل، فأورد هذا

الحديث منه طرقه الثلاث على أنه من قبيل الشواهد، لا من قبيل الأصول، هكذا اعتذروا له.

فابنوا على هذا أن رواية أو نص الرواية التي في مسلم: ((نور أنى أراه)) شاذة منكراً، وقد أنكرها

من سمعتم من الأئمة، كأحمد، وابن خزيمة. والصحيح قوله في الجواب: ((رأيت نوراً)) وهذا هو الصحيح

الصواب. لماذا الصحيح الصواب؟

(1) ابن حبان في صحيحه ج 1 / ص 255 حديث رقم: 58.

(2) مسلم في صحيحه ج 1 / ص 161 حديث رقم: 178.

لأن الله سبحانه وتعالى، وتقدس وتعالى احتجب عن الخلق بحجاب من نور، هذا الذي يجب أن يكون في اعتقادنا. الله جل وعلا بينه وبين الخلق كلهم حجاب من نور.

في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري \_ رضي الله عنه \_ قال: **((قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات ما يسرني أن لي بها الدنيا))** شوف الذين يقدرون العلم. أبي موسى يقول له خيرت بين الدنيا كلها، الدنيا كلها وهذه الخمس كلمات ما اخترت الدنيا لاخترت الخمس كلمات، علم عظيم فيها. **((إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام))** إذا كيف ينام الحي القيوم \_ سبحانه وتعالى \_ . **((إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يرفع القسط ويخفضه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه))** أي الأنوار المنبعثة من وجهه \_ سبحانه وتعالى \_ **((ما انتهى إليه بصره من خلقه))** (1).

لا يمكن أن يُرفع، لو رفع هذا الحجاب لا حترق العالم هذا كله، كل العالم يحترق في لحظة، ما يتحمل هذا العالم كله انبعث هذه السبحات الهائلة والأنوار العظيمة من وجه الجبار \_ جل وعلا. \_ فالحجاب هذا سيبقى، لا يُرفع، وهذا هو الذي رآه النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ في جوابه لأبي ذر لما قال: **((رأيت نوراً))** الذي احتجب به الله عنا جميعاً. فهمتوا وللا لا؟

وهذا الحجاب لا يُرفع إلا يوم القيامة، كما دل عليه حديث صهيب بن سنان \_ رضي الله عنه \_ في مسلم، في تفسير قول الله تعالى: **﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾** (2) قال سمعت النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ يقول: **((إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار))** انتهى الأمر وقضيت الأمور، وأخذ الناس مواضعهم ومواقعهم. **((نادى منادٍ من قبل العرش يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه قالوا وماذا ألم يبعض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويؤجرنا من النار قال فيرفع الحجاب))** هذه لحظة رفعه، **((فينظرون إلى وجه الله فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجهه وتلك الزيادة وتلا النبي صلى الله عليه وسلم ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾**.

فرواية: **((رأيت نوراً))** هي الموافقة المتسقة مع حديث أبي موسى الأشعري، وحديث صهيب بن سنان، ومنطوقات الأدلة الأخرى؛ ولذلك هي التي يجب أن تُعتمد في حديث أبي ذر، ورواية: **((نور أنى أراه))** التي انفرد بها يزيد بن إبراهيم شاذة لا يُعول عليها.

(1) مسلم في صحيحه ج 1 / ص 162 حديث رقم: 179.

(2) ابن حنبل في مسنده ج 4 / ص 333 حديث رقم: 18961.

بقي الكلام هل هناك من مخالف من الصحابة على أصل المسألة؟ فالجواب نعم.

جاء عن ابن عباس \_ رضي الله عنه \_ روايات قد يفهم منها أن النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_

رأى ربه ليلة المعراج. والذي ثبت عن ابن عباس في أصل المسألة من الروايات، يمكن أن ينزله على ثلاثة

أنواع:

النوع الأول: روايات مُطلقة، من أشهرها رواية الحكم بن أبان عن عكرمة، عن ابن عباس قال:

**((رأى محمد ربه))** ورواية التي عند النسائي في "السنن الكبرى" راجعها قال: **((أعجبكم))** ابن عباس

يقول: **((أعجبكم أين يختص الله إبراهيم بالخلعة وموسى بالتكليم ومحمد بالرؤية))** عليهم جميعاً

الصلاة والسلام. هذه روايات مطلقة تثبت رؤية، لكن قد تكون رؤية بصر، رؤية قلب، تحتاج تفسير .

والنوع الثاني، والنوع الثاني ماذا؟ أو الثالث روايات مقيدة من ابن عباس نفسه.. لا النوع الثاني

روايات مقيدة للرؤية القلبية، وهي روايات كثيرة جداً عن ابن عباس. يقول \_ رضي الله عنه \_: "رأى محمد

ربه بقلبه" حتى إذا **(54:38)** فهي رؤية قلبية، وسأفسر لك ما معنى الرؤية القلبية بعد قليل. تحمل وجهين

من التفسير.

والنوع الثالث من الروايات وهي ثابتة عن ابن عباس موافقة للجماعة، موافقة لعائشة، في نفي الرؤية

البصرية، هكذا نفياً وإثبات الرؤية القلبية. سئل ابن عباس كما في رواية عكرمة وغيرها: **((هل رأى محمد**

**ربه؟ قال أما بعينه فلا وأما في قلبه فنعمة))** هذه عند مَرْدَوَيْهِ، عند البيهقي في "الشعب" وغيرهما.

قال العلماء فينبغي حمل المطلق على المقيد. هكذا يجب أن تتصرف مع كلام الأئمة . اللفظ العام

المطلق، يفسره دائماً ويخصه اللفظ الخاص. وإذا كان ابن عباس قال الرؤية رأى محمداً ربه عليه الصلاة

والسلام و**((ما يعجبكم أن الله يخص محمداً بالرؤية))** مثلاً، هذا يُحمل على رواية أو روايتي أو النوعين

الثانين أنها رؤية قلبية؛ لأنه نفى كما في رواية ابن مردويه وغيره الرؤية العينية بالبصر، وأثبت الرؤية القلبية.

فبالتالي لا يكون في كلام ابن عباس ما يصادم مصادمة واضحة ما ثبت عن أبي ذر، وعائشة، وابن

مسعود، وغيرهم من كبار الصحابة في نفي أن يكون النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ رأى ربه بعين رأسه،

ويُحمل كلامه على الرؤية القلبية. وما معنى الرؤية القلبية؟

فسروها بتفسيرين:

● التفسير الأول: أن علمك بالشيء، قد يصل من اليقين مواصل ومبالغ، لو رأيته بعينك ما

زادك فيه يقيناً. أن اليقين قد يوقن مؤمن بأمر، لو فُرض أنه رآه، لربما ما زاده ذلك به يقيناً.

فعلم النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ بربه، وإيمانه به، بلغ مبالغ عظيمة جداً كأنه رآه فعلاً؛ لأن الرؤية هي أعظم. إذا رأيت شيئاً بعينك ما تشك فيه ولا لحظة، إلا إذا كنت مجنون. إذا كنت مجنون لك حكم آخر.

● والتفسير الثاني وهو القرب والأصوب، والذي يحمل عليه كلام أنه يقصد به الرؤية المنامية، الرؤية المنامية وهذا ما سيقودنا للمسألة الثانية التي قلت لكم أنه سنبحثها، وهل يُرى الله في المنام أم لا يرى؟

فثبت للنبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ رؤية الله جل وعلا مناماً، وبالتالي يلغى أصل المسألة، وهي رؤية المعراج ليلة المعراج.

والرؤية المنامية ثبت فيها أحاديث صحيحة عن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ من أشهرها الحديث المشهور المعروف: ((رأيت ربي في أحسن صورة)) أو كما قال \_ عليه الصلاة والسلام \_ ((فوضع يده بين كتفي فوجدت برد أنامله فقال يا محمد أتعلم فيما يختصم المملأ الأعلى))<sup>(1)</sup> الحديث، وله روايات وله طرق كثيرة جداً.

فيكون كلام ابن عباس بالفعل موافق على أصل المسألة في أن الله النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ لم ير الله بعيني رأسه ليلة المعراج، ويثبت الرؤية القلبية التي لا يخالف فيها أحد. سواء فُسرت بالعلم اليقيني، أو فسرت بالرؤية المنامية، لا إشكال في ذلك وإن كان تفسيره بالرؤية المنامية هو الأقرب والأصوب إن شاء الله تعالى.

وبالتالي نقل شيخ الإسلام ابن تيمية بعد زوال هذا الخلاف الإجماع \_ حتى نحسم المسألة \_ على أن الرؤية لله لم تقع لبشر قط، لا النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره. فيجب أن تنحسم المسألة، ولا يحدث فيها خلاف على التفصيل الذي سمعتم، والعلم عند الله سبحانه وتعالى.

**(مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ)**

عرفنا ما يتعلق بذلك.

**(وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ)** كل روايات حديث عائشة في الصحيحين في هذا الموضوع بالضمير

(مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ) جميع الروايات بالضمير، ما فيه تنصيص على اسم معين، وبالتالي على من يعود الضمير في قوله: **(أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ)** ؟ احتمالان لا ثالث لهما: إما أن يعود على النبي \_ صلى

(1) الطبراني في معجمه الكبير ج 20 / ص 142 حديث رقم: 290.

الله عليه وسلم \_ لأن كل السياق والحديث عنه. فيكون كمعنى كلامها لمسروق (مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّه) أي النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب من دون الله فقد كذب، والله يقول لا يعلم الغيب إلا الله .

ويحتمل كاحتمال علمي أن يعود الضمير إلى كل من يزعم ذلك، أي من حدثك من الناس (أَنَّه) أي هذا المحدث لك أنه يعلم الغيب فهو كاذب قطعاً؛ لأن الله يقول: (لَا يَعْلَمُ الْغَيْبُ إِلَّا اللَّهُ) . والثاني: عود الضمير على المعنى الثاني مرجح عند عدد كبير من العلماء. ووجه الترجيح أن النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ نعم هو لا يعلم الغيب، لكن يعلمه إذا علمه الله. وللا لا؟ وهذا مما اختص به الأنبياء عن البشر، أنهم قد يعلمون بعض الغيب، وربما كثير من الغيب عن طريق الوحي عن الله، فحمل الضمير على من يفترى الكذب من الناس، ويدعي أنه يعلم الغيب، أقوى وأفضل وأحسن؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد يعلم بعض الغيب إذا علمه الله سبحانه وتعالى. ما أدري الكلام كأنه ما هو مقبول، أو ما هو مفهوم.

الضمير إما أن يحمل على النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ باعتبار سياق الكلام كله عليه، والمعنى صحيح أن الأنبياء والرسل لا يعلمون الغيب إلا ما علمهم الله، لا بد فيه استثناء. لكن سياق الخطاب فيه تعميم أنه منع علم الغيب عن.. تماماً، فحمل الضمير على غير الأنبياء وغير النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ أولى. أي من حدثك يا مسروق من الخلق أنه عنده قدرة أن يعلم بها الغيب بتنجيم، بكهانة، بعرفة، بأبراج... إلخ، فهو كاذب على كل حال؛ لأن الله قال: (لَا يَعْلَمُ الْغَيْبُ إِلَّا اللَّهُ) ويدخل في هذا الأنبياء إلا أن الأنبياء خصوا بأنهم عرفوا بعض المغيبات؛ بل مقتضى النبوة ذلك. ما معنى النبوة؟ سؤال: ما معنى النبوة؟ أن يأتي نبي يخبرك بأشياء تعرفها؟ لا معنى لهذه النبوة. يأتيك الأنبياء يعلمك كيف تزرع، وكيف تقطع الخشب، وكيف تسوي بسكوت، ما كلام هذا. يأتيك الأنبياء بما لا تعلم وما لا يمكن أن تعلم، علم غيبي،

وهذا مقتضى النبوة، يحدثون عن الله سبحانه وتعالى، وعن أسمائه، وعن صفاته، وعن الملائكة، وعن الملكوت الأعلى، وعن بداية الخلق، وعن نهاية الخلق، وعن الساعة، وقيامها وأشراتها، وعن الجنة، وعن النار، كلها علوم غيبية عرفها الأنبياء \_ عليهم الصلاة والسلام \_ عن طريق الوحي فخبرونا بها. فهم يعلمون من الغيب ما علمهم الله؛ لأن هذا مقتضى النبوة، مقتضى النبوة هو ذلك؛ لأن الأنبياء لا يمكن أن يأتوا الناس بما يعلمون؛ لأنه لا يكون لحديثهم معنى، ولا لرسالتهم معنى، ولا لنبوتهم معنى في قوله: (مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّه يَعْلَمُ الْغَيْبُ) ربما يكون على غير الأنبياء أوفق وأقرب والله أعلم.

**﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**

**الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(1)</sup>.**

**﴿لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾** هكذا هل هو نص آية بهذا التركيب؟ إذن في هذا يؤسس لمسألة، هذا يؤسس لمسألة. اتفق الأئمة والعلماء على عدم جواز رواية القرآن بالمعنى، اتفق العلماء على عدم جواز رواية القرآن بالمعنى، لكنهم جوزوا أن يذكر خبر هو من منطوق القرآن ومدلوله، ولو نسب إلى الله سبحانه وتعالى. فهمتوا وللا لا؟

لما يأتي مثلاً حسان بن ثابت ينشد أبياته المشهورة، بين يدي رسل الله وهم داخلين مكة في الفتح العظيم:

هم الأنصار عرضتها للقاء

وقال الله قد أرسلت جندا

هل هذه آية قرآنية؟

.....

وقال الله قد أرسلت جنداً

في أي سورة هذه؟

يقول الحق ليس به خفاء

وقال الله قد أرسلت عبداً

.....

عدمنا خيلنا.....

ويذكر القصيدة، والنبي يسمع \_ عليه الصلاة والسلام \_ هذا كلام صحيح. العبد المرسل هو النبي

ويقول الحق وليس به خفاء، والأنصار هم عدتهم للقاء

وقال الله.....

على أن "قال" هنا على أن قال هنا ليس من مقول القول المنطوق المنصوص .

"قال" قد تأتي بمعنى الفعل حتى، فقال بيده هكذا، تطلق على الفعل لا حتى على القول.

وفي أشعار العرب ما يدل على ذلك: فقالت الريح بنا هكذا

الريح ما تتكلم، أي فعلت بنا هكذا. فعندما يقول: "قال الله" أي من أمر الله، ومن علم الله المنزل

علينا، ومن أمر الله، ومن تدبيره، ومن حكمه أنه أرسل هذا الرسول يقول الحق، وأنه اختار هؤلاء الأنصار

لنصرة رسول الله، عدتهم للقاء وأنه لا يعلم الغيب إلا هو سبحانه وتعالى، إلى نصوص أخرى كثيرة.

فهذا **﴿وَهُوَ يَقُولُ﴾** لا تستشهد بآية هنا؛ وإنما تذكر حكماً علمياً مستنداً إلى القرآن.

(1) النمل: 65.

فيجوز لك ذلك إذا لم تكن تستحضر منطوق الآية. فهمتوا وللا لا؟ كأن تقول مثلاً: والله سبحانه يقول أنه هو الأحد الذي يجب أن يعبد، ويجب أن يوحد. كلام صحيح، ولا يستطيع أحد أن يخطئك فيه. ويعلم المتكلم والسامع أنك لا تتلو آية، ولا تنسبها قرآناً، ولا تصلي بها في الصلاة، ما تأتي في الصلاة وتقول الله أكبر وقال الله أرسلت جنداً، ما يصلح. والله أعلم، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وصحبه أجمعين.



## الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فوقنا على (بَابِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ).

### بَابِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى. والصلاة والسلام على نبينا وحبينا وقائدنا وقدوتنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام أبو عبد الله البخاري \_ رحمه الله تعالى \_ : (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ حَدَّثَنَا شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ كُنَّا نُصَلِّي خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَقُولُ السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ وَلَكِنْ قُولُوا التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ).

يقول الإمام البخاري \_ رحمه الله \_ : (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ).

هذا الباب معقود لبيان معنى هذين الاسمين، الجليلين، العظيمين، الشريفين، من أسماء ربنا جل وعلا وهما: السلام، والمؤمن.

وهذان الاسمان وردا في القرآن العظيم في هذا الموضع الواحد من آخر سورة الحشر قال الله تعالى:

(1) ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾

الآية. وبين هذين الاسمين تقارب في المعنى، ولذلك يعني ركبا في الآية معاً، واقتصر البخاري عليهما، وإن كان الحديث الذي أورده يخص اسم السلام. ومعنى المؤمن لا يفترق كثيراً عن معنى السلام كما سنبين. والمنقول عن أئمة العلم في معنى اسم الله السلام قولان:

● القول الأول: أن السلام أي السالم من كل عيب ونقص \_ جل وعلا \_ . فالله سبحانه

وتعالى لا يطرقة نقص، ولا يتصل به عيب \_ جل وعلا \_ . قال الرَّجَّاجُ: "السلام ذو

السلامة من الآفات، والنقائص، والفناء، والموت، لا يلحقه شيء من ذلك".

● وقال ابن كثير: "السلام أي السالم من كل آفة، وعيب، ونقص سبحانه وتعالى.

ولذلك ينزه الله في القرآن نفسه عن النقائص والعيوب، كثيراً يرد في القرآن. مثال ذلك: نزه نفسه

عن السنّة والنوم. السنة هي النعاس، والنوم هو يعني النوم؛ لأن فيهما عزوب العلم، وفيهما غفلة، وفيهما

راحة، وهذه تنافي كمال الحياة، والقيومية، والصمدية، التي هي صفات الرب \_ جل وعلا \_ قال الله تعالى:  
﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾<sup>(1)</sup>.

نزّه نفسه عن الصاحبة، والولد، والشريك، والولي. قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ  
يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾<sup>(2)</sup> وآيات كثيرة  
نفى عنه الصاحبة.

ومن جميل وطيب ثناء مؤمني الجن على ربنا تعالى، ما ذكره القرآن عنهم في سورة الجن، قال الله  
تعالى عنهم: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾<sup>(3)</sup> هذا تنزيه عن الصاحبة والولد؛ لأن  
الصاحبة الزوجة والولد، هذه فيها معنى الحاجة، أن الإنسان يحتاج إلى زوجة، ويحتاج إلى الولد، ونحو ذلك.  
والله سبحانه وتعالى هو الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد.

نزّه نفسه عن العجز، لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى؛ لأن العجز فيه  
ضعف، وفيه مسكنة، وفيه ذلة. لا تناسب من وصفه القوة، والقدرة، وتمام الإرادة. وآيات كثيرة في هذا  
المعنى، لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى.

نزّه نفسه عن الإعياء، والتعب، والنصب، كما في آية الكرسي قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَؤُودُهُ  
حِفْظُهُمَا﴾<sup>(4)</sup> أي لا يثقله، ولا يتعبه، ولا يُكْرِثُهُ أَنْ يَحْفَظَ وَيَسْتَقِلَّ بِحِفْظِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ. وفي  
آية "ق" في الرد على اليهود، كان اليهود يزعمون قبحهم الله، أن الله \_ جل وعلا \_ فرغ من خلق الخلق  
يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، فاتخذ السبت راحة ونحو ذلك، وسجلوا ذلك فيما كتبتهم أيديهم زوراً في  
التوراة، ونسبوه إلى الله، تعالى الله عن ذلك. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا  
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾<sup>(5)</sup> أي تعب، وإعياء.

هذه كلها يعني معاني وغيرها، كثير تدل على أن الله سبحانه وتعالى هو السلام، أي السالم من كل  
آفة، ونقص، وعيب، تعالى وتقدس.

(1) البقرة: 255.

(2) الإسراء: 111.

(3) الجن: 3.

(4) البقرة: 255.

(5) ق: 38.

والمعنى الثاني من معاني **(السَّلَامُ)** أي أن الله \_ جل وعلا \_ هو مانح السلام، ولا سلام للعالم، ولا سلام للخلق من الآفات، والهلكات، والأمراض، ولا سلامة لأحد يوم القيامة من العذاب، والنقمة، والجحيم إلا من سلمه الله. فهو المسلم سبحانه وتعالى لمن شاء من خلقه، من يستحق ذلك يسلمه الله. ولولا تسليم الله لنا، لأصابتنا الهموم والغموم والآفات من كل وجه، وتنكدت الحياة. ولولا تسلمي الله لعباده الصالحين يوم القيامة من الفزع الأكبر، والهم الأعظم، والعذاب، لما نجى أحد. ولذلك ثبت في حديث الشفاعة، أن دعاء الأنبياء \_ عليهم الصلاة والسلام \_ على رأس الجسر في الموقف الأعظم، لما يمر الخلق على الجسر، هذا الذي هو دحض، مزلة، فناجن، مكدوش، ومكردس على وجهه في النار. رأى الرسل كلمة واحدة: "اللهم سلم اللهم سلم".

هو مانح السلام، فمن رام سلاماً من شر، أو مرض، أو هلكة، أو عدو من غير الله سبحانه وتعالى، فقد رام محالاً، وطلب يعني ضلالاً. ومن رأى أنه يوم القيامة ينجو ويسلم.

ولذلك الفرق بين المعنى الأول والمعنى الثاني، أن المعنى الأول وصف ذاتي، يخص الله في ذاته، أن الله هو السالم من كل نقص وعيب.

والمعنى الثاني معنى فعلي أثري، وهو ما نحتاجه نحن الخلق، وهو أن يمنحنا ربنا السلام، والنجاة من الهموم والغموم، والسلامة يوم القيامة من الفزع الأكبر، والعذاب، والنقمة. فلا سلامة لمن لم يسلمه الله. ولذلك وهذا من جميل الموافقات الواردة في كلام رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ أنه ثبت في "السنن"، أن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ كان يقول في دبر كل صلاة: **((اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام))** <sup>(1)</sup> هذا ذكر ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم، وكان يقوله في الأذكار التي تلي الصلاة، في دبر الصلاة. فجمع بين المعنيين:

**((اللهم أنت السلام))** أي أنت السلام في ذاتك، فلا يلحقك \_ جل وعلا \_ نقص، ولا عيب بوجه من الوجوه، لتمام كماله سبحانه وتعالى.

**((ومنك السلام))** أي منك يمنح السلام، ويطلب السلام، والأمن، والخير في الدنيا وفي الآخرة. فجمع النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ في هذا الذكر العظيم الذي يقوله عليه الصلاة والسلام في أدبار الصلاة، جميع بين المعنيين في وصف الله بالسلام:

المعنى الذاتي: **((اللهم أنت السلام))** أي في ذاتك.

(1) ابن حبان في صحيحه ج 5 / ص 343 حديث رقم: 2002.

والمعنى الطلبي الفعلي الذي نحتاجه، ومنك نستقبل السلام، ونطلب السلام، والأمن. وهذا حقيقة يعني من أحد معارض (11:13) منة الله على الخلق في القرآن قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ مَنْ ظَلَمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾<sup>(1)</sup> إذا يعني الإنسان وقع في مشكلة من ينجيه؟ لمن يسلم؟؟ لمن يسلم، للسلام سبحانه وتعالى رب العالمين جل وعلا.

فلا سلام للخلق، ولا للعالم، إلا بتسليم الله سبحانه وتعالى. هذان هما المعنيان لاسم الله سبحانه وتعالى (السَّلَام).

أما (المُؤْمِنُ) فله ثلاثة معاني:

المعنى الأول: المؤمن قال الضحاك قال: "المصدق". وقال ابن زيد: "الموقن". وهذه المعاني صحيحة، أي أن اليقين هو أعلى درجات العلم. أليس كذلك؟ فالله سبحانه وتعالى أعلم بنفسه، وصفاته، وقدره، وأيضاً أعلم بخلقه من غيره سبحانه. لا أحد أعلم بالله منه بنفسه، ولا أحد أعلم بالخلق من الله به. فعنده تمام العلم، وغاية اليقين بنفسه وذاته، وما هو عليه من جميل الصفات، وعظيم القدر \_ جل وعلا \_ الذي لا يستطيع الخلق أن يدركوا كنهه. ثم هو أيضاً العالم بأحوال الخلق على سبيل التفصيل، أعلم بنا منا بأنفسنا ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلِمَ مَا تُؤَسُّوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾<sup>(2)</sup>.

ولذلك كان أحد معاني (المُؤْمِنُ) أي الموقن، العالم بغاية العلم بنفسه وبغيره. ولا يقرب في علمه بذلك شيء.

والمعنى الثاني أي أنه سبحانه وتعالى المصدق لعباده المؤمنين في إيمانهم. ووجه هذا التصديق ما يقابلهم به جل وعلا من الثواب، والأجر. فإذا صدق العبد مع ربه في إيمانه، وعمله، صدقه الله بعظيم الثواب، ورفيع المقام. هذا أحد المعاني ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾<sup>(3)</sup> أحد معاني (المُؤْمِنُ).

ولذلك يثق العبد المؤمن بوعده الرب المؤمن \_ سبحانه وتعالى \_ أن الله عز وجل لا يضيعك من أجرك شيئاً، ولا يفوتك، ولا يخسرك من عملك شيئاً.

الخلل سيأتينا من أنفسنا، إذا قصرنا في إيماننا برننا، وفي عملنا، وارتكبنا بعض ما نهانا الله عنه. أما من الله قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾<sup>(4)</sup>.

(1) الأنعام: 63.

(2) ق: 16.

(3) آل عمران: 152.

(4) طه: 112..

قال أهل التفسير الطبري، ونقله ابن عباس: "أي لا يخاف أن يعاقب بجريرة غيره. ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾<sup>(1)</sup> ولا تخاف أن يضيع الله من عملك شيء، يحصي مثاقيل الذر سبحانه وتعالى. فمن هذا الباب يطمئن المؤمن. بقي أنه نؤمن بصدق، فإذا صدقنا الله، صدقنا الله سبحانه وتعالى. في سنن النسائي، ومستدرك الحاكم، من حديث شداد بن الهاد \_ رضي الله عنه \_ قال: ذكر قصة خرج النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة، فمر على أعرابي يرعى غنماً، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم للإسلام فأسلم معه، ومضى مع النبي صلى الله عليه وسلم، ترك غنمه ومضى مجاهداً مع النبي صلى الله عليه وسلم، فشهدوا يعني غزوة وغنموا فيها بعض الغنائم، فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين من معه، وقسم لذلك الأعرابي نصيبه. فجاءوا بذلك القسم من الغنيمة له. **فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا نصيبك، أنت آمنت وشهدت معنا الغزوة، لك حق في هذا المغنم. فأخذه وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم. قال ما هذا؟ قال هذا نصيبك من الغنيمة، حقا. قال: ما على هذا تبعتك**<sup>(2)</sup>.

كان عندي قطيع تركته، وأجي هنا تعطيني جفرتين وتيسين.. ما على هذا تبعتك؛ إنما تبعتك لأصاد بسهم ها هنا، وأشار إلى ما بين ترقوتيه، ويخرج من ها هنا فأدخل الجنة. أنت أخبرتني قبل ساعتين أن هناك جنة، وأنا صدقتك، آمنت. قال له النبي صلى الله عليه وسلم: **((إن تصدق الله يصدقك))**. أنت الآن تتعامل مع الرب المؤمن، إن كنت مؤمناً بحق، وصادق في هذا الطلب، يصدقك الله ويوافيك بما تريد. ثم مضوا فشهدوا أيضاً يعني غزواً آخر أو معركة أخرى، فأصيب ذلك الأعرابي، فجيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا السهم في موضع إصبغه الذي أشار به إليه. قال: أهو هو؟ قالوا: نعم هو هو. قال: صدق الله فصدقه الله، **((من سره أن ينظر إلى رجل دخل الجنة ولم يصل ركعة فلينظر))**<sup>(3)</sup>.

ساعتين كلهم.. التوفيق بيد الله سبحانه وتعالى. فالله هو المؤمن، المصدق لعباده. فبقدر ما تصدق مع الله سبحانه وتعالى، يصدقك الله، ويصدقك وعده سبحانه وتعالى. فالخلل منا، لا تخشى من الله سبحانه وتعالى ظلماً، ولا هضماً، ولا شيء من هذا القبيل.

(1) المدثر: 38.

(2) سنن الترمذي، باب: "فضل طلب العلم" رقم: 2570.

(3) صحيح مسلم: ج1/ص44 ح14.

المعنى الثالث: وهو ربما يتداخل مع معنى السلام الثاني، أي أن المؤمن مُفْعَلٌ، من الأَمْن، فهو مانح الأَمْن سبحانه وتعالى. بحق الفرد، النفس البشرية فيها قلق، وفيها شرود، وتطرقها عقارب الهموم، وأفاعي الغموم، ويعني الحياة البشرية ربما تنقلب إلى أشد درجات التعاسة، بسبب ما يطرق النفوس من أمراض، وغموم، وهموم، وقلق، لا تغني عنه ولا يرفعه ترف الحياة، ولا كثرة المال، ولا التقلب في أعطاف النعيم. ولذلك أكثر ما يطرق هذا القلق الأثرياء ترى.

لا تظن هؤلاء الأثرياء الذين يتقلبون في القصور أنهم يعني.. فيهم من القلق، وفيهم من الهموم والغموم، ما الله به عليم.

لو تقرأون بعض الكتب التي كتبت عن حياة بعض المشاهير، ينامون بالحبوب ويستيقظون بالحبوب. هذه حياة هذه؟ ما ينام حتى يُعطى إبرة ولا.. قلق مريض هذا، وهو من المشاهير الأثرياء الذي كذا وكذا؛ لأن القلق إذا دب من داخل النفس، ما حيلته؟ ما علاجه؟

مهما وسعت في الدار، وجملت في اللباس، وطيبت في الطعام، ربما يزيد القلق والمرض. وسبب ذلك ما في هذه النفوس من الشر، والظلم، والشرك بالله، والغفلة عن ذكر الله. قال الله تعالى: ﴿سَلِّقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾<sup>(1)</sup> بماذا؟ ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾<sup>(2)</sup> والحياة الآخرة أتعس ﴿وَمَا وَاهُمُ النَّارُ﴾<sup>(3)</sup> نعوذ بالله ﴿وَبئسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾<sup>(4)</sup>.

فلا أمن للنفوس، والقلوب، إلا بالله سبحانه وتعالى، وذكره، والأنس به، والإيمان به جل وعلا، واستمطار عفوه وعافيته. قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(5)</sup> ألا استفتاحية، حكم قدري مرتبط به أمر شرعي. لا طمأنينة لهذه القلوب إلا بذكر الله سبحانه وتعالى، وطاعته، والأنس به. وإلا فدونك الأمراض، والأحزان، والقلق، والشر، والغم والهم. ينقسون عن أنفسهم بالمنحدرات، ولا بالخمور، حتى ينتحر تحت شاحنة، ولا تحت قطار وخلاص. هذه الحياة الدنيا التي يعني يتقلبون فيها، ويظنون أنهم حققوا فيها مرادهم، ومكاسبهم.

(1) آل عمران: 151.

(2) آل عمران: 151.

(3) آل عمران: 151.

(4) آل عمران: 151.

(5) الرعد: 28.

فالمؤمن هذه النفوس، والمطمئن هذه القلوب هو المؤمن الله \_ جل وعلا \_، ومالك الأمن لها، وباعته فيها، ولو كانت تعيش شغفاً من الحياة، وقلة من الذات، وكما هي يعني عادة المؤمنين في أغلب الأحوال.

إذن يعني يؤثر ذلك عليهم، هو أحد معيّناتهم على اليقين والطمأنينة؛ لأن كثرة المتاع، وكثرة الانشغال، وكثرة صحب الحياة، مزعج مقلق ومتعس، بحيث يظن الناس أنه مفرح ومؤنس. ومن طلب أمناً لنفسه، وسكوناً لقلبه، من غير الرب المؤمن وطاعته، وذكره، فهو إنما كالمستجير من الرمضاء بالنار فعلاً وحقاً. فأحد معاني المؤمن هو هذا: المؤمن لعباده.

والحقيقة هنا عبارة في الفتح في "فتح الباري"، لا يحسن أن تتجاوزها دون أن ننبه عليها. وقد كبر علي كثيراً أن تُكتب في متن الكتاب بوزن هذا الكتاب العظيم "فتح الباري". ولكن أداً لحق العلم، وحق الله قبل كل شيء، وجب التنبيه عليها. ولو كان قد يعتذر قول الحافظ \_ رحمه الله \_ أنه قالها ناقلاً، على أنه قول من الأقوال، ولكن لقبح الكلمة، ويعني ربما ما يترتب عليها من معنى لا يليق أبداً أن يضاف إلى رب العالمين، يعني استهجنت واستقبحت، وينبغي التنبيه عليها، وهو أنه قال في تفسير السلام والمؤمن، أو أحدهما أنه قيل الذي سلم العباد من ظلمه. هذا ما ينبغي أن يقال هذه لا مدح فيها؛ بل هي إلى الذم ربما أقرب؛ لأنك تقول هذه الكلمة عن رجل صاحب شر، تقول سلمنا من شر فلان. صح وللا؟ هذا ماذا يفهم منها السامع؟ أن فلان ذو شر، ونحن سلمنا بأعجوبة من شره.

هذا مقتضى هذه الكلمة سلمنا من ظلمه، يقتضي أنه ذو ظلم، ونحن سلمنا من هذا الظلم. والله منزّه عن الظلم أصلاً، أصلاً منزّه عنه. لماذا منزّه عنه؟ لأن الظلم له معنيان بحسب مقتضى اللغة، أن نبي عليه مقتضى الشرع.

النوع الأول: أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه. فإيقاع العقوبة على من لا يستحقها ظلم، ينزه الله عنه سبحانه وتعالى. الله لا يضع العقوبة إلا في محلها، لا يعاقب إلا من يستحق العقاب \_ جل وعلا \_ . لا يعاقب من لا يستحق ذلك.

ولذلك التقدير العقلي الذي يطرّقه أو يذكره بعض الكلاميين، وربما ينقل في بعض الشروح. لما نظروا إلى القضية من جانب القدرة عقلاً، قالوا أن الله يقدر أن يدخل الأنبياء النار، ويدخل إبليس الجنة، وفرعون، وهامان. من جهة التقدير العقلي من جهة القدرة ما أحده بمنعه، يفعل ما يشاء. لكن الله منزّه.. هذا الظلم، ينزه الله عنه، ينزه الله عنه \_ سبحانه وتعالى \_ .

لا يضع العقوبة إلا في موضعها، فلا يطرقه وصف الظلم من هذا الباب مطلقاً \_ سبحانه وتعالى \_ . ولذلك أهل النار، والكفار، والمجرمين، إذا دخلوا النار وذاقوا العذاب. ما يقول أنت ظلمتنا؛ إنما يعودون على أنفسهم باللائمة، غلبت علينا شقوتنا، أو كذا، ويطلبون المهلة، يطلبون العودة، ويطلبون أنهم، عرفوا أنهم لقوا ما يستحقون، وجزاء ما فعلوا. ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾<sup>(1)</sup> ماذا سيقولون؟ فالله لا يضع القوة في غير موضعها؛ لأن وضع الشيء في غير موضعه، نوع من الظلم المنزه رب العالمين عنه.

والمعنى الثاني: من معاني الظلم هو التصرف فيما لا يملك. إذا تصرفت فيما لا تملك، أخذت مال غيرك بخداع، بغش، بسرقة، بنهب، بغصب، أو انتهكت عرض غيرك، أو سفكت دم غيرك بغير وجه حق، تعتبر أنت ظالم، من أحد أنواع الظلم، التصرف في ملك الغير. ولا غير هنا كل شيء لله سبحانه وتعالى. فمهما فعل رب العالمين، هو يفعل في ملكه أليس كذلك. ولذلك جاء في الآية قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ﴾<sup>(2)</sup> الآية التي فيها ﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ﴾ ذكروني، لا لا، التي فيها ﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾<sup>(3)</sup> ﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا﴾ هنا يأتي الظلم، ﴿وَلَعَلَّا﴾ أحدهما يعدو على الآخر مثل الملوك في الدنيا، هذا يجارب هذا عشان شبرين من الأرض، وهذا يجارب هذا. وبحسب إذا انتصر هذا، فيه نوع من المدافعة، ونوع من المصاولة، ونوع من العلو والعدوان. لا مالك غير الله سبحانه وتعالى لهذا العالم، لا كفؤ مهما فعل هم يفعل في ملكه.

ولذلك أورد الصحابي الجليل عمران بن حصين والحديث في الصحيحين، أورد سؤالاً من هذا القبيل على التابعي المشهور أبي الأسود الدؤلي، الإمام المشهور، الذي يُنسب إليه وضع علم قواعد النحو، أول من وضع قواعد علم النحو أبو الأسود الدؤلي. اسمه ظالم بن عمرو، وهو ليس ظالم، هو يعني عادل، أريب، لطيف، عالم، لكن اسمه هكذا أبوه سماه ظالم.

فيسأله عمران قال رأيت لو أهلك الله خلقه كلهم أيعجزه ذلك؟ قال لا، لا يعجزه. قال: أليس ظلماً لهم إذا أهلكهم هكذا؟ قال كل شيء ملكه، وكلهم عبيده، يفعل ما يشاء، من يمانع أصلاً، من ينازعه. وأظهر الرجل الانزعاج، فقال له عمران بن حصين إنما أردت أن أختبرك أو كلمة نحوها، أي أختبر عقلك وعلمك. فالله له كل شيء.

(1) آل عمران: 182.

(2) الإسراء: 42.

(3) المؤمنون: 91.

فمهما فعل، فهو يفعل في ملكه. فانتفى إذن معنى الظلم عن الله \_ جل علا \_ من البابين، من المعنيين. فهو لا يضع الشيء إلا في موضعه، فلا يعاقب إلا من استحق العقوبة فعلاً، جزاء ما كسب وفعل \_ سبحانه وتعالى \_ . فالظلم منتف عن هذا الوجه، ولا هو كل ما يفعله إنما يفعله في ملكه. يخلق، ويحيي، ويميت، يغني هذا، ويفقر هذا، يمرض هذا، يطيل عمر هذا، يقصر عمر هذا، هذا تدبيره في ملكه، إذ لا غير يملك معه فيتصور معنى التقابل، الذي ينبني عليه معنى العدوان والعلو والظلم **﴿إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ** **إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ﴾**.<sup>(1)</sup>

فكلمة: "سلم العباد من ظلمه"، ينبغي التعليق عليها؛ لأنها يعني نقول هو المسلم لمن شاء من عباده من عذابه. وكيف يسلمهم؟ بأن يهديهم، يشرح صدورهم، ويعطيهم أسباب السلامة، ما فيه شيء هكذا، لا بد أسباب.

فإذا أراد الله بعبده خيراً، وأراد لعبده الحسنی، وأراد لعبده النجاة من عذابه، يشرح صدره للخير، وللإسلام، وللإيمان، ويوفقه للأعمال الصالحة، فيصدقها عليها وينجيها.

وإذا أراد الله بعبده الأخرى، جعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء، ولا يشرح صدره للخير أعوذ بالله **﴿وَأَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾**<sup>(2)</sup> لأن الله أراد بهم النعمة، والعذاب، والخسار، والله في خلقه التدبير الذي لا نعلمه ولا نعرفه.

فكل معاني الظلم منتفية عن الله \_ سبحانه وتعالى \_ ولذلك لا ينسب إليه منه شيء. والعبارة يعني قد تكون لها معاني، لكن هي مستهجنة معلقة بها.

طيب، قوله في الحديث: **(حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ)** ، هو أحمد بن عبد الله بن يونس التميمي

اليربوعي، بني يربوع بطن من تميم.

وقد ذكرت لكم أن أهل النسب إذا ذكروا نسب رجل، ابتدؤوا بفصيله الأكبر، ثم ذكروا بطنه

الأصغر. فبنو تميم قبيل كبير، يدخل تحته بطون كثيرة، منهم بني يربوع.

فإذا أردت أن تذكر نسباً، تقول أحمد بن عبد الله التميمي، تبدأ بالفصيل الأكبر، هكذا درج أهل

النسب. ثم تذكر إن شئت يعني فصيله الأصغر اليربوعي أو نحو ذلك.

(1) المؤمنون: 91.

(2) الأعراف: 146.

إمام وثقه الجميع، حافظ، توفي سنة مائتين وسبعة وعشرين ( 227). لم يرو عنه مباشرة من الستة إلا البخاري، ومسلم، وأبو داود، والباقون بواسطة.

قوله: **(حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ)** هو ابن معاوية الجعفي، إمام مشهور، مرّ معنا كثيراً.

قوله: **(حَدَّثَنَا مُغِيرَةُ)** هو ابن مِقْسَم بكسر الميم، مِقْسَم الضَّيِّي، نسباً ليس ولاءً.

قال: **(حَدَّثَنَا شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ)** تابعي مخضرم، هو أبو وائل. شقيق بن سلمة الأسدي، من

أنفسهم. إمام مشهور، من أجلاء التابعين، ومن المخضرمين، ومن خواص أصحاب عبد الله بن مسعود.

**(قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ)** هو الصحابي الجليل الفقيه عبد الله بن مسعود \_ رضي الله عنه \_.

قال: **(كُنَّا نُصَلِّي خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَقُولُ السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ)** للاختصار في

الحديث. إذا رجعت لكتاب الصلاة، تجد كانوا يقولون في الصلاة على ما ذكر ابن مسعود من طريق

الأعمش وغيره: ((السلام على الله السلام على جبريل السلام على ميكائيل السلام على فلان والسلام

على فلان)) فمنعهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: **(إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ)**.

لما نقول السلام على الله. السلام طلب الأمن، طلب السلام وللا لا؟ لما أقول: "السلام عليك"،

أطلب لك السلام والأمن. ممن؟ من الله. فلما أقول السلام على الله، أطلب لله السلام ممن؟ لا إله إلا الله،

هو السلام، فلا يُطلب له السلام من غيره؛ لأنه هو السلام في ذاته كما عرفناه ومنه يطلب السلام. فكان

تعليل النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ بمنعهم من قولهم: **(السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ)** أن الله هو السلام، فلا يُطلب

له السلام؛ وإنما يطلب منه السلام سبحانه وتعالى. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّ اللَّهَ هُوَ**

**السَّلَامُ)**.

ففيه معنى التوحيد، وفيه معنى طلب السلام من الله سبحانه وتعالى، وفيه تسمية النبي صلى الله عليه

وسلم لربه جل وعلا بهذا الاسم العظيم الجليل السلام، موافقة لما جاء في القرآن.

**(وَلَكِنْ قُولُوا التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ)** قالوا في تفسير التحيات أي كل تحية يصلح أن يحيى كل ذي شرف

ومنزلة، هي تدخل في هذا الوصف، التحيات لله. كل تحية يصلح أن يحيى بها كل ذي شرف، من ملك،

أو أمير، أو يعني كبير، أو يعني معظم أو كذا، فهي في حق الله أولى أن تُنسب له. التحيات، كل تحية طيبة

في هذا المعنى، نضيفها إلى الله ونحیی الله بها لقوله التحيات لله.

**(وَالصَّلَوَاتُ)** قالوا كل صلاة على شرع الله سواء من شرع الأنبياء السابقين، أو من شريعتنا، سميت

على شرع الله هي لله، أي حقيق أن يصلى لله سبحانه وتعالى. فكل صلاة تُصلى، جدير أن تكون لله

سبحانه وتعالى، ففيها معنى التوحيد أيضاً بمعنى لا صلاة \_ لأن الصلاة فيها معنى السكون، والخضوع، والذلة، والانحناء \_ تليق بغير الله سبحانه وتعالى.

وبعضهم جعل الصلوات هنا على معناها أي الدعوات، أي ندعو الله. كل دعاء يدعى، وكل طلب يُطلب؛ إنما هو لله ومنه سبحانه.

**(وَالطَّيِّبَاتُ)** كل كلم طيب وفعل طيب هو لله، بمعنى أن الله هو الموفق له، والهادي له، وهو الذي

يجبه **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾**.<sup>(1)</sup>

فكل كلم طيب، وعمل صالح، هو لله يجبه الله، ويرضى عنه. وإذا طُلب به وجهه، أثناب عليه أعظم الثواب.

ثم ذكر: **(السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ)** خُص النبي صلى الله عليه وسلم بهذا

التسليم في كل صلاة، لشرفه، ومقامه الرفيع صلى الله عليه وسلم، وهذه تحيته التي يجب أن نحياه بها في صلواتنا كلها عليه الصلاة والسلام. ولذلك لما علمهم الآن السلام عليه، أحدث ذلك سؤالاً عندهم آخر،

كما دلّ عليه حديث كعب بن عُجْرَةَ **((لما علمهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا، قال لا تقولوا السلام على الله، الله هو السلام قولوا التحيات لله السلام عليك أيها النبي))**<sup>(2)</sup>، **((قال له كعب قد**

**علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي))**<sup>(3)</sup> عندنا أمرين في القرآن: **﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ**

**وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾**<sup>(4)</sup> الآن عرفنا في كل صلاة نصليها، يجب أن ندخل فيها تسليماً على النبي: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. فكيف نصلي عليك حتى نطبق الأمرين الذي أمرنا بها ربنا: **﴿صَلُّوا**

**عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا﴾** قال قولوا: (اللهم صلي على محمد وآل محمد) الحديث، الصلاة الإبراهيمية المشهورة.

ولذلك في مذهب الإمام أحمد، وأحد الأقوال في الشافعي وكذا، أدخلوا كلا الأمرين ضمن ألفاظ

السلام، السلام هذا التشهد الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم له، مضافاً إليه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة الإبراهيمية في آخر قعدة أو آخر تشهد في الصلاة، فتطيب الصلاة، وتحسن،

وتجمل، ويصح بعد ذلك ويناسب بعد ذلك أن تدعو بما شئت.

(1) فاطر: 10.

(2) مسلم في صحيحه ج 1 / ص 302 حديث رقم: 402.

(3) صحيح البخاري: ج 5/ص 2338 ح 5996.

(4) الأحزاب: 56.

سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يصلي، أو رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يصلي. فلما قضى صلاته في الأخير قبل السلام، يعني جعل يدعو ربه، دون أن يقدم بين دعائه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه، فقال عليه الصلاة والسلام.. هذا في البخاري، الحديث: **((لقد عجل هذا))** عجل يعني استعجل **((أما إنه لو ذكر ربه أو كلمة نحوها وصلى على نبيه ثم دعا كان حري أن يجاب أو يستجاب له))**.

وهذا منزع الإمام أحمد وغيره في إيجاب، أو إخال هذه التحيات المتضمنة السلام على النبي صلى الله عليه وسلم، مضافاً إليها الصلاة الإبراهيمية كما دلّ عليها حديث كعب بن عُجْرَةَ، ودليل ذلك أن هذا التوجيه أن هذه الصلاة الإبراهيمية كانت تعليم من النبي صلى الله عليه وسلم جواباً لكعب بن عجرة الذي سأله كيف نصلي عليك، تطبيقاً للأمر الإلهي لأنه الآن مأمور بها **﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾**.

ولما كانت الصلاة أشرف مواقف الإنسان، وأشرف أعماله، وأزكى ما يقدمه، والنبي صلى الله عليه وسلم هو أشرف الأنبياء عليه الصلاة والسلام، وأشرف الخلق صلى الله عليه وسلم، وحقه علينا من المقام الرفيع العظيم، كان من المناسبة العظيمة أن يكون تنفيذ أمر الله لقوله: **﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾** داخل الصلاة نافلة أو فريضة، وعلمنا الألفاظ بحديث ابن مسعود هذا، وحديث كعب بن عجرة.

فلا يجوز أن يُهدر ذلك ولا يُهمل، وينبغي يعني إيجاب الصلاة عليه، والسلام عليه داخل كل صلاة.

ثم قال: **(السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ)**. في كتاب الصلاة زيادة رواية الأعمش قال: **((فإنك لو قلت ذلك))** يعني إن قلت السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، **((أصابك كل عبد صالح لله في السماء والأرض))**<sup>(1)</sup>.

يدخل فيها كل ملك من ملائكة الله، وأرواح المؤمنين، والشهداء، والصالحين، والأنبياء السابقين، الذين يسكنون الملكوت الأعلى. وكل عبد لله صالح في الأرض تعرفه أو لا تعرفه. شوف التحية الجليلة العظيمة هذه: **(السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ)** ولا نصيب للفاسقين والفاجرين، فضلاً عن الكافرين والمجرمين والملحدين في هذا التسليم والتجاوب الكوني العظيم باسم السلام هذا.

(1) مسند أحمد: ج1/ص413 ح3920.

(أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) والمسألة لها تفصيل في كتاب الصلاة،

ليست يعني مما نحتاجه الآن، اقرأ ما بعده.

### بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى مَلِكِ النَّاسِ

قال \_ رحمه الله \_ : (بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى مَلِكِ النَّاسِ فِيهِ ابْنُ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهَبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ سَعِيدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ \_ رضي الله عنه \_ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ وَقَالَ شُعَيْبٌ وَالزُّبَيْدِيُّ وَابْنُ مُسَافِرٍ وَإِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ أَبِي سَلَمَةَ).

يقول إمامنا البخاري عليه من الله أعظم الرحمة: (بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى مَلِكِ النَّاسِ) ترجم بلفظ

الآية التي في آخر سورة في القرآن سورة الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ

النَّاسِ﴾<sup>(1)</sup> وفيها وصف الله بالملك.

وقد جاء في القرآن وصف الله باسم الملك في آية سورة الحشر التالية التي تلونها في أول الدرس:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾<sup>(2)</sup> وجاء تسميته بالملك، وهي لغة في الملك في آخر آية في سورة

القمر ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ﴾<sup>(3)</sup>.

وجاء وصفه بالملك. ولكن يقول العلماء إذا جاء كلمة مالك بزيادة الألف، فتقتضي ضرورة

مضافاً. يعني ما يصلح أن تقول مالك هكذا، مالك ماذا؟ لا بد تضيفها إلى شيء. ولم تأت في القرآن إلا

(1) الناس: 1-3.

(2) الحشر: 23.

(3) القمر: 54-55.

هكذا، وهي في موضعين في القرآن: في الفاتحة ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>(1)</sup> على قراءة الكسائي وعاصم، والبقية يقرؤون ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وآية آل عمران المشهورة ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ﴾<sup>(2)</sup> بإجماع القرآن ﴿مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾<sup>(3)</sup>.

فإذا كلمة "مالك" بمقتضى اللغة لا بد لها من مضاف. فاهتموا وللا لا؟ يعني ما يصح أن تقول مثلاً الله هو المالك وتسكت، لا بد تضيفها إلى شيء مملوك ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ، ﴿مَالِكِ الْمُلْكِ﴾ مالك الخلق، مالك السماء والأرض، ونحو ذلك.

وإذا أردت أن تطلق تستخدم كلمة الملك، الله هو الملك؛ لأن فيه معنى الإطلاق؛ لأن فيها معنى الإطلاق. حتى بعضهم لغة لا يجوز أن تقول مثلاً أنا ملك هذه الدار؛ وإنما تقول أنا مالك هذه الدار؛ لأن معنى ملك فيها معنى أبرى وأبلغ من معنى القبض والتصرف، تقتضي أنك موجدتها، وخالقها، ومالكها، وأن ملكها لا يخرج من يدك أبد الأبد. وهذا لا يكون، تملكها فترة تم تطس مع الطاسين وتموت مع الميتين وخلاص.

وملك الله سبحانه وتعالى، يفترق عن ملك المخلوق بأربعة فوارق ذكرها أهل العلم. نحن نملك، أنت تملك شيئاً وهذا يملك شيئاً، وقد يتسمى بعض الخلق باسم الملك، وجاء في القرآن ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ اتُّنُونِي بِهِ﴾<sup>(4)</sup> ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ﴾<sup>(5)</sup> أي ملك تلك الناحية، أو ملك هذا البلد، أو ملك تلك كذا... يفترق ملك الله عن ملك المخلوق من أربعة وجوه عظيمة:

ملك الله سبحانه وتعالى لا أول له. بمعنى لم يكن سبحانه وتعالى معطلاً عن الملك ثم ملك. أي مخلوق تفرضه من الملوك ونحوهم، وإنما ملكوا بعد أن لم يكونوا مالكين؛ لأنهم هم أصلاً ووجدوا بعد أن لم يكونوا موجودين. أليس كذلك؟ فالله سبحانه وتعالى هو الملك، ولا مخلوق حتى. كما كان وهو الخالق وصفاً ولا مخلوق، والرازق وصفاً ولا مرزوق سبحانه وتعالى. صفاته لا بداية لها، لا أول لها، لم يكن قط معطلاً عنها ثم استفادها بعد جل وعلا.

(1) الفاتحة: 4.

(2) آل عمران: 26.

(3) آل عمران: 26.

(4) يوسف: 50.

(5) يوسف: 43.

ملك الله سبحانه وتعالى أبدي سرمدي، لا يطرقه الفناء. وأي مالك تفرضه من ملوك الدنيا هذه، من السابقين واللاحقين، ملكه منتهي يوماً من الأيام وللا لا؟ عشرين سنة، ثلاثين، أربعين، يفنى ينتهي يموت، إما يهلك هو أو يهلك ملكه، أو يهلكان معاً. وكم جرى على الملوك في الدنيا أن يفقد ملكه أمام عينه، ويصبح يعني مفلس من كل شيء، أو يهلك ويترك ﴿مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾<sup>(1)</sup> والله سبحانه وتعالى لا يطرق ملكه ذلك.

وهذا هي النكتة الجميلة في إدخال البخاري هذا الحديث الذي قرأه في هذا الباب. قال لما يفنى الله العالم هذا كله يوم القيامة، يطوي السماوات هذه كلها كما تطوى الورقة، ويقبض الأرض كلها، ويقبضها في كفه مثل الكرة الصغيرة، كل هذا الذي تشوفه الكون هذا، ثم يقول: **(أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ)** لا أدري على ماذا يغتر الإنسان؟! بمعنى إشارة إلى ملك الله الباقي سرمدي الأبدى.

يذكر الذهبي، يعني شوف الإنسان كيف يجهل ويغفل. لما قامت دولة بني العباس على أنقاض دولة بني أمية، بعد أحداث طويلة معروفة في التاريخ، وملك بنو العباس، وتربعوا على أسرة الملك، وخضع لهم الخلق، وبايعوا أول خلفائهم أبو العباس السفاح. خطب عمه السفاح وهو داوود بن علي أول خطبة، تعتبر البيان رقم واحد مثلما يقولون اليوم. ماذا قال؟ قال: "إن هذا الملك كان فينا، فغضبه منا بنو أمية". كان فينا يعني حسب النبي صلى الله عليه وسلم، ربما من الملوك ولا ماني عارف كيف. ثم عاد إلينا وسيبقى فينا حتى نسلمه لعيسى بن مريم. يعني يقعد إلى قيام الساعة. وين داوود بن علي؟ وين بني العباس؟ أتى على الكل أمر لا مرد له حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا

هذا جهل عظيم، وأول ضحاياه هو نفسه داوود بن علي. اختلف مع أبي العباس السفاح، أول واحد صفاه هو، هيا روح. أول واحد من ضحايا بني العباس هو نفسه داوود بن علي اقرؤوا قصته، سجنه ثم صفاه في ليل أظلم.

يقعد إلى يوم عيسى بن مريم. بأي عقل؟ بأي منطق؟ بأي.. الناس سكرى، والجهل والغفلة التي تنتاب الإنسان يعني باستخفاف الشيطان له.

(1) الأنعام: 94.

فملك الله هو الباقي. (أَيَّنْ مُلُوكُ الْأَرْضِ) ينادي ﴿لَمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾؟ في آية غافر، فيجيب نفسه بنفسه، لا أحد، الخلق كلهم هلكت ﴿لِلَّهِ الْوَالِدِ الْقَهَّارِ﴾<sup>(1)</sup> سبحانه وتعالى. هذا هو الملك المهيب الذي يعطى الخشية الحقيقية، والاحترام اللائق به، الملك لرب العالمين جل وعلا.

الفارق الثالث: ملك الله سبحانه وتعالى عام لا يخرج عنه شيء، يملك كل شيء سبحانه وتعالى. وأي ملك تفرضه في هذه الدنيا؛ إنما يملك عرضاً من الدنيا ويفوته أشياء. وما يفوته أكثر مما في يده. أليس كذلك؟ ماذا سيملك؟ افترض من السابقين، من اللاحقين، ماذا سيملك؟ قطعة من الأرض وشوية يعني هذا وخلاص. وما يفقده وما لا يملكه أكثر بكثير مما يملكه. أما الله فهو مالك الملك كله سبحانه وتعالى. لا يعزب عن ملكه شيء. كل من في السماوات والأرض في قبضته، وتحت ملكه، وتصرفه، وتدبيره، له ميراث السماوات والأرض، وله كنوز السماوات والأرض سبحانه وتعالى، وله ملك السماوات والأرض، عام، شامل، ملك مهيب، عظيم ملك رب العالمين جل وعلا.

ولذلك جاء النهي العظيم في شريعتنا بأن يتسمى أحد من الملوك، بما يفيد معنى الإطلاق، كملك الملوك مثلاً، أو سلطان السلاطين، أو قاهر السلاطين، أو عبارات هذه، أو شاهن شاه. يقول النبي صلى الله عليه وسلم في مسند أحمد وغيره: ((إِنْ أَخْنَعَ اسْمَ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكَ الْمُلُوكِ أَوْ مَالِكَ الْأَمْلَاكِ لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى))<sup>(2)</sup> أقبح اسم عند الله، ومما يستدر على هذا الإنسان أعظم غضب من الله، أن يسمي نفسه ملك الملوك؛ لأن فيه معنى الإطلاق.

يذكر ابن كثير في "التاريخ"، في أحد ملوك الدولة البويهية، دولة حكمت فترة من الفترات في بلاد خُرَّسان بعض أطراف العراق اسمها الدولة البويهية، بنو بويه، في القرن الثالث تقريباً الهجري، واقتطعوا جزءاً من المملكة الإسلامية من بني العباس. وكان من أعظم ملوكهم المسمى بعضد الدولة فَنَّاخَسِرُو الَّذِي كَانَ يمدحه المتنبّي في قصائده كثيراً بنا له قصر عظيم وهائل على نهر دجلة، وأنفق عليه من الأموال، ووضع فيه من أنواع الحلى والأثاث والتمارق والحدائق، ثم حشاه بالخول، والخدم، والجواري، يعني ما لا يعلمه إلا الله. ثم أقام حفلة، تسمى حفلة افتتاح لهذا المشروع الوطني العظيم.

وجاء الشعراء كالعادة يمدحون هذا الإنجاز الهائل الكبير. فبينما هو جالس في حديقة هذا القصر العظيم \_ يذكر ذلك ابن كثير \_ وفي يده الكأس يشرب الخمر طبعاً. فقال يقول هو، يعني لا يطيب أنسنا

(1) غافر: 16.

(2) مسلم في صحيحه ج 3 / ص 1688 حديث رقم: 2143.

هذه الليلة إلا إذا نزل مطر، يعني تمنى لو.. يقول ابن كثير فما أنهى كلمته حتى نزل المطر. شوف الاستدراج الآن من رب العالمين... نزل لنا المطر، فجرى على لسانه أبياته المشهورة:

ليس شرب الراح إلا في المطر  
وغناء من جوار في السحر  
ساقيات الكأس من فاق البشر  
.....  
عضد الدولة وابن ركنها  
ملك الأملاك غلاب القدر

هذا وين رايح؟ "فاق البشر"، مشوها له. "ملك الأملاك غلاب القدر"، شهر واحد فقط أصابه مرض الصرع تعرفونه عافاكم الله. تعرفون مرض الصرع يقول ابن كثير في اليوم مرات، ويبول على نفسه، ويتغوط. هكذا يعذبه الله، يبول، ويسحبونه ويرشونه هناك يغسلون بالكوريكس، والديتول ينظفون الخمج هذا، القدر. يقول ملك الأملاك غلاب القدر. ثم طالت به المدة، فابنه هذا أتعبنا خليه يموت، دكاه ورماه وصار ملك محله.

فملك الله هو العام الشامل. فلا يستحق أحد هذا الاسم ملك الملوك، وسلطان السلاطين، إلا رب العالمين سبحانه وتعالى.

الوصف الرابع: الله جل وعلا مستق بذاته بتدبير ملكه. لا يحتاج إلى الأنصار جل وعلا، ولا إلى الأعوان. وأي ملك تفرضه في الدنيا سابقاً ولاحقاً، لا يمكن أن يدير ولو مملكة بسيطة إلا بجنود، وحرس، ومستشارين. وللا لا؟ ووزراء، وكذا، وكذا. ما يستطيع ما يستقل بنفسه.

الإنسان بنفسه ما يستقل بنفسه أن يحمل طوبى واحدة، لا بد. ولذلك الملوك في الدنيا يحتاجون إلى هؤلاء، حاجة ضرورية؛ ولذلك يطوقون أنفسهم بهذا الهيلمان من الجنود، والحراس، وكذا، والمراكب،

والمواكب...؛ لأن ملكه لا يقوم إلا بهذه الإضافات. فيقع فيهم من الحاجة إلى هؤلاء الأنصار، بقدر ما هؤلاء الأنصار من حاجة إليهم. أما الله سبحانه وتعالى، فهو مستقل بملكه تدبيراً. فإن قال قائل أليس لله ملائكة تدبر أمر هذا العالم؟ أليس الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(1)</sup> نعم، ولكن من خلق هؤلاء الملائكة؟ ومن أعطاهم هذه القدرات؟ من؟ هو الله. ولو شاء لعطلهم عنها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾<sup>(2)</sup>.

(1) الفتح: 7.

(2) فاطر: 41.

فالله لا يحتاج في إدارة ملكه إلى الأنصار، والأعوان. وأي ملك تفرضه من الدنيا، ففيه من الحاجة إلى الأنصار والجنود والحرس ما لا يعلمه إلا الله، ولا يخفى على أحد.  
فثبت بهذا الملك لله سبحانه تعالى أولاً، وآخر، وأبداً، وسرمداً، وظاهراً، وباطناً، فهو الملك لجلال هذا الاسم العظيم، وتقديسه، ومهابته.

قال البخاري: **(فِيهِ ابْنُ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)** هذه أحد أنواع التعليق، حديث معلق هذا ذكر. ولم يذكر لفظه ولا سنده، وسيأتي الحديث سنداً وامتناً بعد اثني عشر باباً في كتاب التوحيد هنا في الصحيح، وترجم عليه "باب قوله تعالى "ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي"؛ لأن فيه وصف اليدين لله، أن الله يقبض السماوات بيمينه، يقبض الأرض بيمينه ويطوي السماوات بيده الأخرى، ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض. سيأتي الحديث ونذكر شرحه هناك.

قوله: **(حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ)** هو المصري الحافظ المشهور.

قال: **(حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ)** عبد الله بن وهب القرشي، مصري أيضاً، من أجلاء تلاميذ مالك الإمام، وأحد رواة "الموطأ" عنه.

قال: **(أَخْبَرَنِي يُونُسُ)** هو ابن يزيد الأيلي، المصري أيضاً.

**(عَنْ ابْنِ شَهَابٍ)** الإمام المشهور محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

**(عَنْ سَعِيدِ هُوَ ابْنُ الْمُسَيْبِ)** التابعي المشهور.

**(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي**

**السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ)** جاء المعنيان في القرآن:

قال الله تعالى في الأنبياء: **﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ**

**وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾**<sup>(1)</sup> والسجل هو الكاتب الذي يكتب. كانوا قديماً يكتبون فتطوى الورقة طياً كما تعرفون، بمنتهى السهولة على السجل؛ لأنها لرقعة الورقة، يطويها السجل طياً سريعاً، بخفة لا تكرهه ولا تكرهه.

فالله يطوي هذه السماء بأفلاكها ونجومها، كما تطوي أنت الورقة في يدك. طي يطويها سبحانه وتعالى. ويقبض الأرض بيده الأخرى، ثم يهزهن معاً كما سيأتي إن شاء الله في الباب المشار إليه في حديث

(1) الأنبياء: 104.

ابن عمر وغيره. وينادي هذا النداء المهيب، الجليل، العظيم: **(أَنَا الْمَلِكُ)** أعظم من يثني على الله الله. ألسنا نحن نقول في دعواتنا: ((لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك))<sup>(1)</sup>؟

**(أَنَا الْمَلِكُ أَيَنْ مُلُوكُ الْأَرْضِ)** هذه فيها الإشارة السابقة أن ملك الله هو الدائم، الباقي، الأبدى، السرمدى؛ لأنه وصفه الذاتي. وملوك الأرض طُحنوا في هذا الطي، وفي هذا القبض، وطووا. ولذلك جاء في الحديث عند مسلم وغيره: **(يبعث الله المتكبرين والجبارين يوم القيامة كأمثال الذر))**<sup>(2)</sup> شايف النملة الصغيرة هذه في الأرض؟ هؤلاء الجبارون الذين في الأرض تشوفهم هؤلاء، أو تسمع عنهم. لما أحد يعني يقول له كيف حالك؟ كأمثال الذر يوم القيامة، يطوهم الناس بأقدامهم، من خزي الله لهم، وتحقيره لهم، وإذلاله لهم، الجبارون المتكبرون هؤلاء.

فاحذر أن تكون جباراً، أو متكبراً. الكبر لا يحبه الله، يبغضه بغض عظيم، ويعاقب عليه عقاب شديد **(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ))**<sup>(3)</sup>.

قد يؤتيك الله مالاً يوم من الأيام، يعطيك منصباً، يعطيك ماني عارف ايه. انتبه احذر ليستخفنك الشيطان كما استخف غيرك. قال الله تعالى في كتابه الكريم: **﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾** **(6) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى (7) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى**<sup>(4)</sup>.

فيه فائدة علمية رائعة جداً، ذكرها سفيان بن عيينة، قد لا تكون متعلقة بباب الملك، متعلقة بمسألة القرآن، وأنه كلام الله، وأن الله يتكلم كما يشاء سبحانه وتعالى. لما ينادي \_ جل وعلا \_ يوم القيامة (أَنَا الْمَلِكُ). من المتكلم؟ ولما يقول: لله الواحد القهار من الجيب؟ فثبت أن الله يتكلم كما يشاء، وأن كلامه غير مخلوق، إذ لا مخلوق في تلك اللحظة.

استدلال عظيم وسنكره إن شاء الله بتفصيل في بابه اللائق به.

**(وَقَالَ شُعَيْبٌ)** هو ابن أبي حمزة الحمصي.

**(وَالزُّبَيْدِيُّ)** محمد بن الوليد الزبيدي نسبة إلى قبيلة، الحمصي أيضاً.

(1) سنن الترمذي، باب: "فضل طلب العلم" رقم: 2570.

(2) أخرجه البزار (ج4/رقم 3430).

(3) ابن حنبل في مسنده ج 1 / ص 416 حديث رقم: 3947.

(4) العلق: 6-8.

(وَأَبْنُ مُسَافِرٍ) اسمه عبد الرحمن بن خالد بن مسافر. كان أميراً على مصر يوماً من الأيام، فهمي

من بني فهم.

(وَأِسْحَاقُ بْنُ يَحْيَى) هو الكلبي.

(عن الزهري عن أبي سلمة) يريد البخاري أن يبين أن لهذا الحديث عن أبي هريرة إسنادين:

الإسناد الأول: سعيد بن المسيب عن أبي هريرة. الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة.

والإسناد الثاني: الزهري، عن أبي سلمة وهو ابن عبد الرحمن بن عوف، عن أبي هريرة. والفرق أن

كل من روى الحديث عن الزهري، وهم الذين سماهم هنا: شعيب، والزيدي، وابن مسافر، وإسحاق، كلهم

اتفقوا على الرواية عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة. وانفرد يونس بن يزيد الأيلي بروايته عن

الزهري، عن سعيد.

وكلا الطريقتين محفوظان كما قال أئمة الحديث. والخلاف هذا إنما هو خلاف إسنادي لا يقدر في

الرواية في قليل ولا كثير.

اللهم زدنا علماً. اللهم علمنا وعلم بنا. اللهم ارحمنا وارحم بنا. اللهم أصلحنا وأصلح بنا. اللهم

ارزقنا وارزق بنا. اللهم احفظنا بحفظك. اللهم وفقنا لمرضاتك. اللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا، وتوفنا

مسلمين، وتوفنا وأنت راض عنا.

اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه والسلام عليكم.



## الدرس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.  
أما بعد:

فوقفنا على قول البخاري: (باب قول الله تعالى وهو العزيز الحكيم). تفضل.

### بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا وحبينا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام البخاري \_ رحمه الله تعالى \_:

(بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَمَنْ حَلَفَ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَقَالَ أَنَسٌ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ جَهَنَّمَ قَطُّ قَطُّ وَعِزَّتِكَ وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا قَالَ أَبُو سَعِيدٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةٌ أَمْثَالِهِ وَقَالَ أَيُّوبُ وَعِزَّتِكَ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ

حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا حُسَيْنُ الْمُعَلَّمِ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ).

هذا الباب من كتاب التوحيد من الجامع الصحيح للإمام البخاري \_ رحمه الله \_ ، معقود لبيان هذه

الصفة العظيمة والجليلة من صفات ربنا تعالى، وهي صفة العزة المضمنة في اسم الله العزيز. ولذلك ذكر

الإمام البخاري في صدر هذا الباب ثلاث آيات من القرآن العظيم: قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(1)</sup> وقوله تعالى في آخر الصفات: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾<sup>(2)</sup> وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾<sup>(3)</sup>.

العزيز اسم جليل، عظيم، مهيب، من أسماء ربنا \_ سبحانه وتعالى \_ وكثر ذكره في القرآن العظيم،

وهو اسم جامع لمعاني متنوعة متعددة، لائقة أن تضاف لرب العالمين سبحانه وتعالى، فيحسن ذكرها.

فمن معاني العزيز التي يسوغ ويصح أن تضاف وتنسب، ويوصف بها رب العالمين، أن العزيز يأتي

بمعنى الغالب، القاهر، الممتنع. وكل شيء غالب قاهر ممتنع، يقال عنه لغة عزيز. ومنه قوله تعالى في قصة

الذين تصورا على داوود \_ عليه الصلاة والسلام \_ الحراب في سورة "ص"، قال أحدهما في شكواه: ﴿إِنَّ

هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾<sup>(4)</sup> أي غلبني

وقهرني لما أعطي من قدرة على الكلام والبناء، أي غلبني وقهرني.

(1) إبراهيم: 4.

(2) الصفات: 180.

(3) المنافقون: 8.

(4) ص: 23.

ومن أمثال العرب المشهورة: "من عَزَّ بَزَّ"، أي من غلب استلب. من غلب في الحروب، استلب المغلوب. هذا معنى يعني كثير وشهير، وحتى ذكروا من شواهد بيت الخنساء الشاعرة المشهورة، وهي صحابية:

وَكُنَّا حِمَى يُتَّقَى  
إِذ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مَنْ عَزَّ بَزَّ

يعني تقصد في أيام الجاهلية، القانون السائد عند الناس، أن من غلب في الحرب والمعركة بَزَّ، أي استلب المغلوب كل ما عنده من مال، وكذا، ونحوه.

فتقول نحن كنا أي في الجاهلية حمى يتقينا الناس، ولا يستطيعون أن يتجرؤوا علينا، لما كان القانون السائد المعمول به في أعراف الناس في الجاهلية أن من عز بز.

وَكُنَّا حِمَى يُتَّقَى  
إِذ النَّاسُ إِذْ ذَاكَ مَنْ عَزَّ بَزَّ

أو كما قالت. فالمعنى أن من معاني العزة ومعاني العزيز، معنى الغلبة، والقهر، والامتناع، وهذا معنى عظيم، لائق برب العالمين سبحانه وتعالى. فالله هو الغالب، القاهر، الذي يمتنع على أحد أن يغالبه سبحانه وتعالى. فكل من رام أن يغلب أو يغالب رب العالمين، فهو المغلوب. وكل من حارب العالمين فهو المحروب. وهذه من أعظم صفات رب العالمين سبحانه وتعالى.

وقد يحصل ولا يزال يحصل أن كثيراً من الخلق يرومون، ويظنون، وربما يقصدون فعلاً أن يغالبوا الله \_ جل وعلا \_ في ملكه، وفي أمره، وفي قدره، من خلال حرب دينه، وحرب أنبيائه، وحرب أوليائه، ونحو ذلك. ويعني أيام الله في أمثال هؤلاء قديماً وحديثاً كثيرة.

وقد ذكر الله لنا في القرآن ومنها شيئاً كثيراً. ذكر فرعون مثلاً، وما حصل من بغيه وعلوه وعتوه، حتى أن لما وقعت المناظرة المشهورة بين نبي الله ورسوله وكليمه موسى \_ عليه الصلاة والسلام \_ مع السحرة الذين جمعهم فرعون ليغلبوا آيات الله، التي جاء بها موسى، في القرآن يقول جل وعلا: ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ

فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾<sup>(1)</sup> في الأعراف هذه؟

في إحدى السور ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ يتعززون بماذا؟ بعزة فرعون الذي رشح نفسه لهم، ونصب نفسه رياً أعلى عليهم، وإلهاً لهم يملك سرهم وجهرهم، ويملك أمرهم، فهم وجدوه أعلى يعني قدراً عندهم، فتعزوا به وحلفوا بعزته ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ فكانت النتيجة أن غلبت آيات موسى

(1) الشعراء: 44.

العظيمة، لما ألقى عصاه ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾<sup>(1)</sup> ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَنَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(2)</sup> وخسر فرعون، وما تعززوا بعزته يعني ذهب أدراج الرياح. فبما أعلى الله به موسى، ومكّنه، مع أنه هو فرد واحد، وهم يعني أمة ودولة بملك وجيوش كما نعرف.

أبرهة أيضاً الحبشي، لما بني بيتاً في أرض اليمن، ودعا الناس إلى أن يحجوه ويقصدوه كما يحجون بيت الله المعظم المحرم في مكة، وسماه الكُتَيْسَ أو كذا. فلما امتنع الناس من الذهاب له، وأهانوه، رام أن يهدم الكعبة، القصة مشهورة ذكرها أصحاب السير. وكانت سبحان الله مقدمة لميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن القصة وقعت في نفس العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فلما وصل إلى مكة، القصة مشهورة. وأتى بالفيل والجيوش العظيمة، رماهم الله سبحانه وتعالى بالطير الأبايل، وألقت عليهم الحجارة من سجيل، وجعلهم الله عبرة كعصف مأكول، وذكر الله ذلك في سورة الفيل. وأثناء ما كانت جنود الله من الطير الأبايل، والحجارة هذه التي من سجيل، تفعل بأبرهة وجيشه الأفاعيل، اطلع لأن قريشاً ومن معهم من العرب، لما رأوا الجيش هذا قادم، وجدوا أنهم لا قبل لهم به، فذهبوا واختفوا في الجبال والشعاب، ينظرون ماذا سيصنع هذا الرجل.

فلما فعل الله به هذا الفعل، اطلع رجل من العرب عليهم، وذكروا اسمه نُفَيْلَ الحَفَّعَمِي، فوجدهم فعلاً كعصف مأكول كما أخبر الله. فقال بيته المشهور: ولا يغلبن مغالب الغلاب.. لا ذكر بيته المشهور:

والأشرم المغلوب ليس الغالب

.....

ما تحفظونه؟

أين المفر والإله الطالب

والأشرم.. ..

والأشرم الذي هو أبرهة

.....المغلوب ليس الغالب

.....

لأنه رام أن يغلب الله في هذه الحيثية، وهو هدم البيت الذي أراد الله أن يكون هو بيته المعظم المحرم، ولم يكن إذ ذاك من يقوم بدفعه من عباد الله وجنده المؤمنين، ففعل الله بهم هذا الفعل العظيم الذي يعني نعلمه ونعرفه.

(1) الشعراء: 45.

(2) الأعراف: 118.

أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب يقود جيشه المبارك لفتح مكة بلد الله المعظم، لتطهيرها من الأوثان، والأصنام، وبقايا الجاهلية، كان أثناء الطريق رسول الله عليه الصلاة والسلام، ذكر هذا أيضاً ابن هشام في السيرة. يردد بيتاً فيه هذا المعنى، بيت قاله شاعره أو أحد شعرائه وهو كعب بن زهير:

زَعَمَتْ سَخِينَةُ أَنْ سَتَعْلِبَ رَبُّهَا      وَليُغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَابِ

سخينة اسم كانت تسميه العرب من أسماء قريش، القبيلة المشهورة، وسموهم بذلك.. لا يكون معنا أحد قرشي يزعل الآن؛ لأنهم كانوا في الشتاء يصنعون طعاماً يعني سخيناً أي حاراً يأكلونه فيتدفنون به، فيعني يسموهم بهذه الاسم سخينة، لشهرتهم بهذا الطعام الذي يأكلون في أيام الشتاء والبرد.

فيقول الشاعر كعب بن زهير:

زَعَمَتْ سَخِينَةُ أَنْ سَتَعْلِبَ رَبُّهَا .....

من خلال يعني ما ظنوه أنهم سيظفنون نور الله من خلال طردهم لرسول الله \_ عليه الصلاة والسلام \_ وقتالهم لهم، يظنون بما معهم من قوة أنهم سيمنعون هذا النور العظيم، ويمنعون دين الله من الظهور. فأتى فتح مكة والنبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ عائد راجع لفتحها وتطهيرها، يردد هذا البيت:

زعمت سخينة.....

أي قريش

..... أن ستغلب ربها

والنتيجة الطبيعية في مثل هذا الحال:

..... وليغلبن مغالب الغلاب

لأن الله هو الغلاب على أمره، وهو العزيز القاهر. وكل من رام غلبته، فهو المغلوب. وكل من رام حربه فهو المحروب سبحانه الله وتعالى وتقدس.

المعنى الثاني الذي يتضمنه معنى العزيز، بمعنى القوي، والشديد. الشيء القوي الشديد يقال عنه

عزيز، وهذا صحيح لغة، وصحيح يعني شرعاً.

والله عز وجل لائق أن يضاف إليه هذا المعنى، إن الله هو العزيز، أي القوي الشديد. ومنه قوله تعالى في قصة أصحاب القرية: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾<sup>(1)</sup> أي قويناهم الاثنتين هؤلاء من الأنبياء، قويناهم وشددنا أزرهم بنبي ثالث. ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي شددناهم وقويناهم بثالث. فمن معاني العزيز أي القوي الشديد، وهذا صحيح أن يضاف إلى الله سبحانه فهو القوي الشديد. المعنى الثالث أيضاً من معاني العزيز، وهو معنى عظيم، وجليل، وشريف، وصحيح لغة وشرعاً، أن يضاف إلى الله. يأتي العزيز بمعنى الأمر النادر، النفيس، العديم النظير والمثيل. تقول عنه عزيز، هذا أمر عزيز أي لا مثيل له لنفاسته، وندرته، لا يكاد يوجد له نظير ولا شبيه ولا مثيل. وهذا المعنى صحيح. وإضافته إلى الله سبحانه وتعالى من جهتين:

الله في ذاته عزيز بمعنى لا نظير له، ولا مثيل سبحانه وتعالى. فالله هو الواحد، الأحد، العزيز، الذي ليس كفو، ولا شبيه، ولا نظير. والقرآن فيه من هذه المعاني الكثير: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>(2)</sup> ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>(3)</sup> ونحوها من الآيات، وهذا من معاني العزيز.

والفرع الثاني أو المعنى الثاني: أي عزيز في حقوقه. فالحقوق التي لله متفردة، لا يجوز أن تُصرف لغيره. من حق الله التعظيم، والتوقير، والتبجيل، والعبادة، والخضوع، والتذلل. أليس كذلك؟ هذه حقوق منفردة لله، لا يجوز أن يُصرف نظيرها، ولا مثيلها، ولا شبيهها لغيره. لما كان الله في ذاته عزيزاً، عديم النظير سبحانه وتعالى في ذاته، وأسمائه، وصفاته، كان من المناسب أن تكون حقوقه أيضاً عديمة النظير، فلا تُصرف لغيره، وهذا المعنى صحيح عقلاً وشرعاً. فالله سبحانه وتعالى عزيز في ذاته، بمعنى أنه لا نظير ولا شبيه له سبحانه وتعالى. وعزيز في حقوقه، بمعنى أنه لا يجوز لأحد أن يصرف ما لله لغير الله، ولا أن يشرك في حقوق الله غيره.

ولذلك الله عز وجل يتعزز عن الشرك ولا يقبله ((من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته))<sup>(4)</sup>

لأنه عزيز، يريد شيئاً لا نظير له من عباده، تذلاً وخضوعاً. فمن صرف خوفاً لغير الله نظير الخوف المصروف لله، أو من صرف رجاء لغير الله نظير ما يصرفه لله، أو صرف تذلاً وخضوعاً ونحو ذلك لغير الله نظير ما يصرفه لله، هذا مشرك ساوى بين الله وبين غيره في الحقوق، فانخرم أحد معاني العزة، انخرم أحد

(1) يس: 14.

(2) الإخلاص: 4.

(3) الشورى: 11.

(4) مسلم في صحيحه ج 4 / ص 2289 حديث رقم: 2985.

معاني العزة. وهذه الإضافة في قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾<sup>(1)</sup> كل معاني التعظيم، والإذلال، كلها لله سبحانه وتعالى. لا يجوز أن يصرف نظيرها ولا شبيهها لغيره.

وهناك معنى ربما يكون رابع الآن، هو صحيح لغة، لكن لم يدخله أحد من العلماء ضمن معاني اسم الله العزيز، سوى أبو إسحاق الزجاج صاحب كتاب "اشتقاق أسماء الله" ما رأيت هذا لغيره، وهو أن العزيز يأتي بمعنى الشريف والجليل، وهو معنى صحيح لا إشكال فيه. وإن كان الزجاج ذكره وانفرد بذكره. العزيز بمعنى الشريف والجليل. تقول فلان ذو عزة، أي ذو شرف، وذو مقام، وذو قدر معين. ولو كان الزجاج فقط ذكره، لكنه صحيح.

فالله عز وجل هو الجليل سبحانه وتعالى، ذو القدر الذي لا يساويه ولا يقاربه غيره فيه جل وعلا. لكن لا أعلم أحداً ذكره سوى الزجاج.

هناك معنى خامس ربما، لكن بالإجماع لا يصح. معنى صحيح لغة، لغة صحيح في مادة العزة هذه، مادة عَزَّ يَعَزُّ، لكنه هذا المعنى غير لائق بالله. المعنى الأخير هذا.

نحن ذكرنا خمس معاني: الثلاثة الأولى متفق على جواز إضافتها لله، بمعنى الغالب، والقاهر، وبمعنى القوي والشديد، وبمعنى عدم النظير، والمثيل، والشبيه. والمعنى الرابع بمعنى الشريف والجليل، انفرد بذكره الزجاج والمعنى صحيح.

المعنى الخامس: لا يجوز إضافته لله وإن صح لغة، وهو أنهم قالوا يأتي العزيز بمعنى هو بمعنى نفسي.

تقول عز علي أن أراك بهذا الحال، أي صعب علي وشق علي، وأكرمني، وأحزني أن أراك بهذا الوضع،

صحيح لغة، ووارد في القرآن بهذا المعنى فقط في الآية التي في آخر "براءة"، "التوبة" في وصف النبي صلى

الله عليه وسلم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ

رَحِيمٌ﴾<sup>(2)</sup> ما معنى ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾؟ أي يشق عليه، ويكرهه، ويجزئه أي أمر فيه مشقة عليكم، وفيه

عنت لكم، لشدة رأفته بالمؤمنين \_ عليه الصلاة والسلام \_.

هذا وصف القرآن للنبي عليه الصلاة والسلام، أنه يكبر عليه، ويعظم عليه، ويصعب عليه، ويشق

عليه، ويجزئه كل أمر يشق على أمته صلى الله عليه وسلم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ هذا المعنى لا يجوز أن

يضاف إلى الله لماذا؟ لأن الله عز وجل لا يكره شيء، ولا يجزئه شيء سبحانه وتعالى. يعني فيه معنى لائق

(1) فاطر: 10.

(2) التوبة: 128.

بالبشر، لكنه غير لائق برب العالمين سبحانه. يفعل ما يشاء ولا يبالي جل وعلا. فلا يعني يأتي معنى يشق عليه، أو يصعب عليه. ولذلك ما ذكر هذا المعنى ضمن معاني أسماء الله أحد مطلقاً، وإن صح معناه لغة من ضمن معاني كلمة عزيز.

بقي فائدة ممكن تكون يعني لغوية، لكن وشرعية. كيف تفرق في الأداء اللغوي بين ما ينصرف إلى معنى القوة والغلبة، ومعنى شق عليه، وأحزنه، وأكربه، مع أن المادة واحدة؟

قال أهل العلم المادة واحدة في الفعل الثلاثي "عزّ"، لكنها تفترق في الفعل المضارع الرباعي. إذا

أردت معنى القوة والشدة والغلبة، يكون الفعل المضارع بكسر العين: "عَزَّ يَعِزُّ" فهمت وللا لا؟

وإذا فتحت العين، وقلت: "عَزَّ يَعِزُّ" تنصرف إلى شق عليه، وصعب عليه، وأحزنه، وأكربه.

والحديث المشهور الذي نردده في دعاء القنوت، ألفاظ دعاء القنوت المشهورة المعروفة. للفائدة

حديث القنوت الذي أوله: ((اللهم اهدينا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت)) مروي في كتب "السنن" هو حديثان في كتب "السنن":

حديث يرويه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب \_ رضي الله عنه \_.

وحديث عند أحمد في "المسند"، والترمذي في "السنن"، والبيهقي في "الكبير": ((سمعت النبي صلى

الله عليه وسلم يقول في دعائه: اللهم اهدنا...)) ولم يذكر في القنوت.

والحديث الآخر يرويه ابنه بن علي، الحسن بن علي \_ رضي الله عنهما \_ وحديثه عند أحمد في

"المسند"، والسنن الأربعة: الترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، مع البيهقي وهو أنه قال: ((علمني

رسول الله عليه الصلاة والسلام دعاء أدعو به في قنوتي قال: قل اللهم اهدني فيمن هديت وعافني

فيمن عافيت))<sup>(1)</sup>.

العبارة المشهورة التي هي أوردنا هذا الكلام لأجلها، وهي العبارة التي في آخر الدعاء وهي قوله:

((ولا يعز من عاديت)) هذه لم ترد في ألفاظ الحديث في رواية علي بن أبي طالب مطلقاً، ولم ترد أيضاً في

الحديث من رواية الحسن في كل المصادر التي سمعتم، لا عند أحمد في "المسند"، ولا عند أصحاب السنن

الأربعة، لا الترمذي، ولا أبو داود، ولا ابن ماجه، ولا النسائي، وانفرد بذكرها زيادة في الحديث البيهقي

فقط لا غير، لن تجدها في كتب السنة مطلقاً هذه الزيادة، إلا في حديث الحسن وعند البيهقي فقط.

(1) ابن حبان في صحيحه ج 2 / ص 500 حديث رقم: 722.

وابن القيم \_ رحمه الله \_ في "الزاد" ذكر ذلك قال: "وزاد البيهقي بسند لا بأس به \_ مادام ذكر ألفاظ الحديث \_ عبارة: ((ولا يعز من عاديت)). أجمعوا في شرحها على أنها بكسر العين ((لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت)) أي لن يغلب، ولن يظهر، ولن يقهر أحد عاد رب العالمين، هذا المعنى. ولا تصح أن تكون بمعنى ولا يعز من عاديت.

ذكر ذلك صاحب "النهاية"، الذي هو أبو البركات بن الأثير في غريب الحديث، وأبو عبيد، وغيرهم. إلا السيوطي، جلال الدين السيوطي له رسالة صغيرة، لعلكم وقفتم عليها، أو لم تقفوا عليها اسمها "الثبوت في شرح ألفاظ القنوت" شفتوها؟ مرت عليكم؟ "الثبوت في شرح ألفاظ القنوت" رسالة صغيرة للحافظ المصري المشهور جلال الدين السيوطي، شرح فيها ألفاظ حديث القنوت هذا. لما جاء عند العبارة هذه الأخيرة: "ولا يعز من عاديت" خالف كل من تقدم، فقال أنها بفتح العين، وعلى معنى الغلبة، وأنه إذا كُسرَت على معنى الشدة والصعوبة. خالف الجميع السيوطي في "رسالة الثبوت".

أما من تقدم كأبي عُبيد، وابن الأثير، والشراح وغيرهم، أجمعوا على أنها بكسر العين، بمعنى الغلبة والظهور، ما عدا السيوطي والعهد عليه.

الشاهد من هذا الكلام، نفرق بين المعنيين. إذا تريد تصرفها إلى معنى الظهور، والغلبة، والشدة، والقوة، والمعاني هذه، لا بد في المضارع من كسر العين. وإذا صرفتها إلى معنى الحزن، والكرب، ويعز أي يشق عليه بفتح العين.

ومن شواهد، ربما لا يكون شاهد لغوي، ولكن شاهد في العموم. المتنبي الشاعر المشهور استخدمها بهذا المعنى، بمعنى الصعوبة والشدة على النفس، بفتح العين بإجماع جميع شراح ديوانه في بيته المشهور لما قال:

يا من يعز علينا أن نفارقهم .....

أي يشق علينا ويجزنا أن نفارقهم

وجداننا كل شيء بعدكم عدم

.....

واستخدمها أيضاً بمعنى النفاسة والندرة، وهذا شاهد عجيب يعني. حتى قال أحد الشراح أنه لم يسبق المتنبي من الشراح أحد ذكر هذا المعنى، مع أنه معنى صحيح في اللغة. طلبوا له شاهد في شعر العرب. ما قلت لكم أن من معاني العزيز النادر والنفيس وعديم النظر؟

تطلب له شاهد، الشاهد هو قوله عزل وجل ماذا أوردنا الشاهد لها؟ بمعنى النادر، ما أوردنا شاهد عليها؟ ذكروا بيتين فقط شاهداً عليها بمعنى النفيس والنادر وعدم النظر، بيت لُرَابَة بن العَجَّاج تعرفونه هذا صاحب رجز مشهور، يستشهد به في الشعر كثيراً، وبيت المتنبي، ما وجدوا له شاهداً غيرهما. بيت رَابَة افتتح به قصيدة له من بحر الرجز المشهور، يقول فيها:

الحمد لله العزيز فرداً. ....

أي العديم النظر، متفرد.

الحمد لله العزيز فرداً لم يتخذ من ولد شيء ولداً

قالوا معنى عزيز في البيت رَابَة، ينصرف إلى عديم أنه أمر النفيس النادر. وبيت المتنبي في قصيدة مشهورة لها مطلعها يقول:

عَزِيزٌ أَسَأَ مَنْ دَاوَهُ الْحَدَقُ النَّجْلُ عِيَاءٌ بِهِ مَاتَ الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلُ

أي الذي يكون داؤه العيون الجميلة، عزل عاد نشرحها لكم. داؤه لا علاج له، ليس في أدواء البشر مثله. "عزيز أسأ" يعني لا تجد صاحب أسأ مثل أسى الذي يكون داؤه الحدق النجل. لو تقرأ شرح أبي البقاء العكبري للديوان، ديوان المتنبي لهذه الكلمة، ثلاث صفحات كتب فيها. فيها معاني جميلة راجعوها.

هذه تقريباً المعاني الخمسة التي يدور عليها معنى العزة في اللغة، الثلاثة الأولى متفق على إضافتها لله، والرابع انفرد به الزجاج بن إسحاق في الاشتقاق، ولا أرى أن له مانعاً من ذكره بمعنى العزيز، بمعنى الشريف والجليل. والرابع لا يجوز إضافته لله والعلم عند الله. هذه معاني العزيز يعني لغة، وما يضاف إلى الله منها.

البخاري هنا أتى بالآية الأولى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ قلت قبل قليل ذكر هذا الاسم العظيم من أسماء الله العزيز في القرآن كثيراً، لكنه تارة يُقرن باسم الحكيم كما في الآية: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وتارة يُقرن بالرحيم: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (40) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (41) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(1)</sup> ويقرن بغيرها من الأسماء.

قال أهل العلم، هذه فائدة جميلة. أعتزف بأن الذي ذكرها الوحيد الذي ذكرها فيما أعرف الغزالي، أبو حامد الغزالي صاحب "إحياء علوم الدين". له كتاب في شرح أسماء الله الحسنى، اسمه "المقصد الأسنى". حتى نفرق بينه وبين كتاب القرطبي "المقصد الأقصى".

(1) الدخان: 40-42.

فيه كتاب للقرطبي المفسر اسمه "المقصد الأقصى في شرح أسماء الله الحسنى". هناك كتاب آخر للغزالي "اسمه المقصد الأسنى". ذكر هذا المعنى، يعني لطيفة ممكن تقول لطيفة في الفهم، أو في المعنى. قرنه اسم العزيز بالحكيم وبالرحيم، مع أن العزة تفيد معنى القوة، والقهر، والغلبة، والرحمة، والحكمة، كأنها تفيد معنى بعيد ربما عن معنى العزة والقهر، وذلك ليظهر الفرق العظيم بين وصف الله سبحانه وتعالى، ووصف غيره من المخلوقين.

المخلوق منا إذا تمكن، وكان ذا قوة، وقدرة، وسلطان، ومال، وأصبح له مثلاً أنصار كثيرين وكذا، في الغالب الأعم يدعوه ذلك دائماً إلى البطر، والأشر، والعدوان. وللا لا؟ والظلم، وأخذ حقوق الناس بالغلبة هكذا على منطق الجاهلية القديمة والحديثة. القوي المتمكن لا يخلو من ظلم أبداً. أما الله سبحانه وتعالى، فمع أنه العزيز القادر الغالب الذي لا يعجزه شيء، إلا أنه حكيم سبحانه وتعالى. قدرته وقوته لا تجعله يفعل ما لا فائدة فيه، ليس من جنس أفعال البشر. الإنسان يفعل الطيش، والرعونة، خاصة إذا شعر أنه متمكن. وهذا لا يكاد يسلم منه أحد من الخلق.

أما الله سبحانه وتعالى فهو عقد عزته وقوته وقدرته بحكمته، وبرحمته أيضاً، مع أنه قد يبدو نوعاً من التقابل بين معنى القوة والعزة والشدة والرحمة. فالله عندما يرحم سبحانه وتعالى، ويعفو، ويغفر، وأيضاً جاء في القرآن ارتبط اسم العزيز بالغفور: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾<sup>(1)</sup> يغفر من عدم حاجة، ولا مصلحة له، مع أنه متمكن غاية التمكّن أن يفعل بنا ما يريد، ويهلكنا جميعاً لو شاء، ولا يمنعه مانع، ولا يعوزه شيء سبحانه، إلا أنه يغفر ويصفح ويتجاوز ويرحم، ليتم الفضل هنا. انتبهتوا وللا لا؟؟ أي مخلوق شوف، أنا وأي مخلوق تقدره، عندما يتجاوز أو يعفو عن غيره، له في ذلك مصلحة، لن يخلو إنسان من ذلك، إما في الدنيا وربما يحتسب الأجر عند الله في الآخرة. لا يخلو الإنسان مما يحقق له مصلحة في نفسه، أو ربما يتجاوز عن نوع عجز. ربما أنت تتنازل عن بعض حقاك؛ لأنك عجزت عن تحصيله ربما، أو إن حصلته ستحصله بعنت شديد، وتعب شديد، فيقع عندك التنازل والصفح بنوع عجز عندك. أليس كذلك؟ والمصلحة تنشدها.

(1) الملك: 2.

هذا المعنى ممتنع في حق الله؛ لأن كمال العزة والقدرة، ولو شاء لفعل بنا ما يريد ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾<sup>(1)</sup> إلا أنه عقد عزته، وقدرته بالحكمة والرحمة. فعندما يعاقب، يضع العقوبة في موضعها بحكمة، وعفوه أوسع. فهو لا يعفو عن مصلحة يريدتها، أو لنوع عجز عنده عن تحصيل حقوقه من الخلق \_ تعالى الله وتقدس \_ .  
هذا المعنى اللطيف يُستحضر عندما يقرن رب العالمين اسم العزيز بالغفور تارة، وبالرحيم أخرى، وبالحكيم ثلاثة سبحانه الله وتعالى وتقدس.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ مر معنا إن كنتم تذكرون في باب قبل هذا كلمة "ذو" ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾<sup>(2)</sup> شرحت لكم إذ ذاك أنه يفرق، حتى تفرق في المعاني، تنظر إلى الكلمة التي أضيفت إلى كلمة "ذو"، فإن كان المضاف إليها عيناً من الأعيان، فتكون "ذو" هنا بمعنى الملك "ذو العرش العظيم: أي مالك العرش وخالقه.

أما إذا كان المضاف إليها صفة من الصفات، ومعنى من المعاني، فتكون "ذو" بمعنى الصاحب ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾<sup>(3)</sup>. أي صاحب الرحمة المتصف بها.

نفس المعنى نقله الآن لكلمة (رب). (رب) في لغة العرب تتصرف على معاني عدة: تأتي بمعنى مالك الشيء. تقول: فلان رب الدار أي مالكها. تأتي بمعنى الصاحب،

وتأتي بمعنى السيد المطاع ومنه قوله تعالى: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾<sup>(4)</sup> كلمة يوسف لساقى الخمر، ساقى الملك، ﴿رَبِّكَ﴾ يعني الملك. رب البلدة هذه أو المملكة هذه، السيد المطاع فيها. وتأتي بمعنى العناية بالشيء، والقيام عليه، ومنه أخذت كلمة التربية. التربية هذه نستخدمها بمعنى العناية بالشيء، والقيام عليه، والرعاية له. ومنه كلمة الربيبة بنت الزوجة؛ لأن زوج أمها في الغالب الأعم هو الذي يقوم على العناية بها وتربيتها، فسميت ربيبة، معنى المادة واحدة.

متى نجعلها كلمة (رب) بمعنى الملك، بمعنى المالك؟ ومتى نجعلها بمعنى الصاحب؟ تنظر إلى ما أضيف إليها.

(1) المائة: 17.

(2) الذاريات: 58.

(3) الكهف: 58.

(4) يوسف: 42.

فإذا كان المضاف إليها عيناً من الأعيان، تكون بمعنى مالك ذلك الشيء.

وإذا كان المضاف إليها صفة ومعنى من المعاني، تكون بمعنى صاحب. والآية عندك أتت بالمعنيين

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ ذكرت (رب) هنا مرتين وللا لا؟

المرّة الأولى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾ أضيف إليها الكاف، والمراد بها المخاطب النبي صلى الله عليه وسلم،

وعموم المخاطبين بالآية. فهو رب النبي صلى الله عليه وسلم، وربنا. هنا بمعنى مالك، مالكنا، خالقنا، هو

الذي خلقنا وهو الذي يملكنا. رب النبي صلى الله عليه وسلم، رب العالمين، رب السماوات والأرض،

﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(1)</sup> بمعنى خالقه ومالكه.

لكن ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ العزة هنا ليست عيناً من الأعيان؛ وإنما معنى من المعاني، صفة. فتكون (رب)

الثانية هذه بمعنى أي صاحب العزة، والمتصف بها. ولا داعي لكلام ابن بطال الذي في الشرح هنا، أنها إذا

كانت صفة ذاتية، وإذا كانت صفة فعلية.

كل ما يضاف إلى الله كما سنحرر من الصفات، ذاتية أو فعلية هي صفات لله، ولذلك نرتب

عليها الحلف بالله. وسيأتي ذكر المسألة، ذكرها البخاري هنا في الباب، سنذكرها إن شاء الله؛ إنما نفرق

هكذا.

يُنظر إلى ما أضيف إلى كلمة (رب) كما ينظر إلى ما أضيف إلى كلمة "ذو". فإن كان عيناً من

الأعيان المخلوقة، كان بمعنى الملك. وبهذا المعنى يصح أن يُطلق على المخلوق فلان رب الدار، فلان رب

الغنم، فلان رب كذا، بمعنى مالكها. لكن بمعنى صاحب المتصف بالصفة، تنظر لا يأتي المضاف دائماً

معنى من المعاني، وصفة من الصفات مباشرة. فهتم هذا؟

﴿رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾، ﴿رَبِّكَ﴾ الأولى بمعنى المالك، و﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ بمعنى صاحبها، أي المتصف

بها. وإحدى وسائل الإضافة في لغة العرب هذه "رب"، و"ذو"، و"ال" التعريف وأمثالها.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ} أي صاحب العزة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي

عما يضيفون إليه من أوصاف التي لا تليق به من الصاحبة، والولد، والشريك، ونحو ذلك.

الآية الثالثة: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ ذكر الله هذه الآية في الرد على المنافق الأشهر ابن أبي، لما في

قصة (37:16) المشهور لما قال ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ﴾<sup>(2)</sup> ويقصد بالأعز

(1) النمل: 26.

(2) المنافقون: 8.

نفسه، ويقصد بالأذل وحاشاه رسول الله \_ عليه الصلاة والسلام \_ ﴿يَقُولُونَ لِنَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هنا ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ تحتل المعنى الذي شرحناه في مرة ماضية في الرحمة. قلت لكم صفات الله سبحانه وتعالى، اعتقاد أهل السنة فيها، ما ثبت من صفات أنها قائمة بذات رب العالمين جل وعلا، لم يكن قط معطلاً عنها جل وعلا.

وصفاته لها آثار على الخليقة. صفة الخلق، الله هو الخالق والخالق سبحانه وتعالى. ما هو أثر هذه الصفة؟

هذه المخلوقات الموجودة من السماء، والأرض، والحجر، والشجر، والإنس، والجن، مخلوقات لأن الله خالق متصف بالخلق، خلق فأوجد. فلما نقول هذا خلق الله، الإضافة هنا تعني أن هذه مخلوقات الله. فهمتوا وللا لا؟ ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾<sup>(1)</sup> يعني هذه السماء، والأرض، والشمس، خلق الله، أي مخلوق الله، الذي هو أثر اتصاف الله بصفة الخلق.

﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ الذين من دونه لا يتصفون بصفة الخلق، فلم يخلقوا ولم يوجدوا شيئاً.

الرحمة كذلك، الله عز وجل رحمن، رحيم، ذو رحمة. الرحمة صفته القائمة به، لها أثرها؛ فلأنه رحمن رحيم ذو رحمة، خلق الرحمة.

جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله لما خلق الرحمة خلقها مائة جزء))<sup>(2)</sup> هو

في الصحيحين، ما مر عليكم؟ ((فأنزل جزءاً يتراحم به الخلائق إلى يوم القيامة حتى أن الدابة ترفع حافرها عن وليدها خشية أن تصيبه وادخر عنده تسعاً وتسعين جزءاً))<sup>(3)</sup>.

هذه الرحمة المخلوقة التي أودعها الله في قلوب العباد والخلق، التي منها رحمة الوالد بولده، والأم لوليدها، والدابة لوليدها. انتبهتوا وللا لا؟ ما يتراحم به الناس، هذه رحمة مخلوقة خلقها الله، هي أثر اتصافه بصفة الرحمة.

(1) لقمان: 11.

(2) مسلم في صحيحه ج 4 / ص 2108 حديث رقم: 2752.

(3) مسلم في صحيحه ج 4 / ص 2108 حديث رقم: 2752.

جاء في الحديث الصحيح: ((لما قضى الله بين الجنة والنار، اختصمت الجنة والنار. النار تقول ما لي لا يدخلني إلا الجبارون والمتكبرون والعتاة هؤلاء، والجنة تقول ما لي لا يدخلني إلا الضعفاء، والفقراء، والمساكين))<sup>(1)</sup> من أمثالكم نسأل الله أن يدخلنا وإياكم. فقضى الله بينهما فقال للجنة، ماذا قال للجنة؟ هذا الموضوع: ((أنت رحمتي)) الجنة مخلوقة بما فيها من نعيم. فأضافها إلى نفسه وسماها رحمة؛ لأنها أثر اتصافه بهذه صفة الرحمة، خلق الجنة وجعلها رحمة يرحم بها الصالحين، أو من شاء من عباده، وخلق النار وجعلها عذاباً ونكالاً لأعدائه ومن شاء من عباده.

العزة كذلك، نريد نصل إليها. ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ فلما كان الله في ذاته عزيزاً، لما كان الله في ذاته عزيزاً، من المعاني التي سلف ذكرها، كانت العزة التي ينزلها على أنبيائه ورسله، وعز بها أنبياءه، ويعز بها كتابه، ويظهر بها أوليائه على تصريف الأمور، وتدبير الأوقات على حكمته وتدبيره، هذه العزة عزة منزلة، مغالبة لأعداء أنبيائه ورسله، مخلوقة أثر اتصافه بصفة العزة. فهمتوا وللا لا؟

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ لله العزة أي يملك العزة التي أنزلها، فعز نبيه، وعز بها أهل بدر، وعز بها أصحاب نبيه، وعز بها كتابه فلا يزال ظاهراً قاهراً، لا يستطيع أن يغالب القرآن بأن يأتي بمثله، ولا بجزء من مثله؛ ولذلك من أسماء القرآن أنه كتاب عزيز.

وأعز بها أوليائه، ويظهر بها دينه على ما يشاء على تصريف الأمور وتدبيرها. كما نقول في الرحمة سواء بسواء.

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ العزة للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، هي عزته التي ينزلها الله جل وعلا. ومن جميل المقابلة في القرآن، الآية التي في فاطر، قال الله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾<sup>(2)</sup> ماذا بعدها؟ فيها العزة الآية بعدها: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾<sup>(3)</sup> أحسنت ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾ فيه مقابلة، إذا كنت تريد العزة على أعدائك، وخصومك، وأعداء دينك وكتاب ربك وسنة نبيك، من هؤلاء الساعرين المستهزئين والكافرين والمنافقين، وما أكثرهم، يجب أن يصعد إلى الله منك الكلم الطيب، والعمل الصالح، مقابلة ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾. كيف تنزل علينا؟ كيف

(1) البخاري في الأدب المفرد ج 1 / ص 195 حديث رقم: 554.

(2) فاطر: 10.

(3) فاطر: 10.

نستمطرها علينا؟ إذا صعد إليه منا الكلم الطيب والعمل الصالح، نزل علينا منه التعزيز، هذا الذي نطلبه وننشده ونريده. أما إذا صعدنا إليه منا الفسوق، والفجور، والتلاعب، بأحكامه، والاستهزاء بآياته، ومجاملة الكافرين والمنافقين على حساب دينه. كيف يعني ينزل علينا من عزته شيء؟

ولذلك قد تحدث عندك هذه القضية. قد يقول لك قائل، قد يأتيك وسواس من الشيطان يقول لك أين العزة هذه وحالك أنت الآن ما أنت عارف تتكلم حتى، مو عاد تسوي شيء مع هؤلاء الكفار، وهؤلاء المجرمين الذين يملؤون الأرض اليوم؟! أين العزة في دينك، أو في شخصك، أو في كتابك؟ من يصدق الكلام؟ من يقبل قرآنك هذا؟ ولا دينك ولا أحكام شريعتك الآن؟ أين العزة؟ أين الظهور؟ أين الغلبة؟ أين معاني قوله وأنه لكتاب عزيز، وأنه مهيمن؟ الهيمنة بينها أروني إياها؟

قد يقول قائل ذلك. نعم انخفضت في حقنا وربما انعدمت حتى إلى فترات؛ لأنه ما صعد إلى رنا منا الكلم الطيب والعمل الصالح. والله سبحانه وتعالى له سنن في الخلق.

فبقدر ما نوري الله من أنفسنا خيراً، ولا يأتيه منا ولا يصعد إليه منا إلا خير الكلام، وطيبه، والعمل الصالح، هذا هو المسالك، هذا هو الباب الحقيقي. انظروا نصر الله وعزته عن قريب، انظر نصر الله وعزته عن قريب. واقرأ معاني هذه الآية، والمقابلة بين ذكر العمل الصالح والعمل الطيب، مع تصدير الآية بقوله:

**﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾.**

وعاب القرآن على المنافقين، وفي معناتهم جميع المجرمين والفسادين والفساقين وكل من في عنقه وقلبه ذل المعصية وهوانها، أنهم ينشدون العزة من غير مضائها، في الكافرين ينشدونها **﴿أَيَّبَتُّغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾** (1) المنافقون يبتغون العزة عند الكافرين، وفي مجالسهم، وفي حقوقهم، وفي مواليقهم... إلخ. نجري نلهث، مساكين، مجلس الأمن ومجلس ما أنا عارف إيه. أربعين سنة يريدون قرار عشان يقولون إسرائيل استحي على وجهك، مو عارفين يطلعوهم، استحي على وجهك شوية، خمسة وعشرين دولة **﴿أَيَّبَتُّغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾** (2).

قال البخاري: **(وَمَنْ حَلَفَ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ)** هذا معنى شرعي عظيم، يريد البخاري أن يذكر لنا أن المتفق عليه عند أئمة العلم من أهل السنة، جواز القسم والحلف بأي اسم من أسماء الله الحسنى، وأي صفة من صفات الله العلاء، متى ثبتت لله صفة وثبت لله اسماً، سواء صفة ذاتية، أو فعلية، أو اختيارية، أو

(1) النساء: 139.

(2) النساء: 139.

غير ذلك. كل ما ثبت لله وأضيف لله اسماً وصفة، جاز القسم به والحلف. ولذلك قلت قبل قليل ما ذكره ابن بطال ونقله الحافظ، غير متسق من طرائق أهل السنة وقواعدها في التفريق بين جواز القسم بالصفة الذاتية دون الصفة الفعلية. فتقسم بعزة الله، تقسم بعلم الله، تقسم بحياة الله، تقسم بقدره الله، تقسم بالعزير، بالعظيم، بالكريم، بالرحمن.

كل أسماء الله وصفاته ينعقد بها اليمين، ويجوز أن يقسم بها، ويلزم الكفارة إذا حلفت في شيء من ذلك.

ولا أعلم خلافاً على قواعد أهل السنة في هذه المسألة. ولذلك أكثر الأحاديث التي أوردها البخاري معنا إنما هي في هذا الموضوع، كلها أقسام بعزة الله، وكرمه كما سنقرأ بعد قليل.

أدخل البخاري في هذا الباب العظيم الجليل، مجموعة أحاديث، منها المعلق ومنها الموصول فقال:

**(وَقَالَ أَنَسٌ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ جَهَنَّمَ قَطُّ قَطُّ وَعِزَّتِكَ)** هذا حديث معلق،

وسياقي موصولاً في نفس الباب، وهو الحديث الثاني المتصل في الباب، وتكلم عليه في وقته إن شاء الله.

وموضع الشاهد منه، قول جهنم: **(وَعِزَّتِكَ)** هذا قسم، أقسمت النار بعزة الله أنها اكتفت لما وضع

الجبار فيها قدمه كما سنذكر.

**(وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ**

**النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ فَيَقُولُ يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا)** علق الحديث هنا

ورواه في مواضع من الصحيح متصلاً، وهو حديث الشفاعة الطويل، موجود في الصحيحين من حديثي أبي هريرة وأبي سعيد الخدري.

الحديث الطويل الطويل، الذي أوله: **((يجمع الله الأولين والآخرين على صعيد واحد ينفذهم**

**البصر ويسمعهم الداعي فيقول يا آدم أخرج بعث النار))**<sup>(1)</sup> الحديث المشهور، فيستشفع الخلق بالأنبياء

والرسل، إلى أن ينتهون إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيشفع، ويبدأ فصل القضاء، ويدخل من أهل الجنة

الجنة، وأهل النار النار.

فإذا استقر أهل الجنة فيها، واستقر أهل النار فيها، يبقى رجل الذي هو هذا قصته الذي هو آخر

أهل النار، آخر من يخرج من النار ويدخل الجنة، بعد الشفاعات وبعد الحثيات الثلاث من حثيات رب

(1) الحاكم في مستدركه ج 2/ ص 269 حديث رقم: 2967.

العالمين، القبضات الثلاث؛ لأن الله وعد رسوله عليه الصلاة والسلام بثلاث قبضات يقبضها بيده العظيمة الجلييلة من النار يخرجهم. فمن فاتته هذه القبضات الثلاث، فلا أمل له.

هذا الرجل يناشد رب العالمين، كان يعني منتهى طلبه وأمله أن يخرج من هذا الجحيم الذي هو فيه، فيتركه الله ينادي ما شاء، ثم يستجيب له، فيعني يذكر حاجته يقول لأكون أشقى خلقك لا أطلب إلا أن تخرجني من هذا الجحيم، فيأخذ عليه رب العالمين العهود والمواثيق ألا تسألني غيرها، فيقول: **((لا وعزتك))** (1).

هذا موضع الشاهد: **((وعزتك))** يقسم بين يدي رب العالمين وهو في هذه الحالة صادق بالفعل، كان منتهى وطلبه وأمله الخروج من هذا الجحيم، والعذاب الأليم الذي هو فيه، ويعتبر ذلك مكسباً لا يريد بعده شيئاً. فيقسم بعزة الله وهو صادق في تلك الحال؛ لأن الإنسان ضعيف، الإنسان مسكين، يعني تنقطع به الأمانى لما يكون في مثل هذا الجحيم العظيم، لا يطمع في أكثر من الخروج، ويرى ذلك أعظم مكسب يحقق له.

فإذا أخرجته الله، وبقي ما شاء الله، يتركه الله ما شاء أن يتركه، وينظر إلى أهل النار يتعذبون، وتصله أصواتهم، ويعني ما هم فيه، فيناشده ويدعو ويسأل، فيستجيب له ربه. فيقول بس اصرف وجهي عن النار كما ذكر اللفظ هنا. لا أريد أن أسمع حسيسها، ولا يأتيني من ريجها شيء، لا أكون أشقى خلقك بك. هذا ما ذكرناه قبل قليل، كيف أن الله يجمع العزيز الرحيم. ولذلك الرجل لما يقول: **((وعزتك))** يناشد الله بمعنى عظيم جداً، معنى أنه لا يضرك أن تخرجني من النار، ولا يعني يزيد عندك شيئاً أن تدخلني الجنة. كان الوضع يناسب أن يناشده بالرحمة وللا لا؟ ويقسم بالعزة هنا، بمعنى أنه لا يضرك شيئاً لعزتك، وكما ملكك، وأن أنجو أنا.

يستمطر الرحمة ويقسم بالعزة، ليحقق فقره التام، وغنى الله التام عنه هلاكاً أو نجاة.

**((لا أسألك غيرها))** إلى آخر الحديث حتى يدخل الجنة، وهو في كل مرة يقسم، والله يقول له ما

أغدرك يا بن آدم إلى أن يدخل الجنة، ثم يقول له ربه تمنى، فيظل ما يتمنى ما يشاء من أنواع النعيم.

(1) الطبراني في معجمه الكبير ج 9/ ص 361 حديث رقم: 9763.

فإذا انقطعت به الأمانى يذكره ربه، يقول بقي كذا ما ذكرتها، بقي كذا ما ذكرتها. فإذا انقطعت به هذه الأمانى، يقول الله له هذا لك ما تمنيته، وشوف عاد الخيال والأمانى البشرية إلى أي حدود تصل، **((هذا لك ومثله))** <sup>(1)</sup> هكذا رواية أبي هريرة.

أبو سعيد كان حاضراً يسمع حديث أبي هريرة لا يغير منه شيئاً، ويوافقه على كل ما ذكر، إلا العبارة الأخيرة هذه قال: **((سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول وعشرة أمثاله))** <sup>(2)</sup> ولذلك البخاري ربما ذكرها أو ما ذكرها.

أبو سعيد الخدري في سماعه الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: الله يقول في ذلك الرجل: **(لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ)**.

هذا آخر شخص يخرج من النار ويدخل الجنة. نسأل الله أن يبلغنا وإياكم عفوه وعافيته.  
**قَالَ أَبُو سَعِيدٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ ذَلِكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ** اتفق أبو سعيد الخدري، وأبو هريرة على كل ألفاظ الحديث إلا هذه العبارة الأخيرة.

**(وَقَالَ أَيُّوبُ وَعِزَّتِكَ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ)** أيوب نبي الله أيوب صلى الله عليه وسلم، أصابه بلاء عظيم من رب العالمين، ابتلاه الله ببلاء عظيم. ابتلاه الله في بدنه بالمرض العظيم، أي طالت به السنون، حتى تمزق جلده وتساقط لحمه من المرض، نبي الله أيوب. وازداد بلاء بأن فقد كل ما يملك من الولد والمال. شوف البلاء العظيم هذا، وهو صابر، محتسب، ينتظر فرج الله أيضاً.

فلما انقطعت به أسباب الدنيا تماماً، وعلم وأيقن أن لا ينجيه مما هو فيه، ولا يشفيه مما هو فيه إلا الله جل وعلا، ويئس أن يأتيه من أحد شفاء أو دواء، وتمحض لإخلاصه لله، وتمحض ابتهاله إلى الله **﴿نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** <sup>(3)</sup> جاءه فرج الله، وجاءه شفاؤه سبحانه وتعالى.

فالله جل وعلا قد يتلى العبد ليمحصه، حتى ييأس إنسان من أن يأتيه عز، أو نصر، أو دواء، أو شفاء من غير الله. فإذا علم الله من قلبك هذا التمحض، فانظر فرجه ونصره وشفاءه عن قريب **﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ﴾** <sup>(4)</sup> وتمحض هذا في قلب أيوب

(1) ابن حبان في صحيحه ج 16 / ص 448 حديث رقم: 7427.

(2) البخاري في صحيحه ج 5 / ص 2402 حديث رقم: 6202.

(3) الأنبياء: 83.

(4) يوسف: 110.

صلى الله عليه وسلم، وعبارته تدل على ذلك ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ما بقي لي سبب.

فجاءه عفو الله وشفاءؤه: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾<sup>(1)</sup> قال أهل العلم قوله تعالى لأيوب وهو في غاية المرض: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ وهذا فيه معاناة، وفيه تكلف؛ لأنك إذا اقتربت من مريض أنهكه المرض كما قالوا في التفسير، سبعة عشر أو ثمانية عشر سنة طريح، وتمزعت عليه جلده ولحمه، أن يركض ويبدل أقصى طاقته؛ لأن التشريع الإلهي لا بد فيه من بذل السبب، هذا كله لبذل السبب، وإلا لا المغتسل البارد والشراب هو الشفاء، الشفاء من عند الله، لكن لبذل السبب. كما طلب مريم وهي في المخاض أن تهمز جذع النخلة ليتساقط عليها الرطب وتأكل ﴿وَقَرِّيْ عَيْنًا﴾<sup>(2)</sup> كيف تطلب من امرأة في المخاض لا تستطيع ربما أن تحمل ورقة، أن تهمز جذع نخلة لا يهزها عشرة رجال أشدة أقوياء؟ لبذل السبب

ألم تر أن الله أوحى لمريم وهز ي إليك الجذع تساقط الرطب  
ولو شاء أن تجنيه من غير هزها جنته ولكن كل شيء له سبب  
وكان هذا الموضوع يشبهه موضع ذلك الرجل. كان غاية أمنية أيوب \_ صلى الله عليه وسلم \_ لما فعل به المرض أن يشفى.

المريض عافنا الله وإياكم، نسأل الله أن يشفي مرضانا ومرضاكم، ويعافي مبتلانا ومبتلاكم، ويرفع عنا وعن إخواننا المسلمين كل بلاء، وكل مرض. المريض إذا أعياه المرض، غاية أمنيته الشفاء، عنده استعداد لو يدفع ربما لو كان له الأرض كلها ذهب، يدفعها ويطيب ويشفى، يفعل. ما يريد لا ذهب، ولا فضة، يريد بس يمشي مع الناس، وتعود إليه عافيته.

المرض عافاكم الله وعافنا ينهك، وأثره النفسي عظيم جداً. خاصة إذا طال به، وكان من تلك الأمراض التي أعيت الأطباء. نسأل الله أن يعافينا وإياكم. كيف دواؤها؟ كيف شفاؤها؟ فأثرها النفسي يغلق، لا يريد إلا أن يشفى فقط. ولذلك كانت غاية أمنية أيوب ذلك، فلما تداركه الله بعفوه ورحمته، وشرب، واغتسل، ودبت في أوصاله العافية، ورجعت إليه روحه مثل ما يقولون، جاءت الحاجات البشرية الطبيعية.

(1) ص: 42.

(2) مريم: 26.

الإنسان عندما يشفى، يريد طعام، يريد شراب، يريد يلبس، يريد يأكل، يريد مال، فتبدأ الحياة لها مطالبها. كان قبل، الضر بس يذهب هذا إن شاء الله أكل عيش يابس، بس أنتهي من البلية هذه السرطان ولا المصيبة هذه. صحيح وللا لا؟ الإنسان مسكين بسيط، ولو كان في طراز الأنبياء والرسل، تبقى حكم البشرية.

فلما اغتسل، بينما أيوب يغتسل والعافية دبت، وشفاء الله تنزل عليه، أرسل الله، ألقى عليه جراداً من ذهب كما في الحديث. هنا الحديث، أين هو؟ قال أيوب أنزل عليه ذهباً وهو.. فترك الاغتسال، وبدأ يلم في هذا الذهب ويجمعه.

بدأ الحرص البشري الطبيعي. مادام تعافيت أروح أشوف البيت ايش فيه، نتغذى ويشوف كذا، ويتزوج إذا ما تزوج. يشوف الحياة لها مطالبها وكلها يقوم على المال.

فقال يا أيوب يناديه ألم أغنك عن هذا؟ كانت غايتك وأمنيتك أن تشفى، وقد يئست من جميع الخلق. فماذا تريد بالذهب الآن؟ قال: **((بلى وعزتك))** شوفوا أدب الأنبياء والرسل. **((بلى وعزتك أغنيتني وغناك هو الغنى وشفاك هو الشفا ولكن لا غنى لي عن بركتك))**.

الآن أنا طيب وأريد أن أعيش الحياة كما يعيشها الناس، نحتاج إلى هذا المال، فاعتبره خيراً إضافياً، وبركة من الله. مادام عافيتني، تعطيني من المال ما يقوتني ويقوم بحياتي القادمة. **((بلى وعزتك))** وموضع الشاهد أقسم أيوب صلى الله عليه وسلم بعزة الله وهو صادق ولو لم يقسم.

قوله: **(حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ)** ، **(أَبُو مَعْمَرٍ)** في الصحيح رجالان، في صحيح البخاري من شيوخ البخاري اثنان أبو معمر، لا ثالث لهما في شيوخ البخار في الصحيح.

الأول: مر معنا قبل وهو إسماعيل بن إبراهيم الهذلي، أبو معمر القطيعي، ذكرناه لكم ربما، ذكرناه فعلاً.

أما الثاني هذا أبو معمر الآخر هذا، اسمه عبد الله بن عمرو بن الحجاج، التميمي بالولاء، مولاهم، بصري، حافظ، إمام، ثقة، ثبت. ليس له في البخاري إلا أحاديث قليلة قيل تسعة عشر وقيل عشرين، وغيرها أبو معمر هو الهذلي. توفي سنة مائتين وأربعة وعشرين ( 224). لم يخرج له من الستة مباشرة إلا البخاري وأبو داود.

قال: **(حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ)** هو ابن سعيد التميمي العنبري؛ أيضاً لأن عنبر بطن من تميم، بصري أيضاً، حافظ مشهور، إمام قال عنه الإمام أحمد: "إليه المنتهى"، يكنى أبا عبيدة.

قال: **(حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ)** هو ابن ذكوان المعلم.

قال: **(حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ)** ابن الحصين توأم سليمان بن بريدة المعروفين، يعني وثقه الأكثر.

قال عنه الإمام أحمد: "في نفسي منه شيء"، ووثق أخوه سليمان عليه.

**(عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ)** يحق لك في ميم يعمر الضم والفتح يعمر أو يعمر، أبو سليمان أيضاً الجدلي

القيسي، كان قاضي مرو، إمام مشهور، يعني من علماء اللغة الكبار المحتج بهم.

كيف نصنع الآن؟ تجلسون بعد الأذان؟ لأن الأسبوع القادم لن أحضر عندي ظرف هكذا، نريد

أن نكمل على الأقل هذا الحديث بعد الأذان. من شاء أن يبقى، ومن شاء أن ينصرف لظرفه فيسر الله له.

نسمع الأذان ونكمل شرح هذا الحديث والله الموفق.

نعود لأصل الحديث من أوله قوله: **(حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ)** قلت من شيوخ البخاري رجلان يحملان

هذه الكنية:

• أبو معمر الأول هو الأشهر، أبو معمر القطيعي اسمه إسماعيل بن إبراهيم الهذلي.

• والثاني: الذي معنا الآن أبو معمر عبد الله بن الحجاج التميمي المنقري.

يفترقان، إذا رأيت أبو معمر عن عبد الوارث، مباشرة هو عبد الله بن عمرو المنقري التميمي؛ لأن

الأول أبو معمر القطيعي لا رواية له عن عبد الوارث. وأبو معمر المنقري هذا خصيص بالرواية عن عبد

الوارث بن سعيد بن ذكوان العنبري التميمي.

قال: **(حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ)** قلنا هو ابن ذكوان المعلم و **(عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ)** ابن الحصيب الأسلمي،

يكنى أبا سهل.

**(يَحْيَى بْنُ يَعْمَرَ)** ميم يعمر فيها الفتح والضم: يعمر، أو يعمر، القيسي الجدلي، إمام مشهور كان

قاضي مرو في زمنه، وأحد علماء اللغة. وقيل أنه هو أول من نقط كلمات المصحف، أول من ابتكر النقط

للتفريق بين الباء والتاء والثاء، ينسب إلى يحيى بن يعمر هذا أول من ابتكر النقط للمصحف على وجه

الخصوص، ليحسن الناس القراءة والتفريق بين الحروف والكلمات، وعنه أخذ بعد ذلك، وهو إمام مشهر

أجمعوا على توثيقه.

**(عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ)** هذا صريح وواضح فيما

ينقله ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يستعيد بعزة الله: **(بِعِزَّتِكَ)**.

والعزة هنا المضافة إلى الله، التي هي صفته سبحانه وتعالى. ولقد اتفقنا قبل قليل بإجماع العلماء جواز الحلف، والقسم، والاستعاذة بأي اسم من أسماء الله، أو صفة من صفاته. لكن العلماء يقولون ينبغي على الداعي والمستعيز أن يتخير من أسماء الله ما يناسب الحاجة، ويناسب الطلب. فلما كانت الاستعاذة، الإنسان يستعيز بماذا؟ يستعيز من الشيطان، يستعيز من العدو، يستعيز من الشر عموماً، يستعيز من الباطل، يستعيز من شر نفسه، يستعيز فيناسب أن يستعيز بعزة الله القادر، الغالب، الشديد القوي سبحانه وتعالى أن يمنعه جل وعلا من شر كل ذي شر، مناسب ذلك وطيب، وكذلك يعني ما يجري في هذا المعنى.

فقوله: **(بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)** قال العلماء: ناسب إدخال عبارة التوحيد هذه لا إله إلا أنت في موضع الاستعاذة هنا؛ لأن من أهم وأعظم وسائل التزلف إلى الله، والتقرب إليه. أنت عندما تدعو وتستعيز، تتقرب إلى الله، تتزلف إليه، تريد أن تستنزل من الله عليك الرحمة، والرضوان، والمغفرة، والنصرة، والعزة. فلا بد تتزلف إليه بعمل صالح، وأعظم ما يتزلف به إلى الله الثناء عليه. لا أحد أحب إليه المدح من الله، الله عز وجل \_ يجب أن يمدح. فبقدر ما تثني عليه، وبقدر ما يكون تزلفك وتقربك إليه عظيم، وبقدر ما يقبلك الله سبحانه وتعالى ويعطيك سؤالك.

وأعظم ما يثني به على الله، إفراده بالتوحيد والألوهية، التي هي حقه الأعظم الأكبر سبحانه وتعالى. لكن ناسب هنا **(بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)** يتقرب بهذه العبارة الرسول عليه الصلاة والسلام التوحيدية العظيمة، التي يحبها الله سبحانه وتعالى، ويجب أن يثني العباد بها عليه، وفيها معنى التجرد لله أنك أنت إلهنا، وربنا، لا إله لنا إلا أنت، ولا معاذ وملاذ بنا إلا أنت. فيوشك أن تقع استجابة الله، وتعويذه لنا، وإنزاله عزته ورحمته علينا بهذا التزلف العظيم.

**(الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لَا يَمُوتُ)** قال العلماء قوله: **(بِعِزَّتِكَ)** وصف ثبوتي، أثبت لله العزة بمعانيها الشريفة الجليلة، واستعاذ بها.

**(الَّذِي لَا يَمُوتُ)** وصف سلبي يجب أن يُنفى عن الله، أن الله عز وجل حي لا يموت. وهذا معنى طيب ومناسب لهذا الموضع في الاستعاذة؛ لأن غير الله مما يستعاذ به ربما، حكمه إلى الفناء. غير الله من بشر أو أي قوة تفرسها، يمكن أن تُطرح معاذاً أو ملاذاً، أو يظن الإنسان أن فيها ملجأ له، ومعاذاً غير الله سبحانه وتعالى، حكمها إلى الفناء، والبوار، والقلة، والضعف.

فلا يناسب أبداً أن تنزل استعاذتك، ومنتهى طلبك بمن حكمه إلى الفناء، والبوار، والزوال، لا ينصرون أنفسهم، ولا ينصروننا؛ ولذلك عبر أتى بكلمة **(الَّذِي لَا يَمُوتُ)** فالباقي الذي لا يموت، الحي الذي لا يموت، العزيز الذي لا يموت، وهو اللائق أن يستعاذ به، ويدعى، ويرجى، ويوحد، ويُعبد بكل أنواع العبودية سبحانه.

**(الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ)** هذه العبارة العظيمة في هذا الحديث النبوي، دليل قطعي على أن حكم الفناء يلزم الجن والإنس؛ بل حكم الفناء لازم وصف ذاتي لكل ما سوى الله. كل ما سوى الله إلى الفناء. لكن الفناء يتنوع، منه ما ينتهي إلى الموت، وهم عموم الأحياء: الجن، والإنس، والبهائم، ومن في معناهم. وقد يكون الفناء الكامل، والتلاشي، والزوال، والتبدل، والتغير **﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾**<sup>(1)</sup> الأرض هذه التي تشوفها تزول تماماً، ويأتي شيء آخر غيرها. السماوات التي تراها كلها تزول، وتبدل بغيرها. انتبهتوا إلى هذا وللا لا؟  
نعم هناك أشياء أعطاه الله حكم البقاء، لكنها في الحكم التقديري العقلي الأصلي حكمها الفناء. ولولا أن الله أعطاه هبة البقاء، لطلها حكم الفناء كغيرها.

هناك أشياء خلقها الله للبقاء لا تفتنى، الجنة، النار، العرش على الصحيح، الروح، عجب الذنب كما جاء في الحديث: **(يَفْنَى بَنُو آدَمَ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ))**<sup>(2)</sup> واللوح المحفوظ، ذكرت من الأشياء ثماني أشياء، ذكروا أنها لا تفتنى. هي لا تفتنى ليس وصفاً ذاتياً لها. هذا وصف الله أعطاه لها. فالله سلب عنها حكم الفناء، وأعطاه حكم البقاء. فهي مستفيدة هذا الوصف من غيرها، وإلا حكمها حكم كل ما سوى الله إلى الفناء والنهاية.

**(وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ)** فاستعد إذن بالحي الذي لا يموت، ودع عنك كل ما سوى الله. قال بعض الشراح أيضاً فائدة جميلة. قالوا لعل النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر هذا، كان يريد بذلك اجتناب ما ربما بقي في قلوب العرب، مما كان من عقائد الجاهلية، التي كان في الجاهلية، وهم كانوا في الجاهلية يخافون جداً من الجن، وذكر الله ذلك عنهم في سورة الجن: **﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ**

(1) إبراهيم: 48.

(2) ابن حنبل في مسنده ج 2 / ص 428 حديث رقم: 9524.

**يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴿١﴾ لما وجدوهم يخافونهم، تجرؤوا عليهم أكثر، فزادوهم رعباً ورهقاً؛ لأن الذي يستدل ويستضعف حقه من المقابل له أن يتمكن منه. وللا لا؟

كلما تعززت، كلما منعت العدوان من غيرك عليك. فلا يجوز لأحد أن يستضعف نفسه؛ لأنك

تجرئ غيرك عليك. وهذا قد يكون باقي عند كثير من الناس، الخوف من الأشباح، والأرواح الشريرة،

والجان، والشيطان، وكذا، وتجند عند الناس رعب عظيم. أعرف رجال بلحاهم، ما يعرف يقعد في غرفة

لوحده، مريض يعني عنده مشكلة. فهذا لا بد أن يجثث من قلبه هذا الخوف من غير الله **(وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ**

**يَمُوتُونَ)** هذا الجان ربما يخاف منك أكثر مما تخافه أنت. ولو كنت لا تراه وهو يراك. وعندك التعوذ بالله

سبحانه وتعالى هو مصدر القوة عندك.

ذكروا في تفسير سورة الناس: **﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ**

**شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾** (2) الأب الأكبر للشيطان وهو إبليس، هذا الذي يفعل بالعالم الأفاعيل، وصفه

القرآن بأنه خناس، أي يضعف، ويدبل، ويصغر، وهو يندحر. كيف ذلك؟ من شره من الاستعاذة منه

**﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾** الاستعاذة بملك الناس إله الناس.

ذكروا حديث رواه الطبري بأسانيد لا بأس بها، يقول فيها النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ : **((يأتي**

**الشیطان على الإنسان كهياة الجبل))** في البداية بداية المعركة، أنت تشوف حجمه وهو كالجبل. فلو

تصورت هذا تموت **((فإذا استعاذ بالله))** الإنسان استعاذ بالله **((خنس))** (3) فلا يزال يخنس حتى يصبح

كالذبابة. هذا الذي يراك ولا تراه.

وإذا غفل الإنسان، ولا راح ولع لي بخور، ولا جاب لي خيطين حطها في حلقة، ولا جاب لي

خرايط يصنعونها، لعب فيه وسوى فيه الأفاعيل، لا يجعله ينام، ولا يأتي أهله، ويفعل به الأفاعيل الشيطان،

ويجعله لا يعرف يصلي، ولا يقرأ قرآن، ولا يصوم، ولا يصنع شيء. يصبح مجنون ضائع في حياته.

اذكر الله، استعد بالله، قوة عظيمة عندك. فلا يزال يخنس كالذبابة يصبح، هذا الذي كان في البداية

جبالاً عظيماً. ومصدر ذلك من داخل الإنسان، لا داعي لهذا الرعب، وهذا الخوف، لا داعي له.

(1) الجن: 6.

(2) الناس: 1-4.

(3) ابن حنبل في مسنده ج 5 / ص 365 حديث رقم: 23141.

لما نسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول عن عمر بن الخطاب: **((ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك))**<sup>(1)</sup> كيف تفهم هذا إلا بهذا؟ عمر لا يتميز عن غيره بأنه مثلاً له خمسة رؤوس، ولا يرى ما لا يرى الناس. لا، عنده الناحية النفسية قوية جداً. الناحية النفسية بطبيعته، ورجولته، وزاده الله بإيمانه خيراً عظيماً.

الشیطان الذي دوّخ العالم لا يستطيع، مع أنه يراه ولا يراه. فتستطيع أن تصل إلى شيء من ذلك. عنوان ذلك تعزّي بعزة الله، واجعل الخوف كله إلى الله سبحانه وتعالى، وانظر كيف تصنع بالعالم هذا كله مو بس عالم الشياطين، كل الشياطين الإنس الجن، يعملون لك ستين ألف مليون حساب بعدين. أما إذا قعدت هكذا كفين وتمشي.

**(وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ)** حكم الله على كل ما سواه. فالحي الذي يموت هو الله سبحانه وتعالى. فإذا انتزع الله.. انتزعت من نفسك الخوف من كل ما سوى الله سبحانه وتعالى، وجعلت معاذك وملاذك رب العالمين، والله لا يضرّك شيء، ولا تخشى من شيء، وكل ما تسمعه وتراه وهم، والله وهم، ولا يروح عند الأطباء النفسيين ويبدوون يخبطون به بالحبوب هذه، وبهلوسونه زيادة. بعزتك **(أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ)** ينقلب الحال من حال إلى حال. نكتفي بهذا القدر إلى الإقامة، الإقامة تقيم على وقت العادة لا تزيد ولا دقيقة. انتهى خلاص؟ نأخذ سؤالين.

## الأسئلة:

**سؤال:** هذا يقول ما معنى كلمة "العزیز" في سورة يوسف **﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾**

**جواب فضيلة الشيخ:** هي لن تخرج من أحد المعاني: معنى السيد، أو الشريف، أو المتمكن في هذه

الأرض، يسمى عزيزاً.

\_\_ هذه خطبة جمعة إن شاء الله يوم الجمعة، وهذه درس آخر يوم الجمعة القادمة.

(1) أخرجه الحكيم (1/133).

**سؤال:** انتشر في هذا الزمن من يدعي علم الغيب في القنوات...؟

**جواب فضيلة الشيخ:** يعني سبحان الله ادعاء علم الغيب كفر. كل من زعم أنه يعلم الغيب

لسبب مادي من قراءة نجوم، أو أبراج، أو كف، أو كذا، أو بأسباب موهومة من استعانة بجان، أو نحو ذلك، فهو أولاً كاذب، كاذب أفاك أشر. ثم هو كافر على الصحيح المحقق أن علم الغيب من خصائص الله رب العالمين، علم الغيب من خصائص ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(1)</sup> سبحانه وتعالى. فيجب تكذيبهم، ورد إفكهم. ثم هم لما يدعون علم الغيب، ماذا يقولون للناس؟ أنا أسأل ماذا يقولون للناس؟

لما أتى أنا أقول اقرأ لي برج. أنت تقرأ الأبراج قال أنا برجى مثلاً إيش أحسن برج؟ شوفوا لنا برج حلو كذا. العقرب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، القوس مثلاً، ولا الحوت، ولا يقل لك والله إنت يعني مثلاً الأسبوع القادم سيأتيك خبر مزعج، وربما يأتيك مكسب مالي. وإذا حسبت حسابك بدقة، ستفادى مشاكل كثيرة ربما تعرض لك. أنا أقول لك هذا كلام من ما أقرأ أبراجك. هذه قراءات تقرأها، هذه عمره أحد يعيش أسبوع دون أن تأتيه مشكلة، دون أن يأتيه خبر مزعج، دون أن يأتيه خبر مفرح. هكذا الحياة ما يمكن يمر عليك أسبوع دون أن يأتيك من هنا خير يزعجك، وهنا خير يفرحك، وهنا مكسب مالي، ومن هنا خسارة في كذا، من هنا مشكلة.. ما تخلو الحياة منه، هذه طبيعة الحياة. ما دام أنك حي في الأحياء، ما تخلو من شيء. فهو يعطيك كليات عامة تصيب في الغالب، لكن هل يستطيع أن يقول لك يوم الاثنين الساعة العاشرة سيصيبك حادث عند إشارة المرور عند الشارع الفلاني؟ ما يقدر، ما يقدر؛ لأنه يقولها لك ما صار، طلع كذاب أمامك. ما يستطيع يقولها؛ لأنه لا يعلم، ما يعرف، فيعطيك أشياء كلية عامة.

علي بن أبي طالب خرج في غزوة من الغزوات، في حرب الخوارج، وأتاه أحد المنجمين قال يعني العقرب في برج نحس النحوس، وماني أعرف كذا، فالجرب خاسرة. قال نغزو بسم الله، وتكديماً لك، وإنا إن شاء الله لمنصورون. فكان أعظم غزوة بورك له فيها هي هذه، لما ذرأ الله به شر الخوارج في ذلك الوقت. ما بورك له في غزوة مثلها، التي قيل له انصرف عنها. وقصة عمورية مشهورة والله أعلم.

(1) النمل: 65.

وصلى الله وسلم على رسوله. اللهم وفقنا لما تحب وترضى. اللهم ألهمنا رشدنا. اللهم قنا شر أنفسنا. اللهم زدنا علماً وإيماناً و يقيناً. اللهم صلي وسلم على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه. والأسبوع القادم نعتذر إليكم، و نلتقي إن شاء الله فيما بعد والسلام عليكم ورحمة الله.



## الدرس العاشر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بسم الله الرحمن الرحيم. نحمد الله ونشكره ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً. أعتذر أولاً عن الانقطاع الذي حصل للأسبوعين السابقين، ونواصل درسنا في كتاب التوحيد من الجامع الصحيح.

— كنا قد ابتدأنا في **(باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)** والآيات التي ذكرها البخاري رحمه الله \_ في هذا الباب المتعلقة بإثبات هذه الصفة العظيمة من صفات ربنا تعالى، وهي صفة العزة. وتدارسنا ما يتعلق بالآيات والأحاديث المتعلقة. وبقي الكلام عن الحديثين المسندين، اللذين أخرجهما البخاري رحمه الله في هذا الباب.

فقال البخاري \_ رحمه الله \_ : **(حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا حُسَيْنُ الْمَعْلَمِ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ) الحديث.**

هذا الحديث ظلم حقيقة من قبل الشراح. فما شرح حسب ما رجعت بين كتب الشروح أصلاً، بما في ذلك الحافظ هنا في الفتح، فإنه لو تقرأون عندكم، الحافظ تكلم عليه بكلام يسير جداً في أسطر قليلة، ثم قال: "وقد تقدم الكلام عليه في كتاب "الدعوات"، وفي كتاب "الأيمان والندور". والحقيقة أن الحديث لا وجود له أصلاً في كتاب "الدعوات"، ولا في كتاب "الأيمان والندور".

لا يوجد أصلاً في البخاري كله إلا في هذا الموضوع في كتاب التوحيد. إلا أن البخاري علقه في كتاب "الأيمان والندور" مختصر جداً في باب هناك إذا رجعتم إليه "باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول أعوذ بعزتك" فقط. والحافظ نفسه هناك قال هكذا رواه البخاري معلقاً هنا، أو ذكره معلقاً.

ثم قال الحافظ: "وقد رواه البخاري موصولاً في التوحيد، وسيأتي شرحه هناك، يعني هنا في التوحيد. وهنا رجعنا إلى "الأيمان والندور"، فأصبحت لا في "الأيمان والندور"، ولا في "الدعوات"، ولا في "التوحيد" شرح.

قد يلتمس للحافظ عذر في ذلك، تباعد المسافات الزمانية؛ لأن الكتاب هذا أخذ دهرًا طويلاً من حياة الحافظ بن حجر \_ رحمه الله \_ في الشرح، نحو ربع قرن من الزمن، خمسة وعشرين سنة. فربما لما وعد في كتاب "الأيمان والندور" بشرحه في كتاب "التوحيد"، مضى على ذلك ثلاث، أربع، خمس عشر سنوات. فلما جاء، ظن ربما، أو غلب على ظنه أنه سبق الكلام عليه، فأحال على ما تقدم. ولذلك يحتاج أن نقف قليلاً مع هذا الحديث، يعني بما ييسره الله عز وجل. أولاً وافق مسلم \_ رحمه الله \_ البخاري في إخراج هذا الحديث، فالحديث متفق عليه . في صحيح مسلم أيضاً يوجد في موضع واحد، في "كتاب الدعوات والأذكار" في آخر صحيح مسلم. ومسلم أخرج الحديث بزيادات في السند، وزيادات في المتن أيضاً في النص.

أما الزيادة في السند، فمسلم أخرج هذا الحديث بنفس السند الذي أخرج به البخاري الحديث، بزيادة شيخ، يعني لم يخرج مسلم من حديث أبي معمر؛ لأنه لم يدركه؛ وإنما احتاج أن يخرج من طريق شيخ له اسمه الحجاج بن الشاعر قال: حدثنا معمر عن عبد الوارث، بنفس السند إلى ابن عباس.

ولفظ الحديث عند مسلم فيه زيادات: أوله: قال النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_: ((اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت أعوذ بعزتك))<sup>(1)</sup> الشطر الأول هذا كله من انفردات مسلم عن شيخه الحجاج بن الشاعر دون البخاري. ثم يشترك أو يلتقي مع نص الحديث في البخاري ابتداءً من قوله \_ عليه الصلاة والسلام \_: ((أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت أن **تضلني**))<sup>(2)</sup> هذه أيضاً زائدة عند مسلم، وهي مهمة جداً؛ لأنها هي المستعاذ منه. إذا استعذت بالله، لا بد

(1) مسلم في صحيحه ج 4 / ص 2086 حديث رقم: 2717.

(2) مسلم في صحيحه ج 4 / ص 2086 حديث رقم: 2717.

تستعيذ به من شيء ما، من الفقر، من الجهل، من الكفر، من الذنوب، من الشياطين، من الكفار.. لا بد  
تستعيذ من شيء.

هنا الحديث عند البخاري ما ذكر المستعاذ منه، ذكر عند مسلم وهو قوله: **((أعوذ بعزتك الذي لا  
إله إلا أنت أن تضلني))** فالاستعاذة من الضلال، أو أن يقع في الضلال.  
زاد مسلم أيضاً: **((أنت الحي الذي لا تموت))**. جملة **((أنت الحي))** أيضاً من انفرادات مسلم،  
وليست موجودة في نص الحديث عند البخاري. **((الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس  
يموتون))** متفق عليه.

ولذلك الذين ألفوا الكتب الجمع بين الصحيحين، كالحميدي مثلاً، وبعد الحق الإشبيلي، في هذا  
الموضع احتاجوا أن يفرقوا.

الحميدي مثلاً في "الجمع بين الصحيحين" لما ذكر مسند ابن عباس، ذكر المتفق عليه من حديث  
ابن عباس، ما اتفق عليه الشيخان. فلما جاء هنا ذكر هذا الحديث بلفظ مسلم، ثم قال: "هذا لفظ مسلم  
وأما لفظ البخاري فذكر هذا اللفظ المختصر وقال ولم يزد البخاري على ما ذكر". فاحتاج أنه فيه زيادات  
كثيرة كما سمعتم.

ثانياً: قول البخاري في السند: **(حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ)** قلت لكم في شيوخ البخاري في الصحيح اثنان  
أبو معمر، الأشهر منهما والأكثر ذكراً في الصحيح هو أبو معمر القطيعي، واسمه إسماعيل بن إبراهيم  
الهدلي، إمام مشهور، وليس هو هذا.

أما هذا الذي معنا الآن أبو معمر، اسمه عبد الله بن عمرو المنقري التميمي، ذكر بالرواية، لكنه مقل  
جداً، ولم يرو عنه مباشرة من أصحاب الكتب الستة سوى البخاري وأبو داود.

أما مسلم والبقية، فاحتاجوا أن يرووا عنه بواسطة. لذلك قلت لكم قبل قليل، رواه مسلم عن  
حجاج بن الشاعر، عن أبي معمر الذي هو شيخ البخاري هنا.

قال: **(حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ)** هو ابن سعيد بن دكوان، أيضاً تميمي عنبري. العنبر بطن من تميم.  
أخرج له الجماعة، ثقة، إمام مشهور.

قال: **(حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ)** هو ابن دكوان المعلم.

قال: **(حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ)** أو يعمر، في الميم وجهان.

(عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ) نحن نشرح ما يفتح الله به على لفظ

البخاري؛ لأنه هو مسؤوليتنا الآن، ونذكر ما يتعلق بالزيادات عند مسلم إذا احتجنا لشيء من ذلك.

(أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ) الاستعاذة هي طلب العون، وهو

الالتجاء، والاعتصام. العوذ هو تطلب ما يعيدك، ويمنعك، ويحفظك من الوقوع في مكروه ما، أو يصلك مكروه ما. ولذلك اتفق علماء أهل السنة على أن الاستعاذة إحدى أنواع العبادات العظيمة، التي نتعبد بها رب العالمين \_ جل وعلا \_ بمعنى أننا لا يجوز في حقنا نحن المسلمين، المؤمنين بالله تعالى، الذين نعتقد أن الأمر كله بيد الله سبحانه وتعالى، هو الذي يملك الأمور، وهو يديرها ويصرفها كيفما يشاء. لا معاذ، ولا ملجأ، ولا مفرج من الله إلا إلى الله سبحانه وتعالى.

فلا يقي من الآثام، ولا من الشرور، ولا من العدو، ولا من المرض، ولا من الفقر إلا الله سبحانه

وتعالى، فوجب عبادة أن تكون الاستعاذة من حقوق الله. والعبادات التي نصرها ونتعبد بها ربنا سبحانه وتعالى.

والنبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ هنا يعطينا نموذج في ذلك بقوله: (أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ) وهذا يدل على

أن ضد ذلك، بمعنى الاستعاذة بغير الله، سيؤدي إلى صرف هذه العبادة لغير الله، وهذه إحدى صور الشرك بالله سبحانه وتعالى، والدليل الواضح على ذلك، ما كان العرب في الجاهلية يفعلونه ويصنعونه من الخرافات التي كانوا فيها، والشركيات التي كانوا يصنعونها، أنهم كانوا يستعيذون بملوك وعظماء الجان \_ العالم الخفي الذي يعني ذكره يرعب الناس \_ ممن تحت أيديهم وتصرفهم من سفهائهم.

فجاء في سبب نزول قوله تعالى في سورة الجن المشهور في القرآن العظيم قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ

رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾<sup>(1)</sup> ذكر الواحدي وغيره في أسباب النزول، أن

العرب في الجاهلية كانوا إذا سافروا فنزلوا وادياً، يقلبون فيه أو يبيتون فيه، قالوا: نعوذ بعظماء أو كبراء أهل هذا الوادي من شر سفهائه أو كما يقولون، يعني يستعيذون بما يعتقدونه أو يظنونه من ملوك الجان وكبرائهم، حتى يعيذوهم من تسلط وأذية سفهاء الجان.

فلما رأَت الجن تذلل الإنس لهم، واستعاذتهم بهم، فرما ليس في ذلك الوادي إلا سنكوح جان ما

عنده لا ملك ولا شيء، فتسلط عليهم. هذا شيء طبيعي إذا تذلت لأحد، استأسد عليك، هذا شيء

(1) الجن: 6.

من طبائع الناس، ومن واقع الحياة المشهود، فاستأسدوا عليهم فزادوهم أذية ورهقاً، وازدادوا أولئك لهم رعباً وخوفاً، والتجاء واستعاذة

فذكر الجان هذا؛ لأن القرآن يحدث عن خطاب الجان، أنهم كانوا يفعلون ذلك بالإنس لما كانوا في الجاهلية يستعيذون بهم. فدل هذا على أن الاستعاذة بغير الله سبحانه وتعالى من صور الجاهلية، ومن صور الشرك التي لا يجوز لمسلم يؤمن بالله سبحانه وتعالى واليوم الآخر أن يفعلها. والاستعاذة حق لله سبحانه وتعالى؛ لأنها طلب الملجأ والمفرج، والذي يملك الأمور، ويدبرها، ويصرفها، ويقي من كل شر، ويجلب كل خير، اعتقاداً عندنا ويقيناً هو الله رب العالمين سبحانه وتعالى، لا الجان، ولا الشيطان، ولا غيره.

واختيار العزة في قوله: **(أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ)** مناسب؛ لأن العوذ وطلب اللجوء هو من ضعيف، فقير، محتاج، لا يملك أن يدفع عن نفسه إلى قوي، قادر، عزيز، غالب، يملك أن يدفع، ويملك كل شيء سبحانه وتعالى.

فاختيار صفة العزة من صفات الله لتكون هي المفرج، والمعاذ، والملجأ في كلام رسول الله \_ عليه الصلاة والسلام \_ مناسب لهذا الوضع ولهذا الحال.

وقوله: **(بعِزَّتِكَ)** تحقق يعني عند أهل السنة مقصدين شرعيين كبيرين:

المقصد الأول: كما هو واضح وكما هو مقصود البخاري هنا في هذا الباب، إثبات صفة العزة لله \_ جل وعلا \_ من كلام رسوله \_ عليه الصلاة والسلام \_ الذي هو أعلم الخلق، وأعرفهم بالله، وأقداره سبحانه وتعالى، وكمالاته وصفاته. وهذا واضح كما مر في الآيات السابقة، وهذا الحديث من ضمن الأدلة لإثبات هذه الصفة العظيمة الجليلة، صفة العزة على معانيها التي تكلمنا عليها في الدرس الماضي قبل أن نتوقف للانقطاع الماضي.

والمقصد الشرعي الثاني، وهو مهم جداً، يحقق لأهل السنة مقصد أن كل صفات الله سبحانه وتعالى غير مخلوقة. العزة، والرحمة، والعلم، والكلام.. وغيرها. ولذلك ساغ الاستعاذة بها؛ لأنها لو كانت مخلوقة على ما يقوله الطوائف الضالة المبتدعة من معتزلة، ومعتزلة، وغيرهم، لما ساغ أن يُستعاذ بمخلوق. ولذلك يستدل أهل السنة كثيراً لإثبات أن الكلام وهو إحدى صفات الرب جل وعلا، ومنه القرآن غير مخلوق، بالأحاديث الثابتة الكثيرة التي علمناها النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ كقوله مثلاً: **(من قال حين يصبح وحين يمسي أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق))** <sup>(1)</sup> أليس هذا حديث ثابت في

(1) ابن حبان في صحيحه ج 3 / ص 300 حديث رقم: 1022.

مسلم وغيره؟ فيستعبد بكلمات الله، فدل على أن كلمات الله غير مخلوقة؛ لأنه لا يسوغ شرعاً في كلام النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ أن يستعبد بمخلوق. هنا استعاذ بالعزة، هناك استعاذ بالكلمات. انتبهتوا وللا لا؟ وقد يستعاذ بغيرها من صفات الله، ففيها مقصد إثبات الصفة، وفيها أن صفات الله كلها غير مخلوقة، وصفات الله سبحانه وتعالى لا أولية لها كما قرناه ربما في دروس سابقة. بمعنى أن الله \_ عز وجل \_ لم يكن قط معطلاً عن صفة من صفاته العظيمة، ثم استفادها بعد ذلك.

صفاته قديمة لا أول لها، قدم ذاته سبحانه وتعالى التي لا أول لها، هذا من اعتقادات أهل السنة

المشهوره.

وقوله: **(الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)** أيضاً مقصد توحيدى جليل عظيم. قلت قبل قليل أن أهل السنة

من عقائدهم المشهوره، أن الاستعاذة من صنوف العبادات التي لا يسوغون ولا يجوزون تحت أي صورة صرفها لغير الله، فهي توحيد، وعبادة الاستعاذة بالله.

إذا أردت أن تستعبد، فاستعذ بالله سبحانه وتعالى، على ما أمر الله **﴿وَأَمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ**

**نَزَعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾** (1) **﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾** (2).

الاستعاذة بالله حقه؛ لأنه هو الذي يملك ويقدر على أن يصرف عنك ويدفع عنك. وصرّفها لغير

الله جل وعلا سيهدم هذا الأصل التوحيدى، ويدخل الشرك على هذا المستعبد بغير الله.

قوله \_ عليه الصلاة والسلام \_: **(الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)** يحقق هذا المقصد؛ لأن هذا كلام نبوي.

ما علاقة **(أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ)** فأدخل هذا التهليل **(الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)** في موضع الاستعاذة؟

لينبه، ويبين، ويؤكد \_ عليه الصلاة والسلام \_ أن الإله الحق الذي يجب أن يُعبد، ويوحّد، هو رب

العالمين \_ جل وعلا \_ . وهذه هي إحدى صور العبادة وهي الاستعاذة.

واختار صفة العزة لمناسبة الحال، أنه يستمطر قدرة الله، وقوته، وعزته، ليدفع عن نفسه الشر،

والضلال، والإثم، ونحو ذلك.

لا وجه لذكر هذا التهليل **(الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)** هنا إلا لذلك.

(1) الأعراف: 200.

(2) النحل: 98.

هذه مثل الحكمة، أو ممكن المقصد التفسيري، الذي ذكره بعض أهل التفسير في الآية التي في سورة الأعراف، وهي إحدى الأدلة المشهورة التي يذكرها العلماء، الدالة على عموم رسالة رسول الله \_ عليه الصلاة والسلام \_ للناس جميعاً؛ بل للجن والإنس إلى قيام الساعة.

من الأدلة المشهورة في ذلك، الآيات التي في سورة الأعراف، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾<sup>(1)</sup> ثم أدخل التهليل ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>(2)</sup> ما وجه إدخال هذه الجملة؟ يسمونها جملة اعتراضية بعض اللغويين، جملة اعتراضية. صدر الآية إخبار، أمر من الله لرسوله أن يخبر الناس ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الجملة تامة، فدخلت جملة اعتراضية فصلت المقدمة عن نتيجتها،

والجملة الاعتراضية هذه تهليل ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا﴾ ما وجه إدخال هذا التهليل؟ تنبيه، ذكروا من الحكمة أنه تنبيه على أن هذا الرسول هو الوحيد الباقي، ورسالته هي الوحيدة الباقية، التي تدل على طريق الله، وتوحيد الله. فأبي طريق يُسلك غير طريقه، وأي تعبد يُتبع غير تعبد، وأي منهج يُنهج غير منهجه، لا يؤدي إلى تحقيق (الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ).

لا بد من جملة اعتراضية لا بد، لها فائدة، هذا كلام قرآن ما هو حشو ألفاظ، وهذا كلام نبوة أيضاً كذلك، أدخل التهليل بين الاستعادة، وما رتبوا عليها بعد ذلك من افتقار الجن والإنس إليها، وأنهم لا يملكون أن يعيد بعضهم بعضاً؛ لأنهم جميعاً في حكم الفقر والفناء والموت كما سنذكر. وإدخال هذا التهليل واضح جداً على أنه إشارة صريحة، صريحة يعني ليست حتى ربما بعيدة، أن تحقيق لا إله إلا الله، أو من ضوابطها، أو من فرائضها، أو من مقاصدها، أن تكون الاستعادة بهذا الإله، يستعاذ به سبحانه وتعالى لأنه لا إله إلا هو. فإذا استعيد بغيره، انخرم وانهدم هذا الأصل الجليل، أصل (الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ). والاسم الموصول (الَّذِي) يدل على ذلك.

(أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ) كأنه كما يقول بعض اللغويين قدر سؤالاً. لما قال: (أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ) قدر سائل سأله لماذا تعوذ بعزة الله يا رسول الله؟

فالجواب: لأنه هو الذي لا إله إلا هو، فيحقق مقصدين:

أن أعبد؛ لأنه لو استعذت بغيره، أشركت به فغضب علي. والشرك كما تعرفون لا يغفره الله.

(1) الأعراف: 158.

(2) الأعراف: 158.

والثاني: لعلمي أنه هو الإله الحق، وبالتالي هو الذي يملك أن يعيذني. ولو استعدت بأهل الأرض كلهم، ولم يرد هو أن يعيذني ما أعاذني. ولو أعاذني هو وعصمني، ما نفعني ولو اجتمع علي أهل الأرض حراسة وحيطة ونحو ذلك.

مقاصد جليلة وعظيمة أفادتها هذه الجملة التي ممكن نسميها اعتراضية، في هذا التهليل العظيم وهو قوله: **(الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)**.

**(الَّذِي لَا يَمُوتُ)** في مسلم: **(أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ)** أيضاً يعني هذا وصف كما يسمونه يعني أهل العلم، وصف سلمي، سلب عن الله صفة الموت، الدال على كمال الحياة والقيومية؛ لأن السلوب إذا جاءت في النصوص، ليست لمحض السلب كما يقرره علماءنا؛ وإنما لإثبات كمال ضد المسلوب. فإذا قلت الله الذي لا يموت؛ إنما تريد أن تثبت كمال حياته، وقيوميته، وقوته، فلا سبيل للموت عليه. حينما تقول **﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾** <sup>(1)</sup> تثبت كمال العلم، والإحاطة ونحو ذلك، كما تنفي الصاحبة **﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾** <sup>(2)</sup> كما الوحداية، والصمدية، وتنفي العجز لا يعجزه شيء لكمال القدرة والقوة وهكذا.

وليس في نصوص الشرع سلب لأجل السلب؛ وإنما سلب ليضيف معنى كمال ضد المسلوب كما هنا: **(أَنْتَ الْحَيُّ)** هذا وصفه **(الَّذِي لَا يَمُوتُ)**.

والتوظيف لهذا الوصف، أو إدخاله هنا ليعطي التمام في الاستعاذة، أن الحي الذي لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، هو الأحق أن يستعاذ به ممن يموت، ويفنى، ويضعف، ويجهل، ويفقر، ولو ظهر أمام الناس ربما في صورته مقتدر وقادر ومالك، فإن هذه الصورة لا تخفي الحقيقة، لا تخفي حقيقة فقر الجن والإنس والخلق كلهم، **﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾** <sup>(3)</sup>.

**(وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ)** تنصيص النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ على الجن والإنس يموتون، لعلني أقول والعلم عند الله، ليجتث \_ عليه الصلاة والسلام \_ كل ما ربما باقي في نفوس العرب الذين هم يعالجهم الآن، وما بعد ذلك ممن كان ترسبت في أذهانهم وعقولهم الاستعاذة بالجن، وأن الجن كأنهم يملكون

(1) البقرة: 255.

(2) الجن: 3.

(3) سبأ: 22.

الخوارق والقدرات الهائلة، يفعلون بنا ما يشاؤون، كأن هذا مترسب في.. فيخبرهم عليه الصلاة والسلام أنه كما أنكم أيها الإنس ترضون، وتضعفون، وتجهلون، وتغفلون، وتموتون.

الجن يشملهم هذا الحكم القدري. ففيهم من الفقر، والضعف، والقلة، والذلة، والفناء ما فيكم. فلا معنى إذن إلى أن تستعيز بمن هو مساوي لك في هذا الحكم القدري؛ لأن يعني الفقير يستجير بفقير، هذا أولاً من الخلل الشرعي العظيم الموجب للشرك، وفيه فوات المقصود، ما يعيدونك، ما يعيدونك. لكنهم تسلطوا رهقاً على العرب قديماً في الجاهلية، كما ربما يتسلطون الآن على جهال المسلمين؛ لأنه العقيدة هذه، أو الخرافة هذه بالأصح، اعتقاد أن الجن يستطيعون يفعلون بنا ما يشاؤون، وأنهم لو شاؤوا لقتلونا، ولو شاؤوا لفعّلوا بنا، فيصبح في أذهان الناس رعب وخوف من هذا العالم الخفي.

وبمجرد ذكر اسم الجن أو هذا، يضطرب المضطرب، ويرتجف المرتجف وكأنك يعني.. يُذكر الله، وحدود الله، وحرمت الله، ما يرف لهم، مشكلة هذا الشرك الخوف دخلنا فيه إذن. فهمتوا وللا لا؟

ولو خفنا من الله \_ جل وعلا \_ وخشيناه حق خشيته، لأخاف منك الجن والإنس. أما قال عن عمر بن الخطاب: **((لو رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا وسلك فجاً غير فجك))** وماذا يملك عمر من قدرات بدنية أو كذا زائدة على الناس؟ وهو يتعامل أو يجارب عدواً لا يراه عمر، وهو يراه، أي عنده قدرات زائدة ربما في ظاهر الحال، ومع ذلك هو الفار الهارب، الخائف، المذعور من عمر، وممن هم من طرازه، فانقلب يعني.

بقدر ما تخشى الله، وبقدر ما تراقب الله، وبقدر ما يقع في قلبك من توقيير الله، يخيف الله منك من ربما بحساباتك المادية لا تستطيع أن تواجهه بشيء. والله يقول في القرآن: **﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**<sup>(1)</sup> فيعني يجب على المسلم أن يعتز بعزة الله، ويملاً قلبه من خوف الله سبحانه وتعالى، ومراقبته، ويجعل كل ملاذه، وعوده، واستعانتته بالله سبحانه وتعالى، فلا يخاف لا من جان، ولا من إنسان، ولا من شيء.

ونزيل هذا الرعب الذي في قلوب الناس والعالم هذا عالم الجن. نؤمن به لاشك، وهو ثقل مكلف مثلنا، يجري عليه ما يجري علينا. وإذا آمننا بالله حقاً، خافونا أكثر مما نحن ربما نتصور أننا نخافهم. فانتبهوا لهذا.

(1) آل عمران: 175.

من جملة: **(وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ)** في كلام النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ فيما يظهر والعلم عند الله، تحقق هذا المقصود، فلا ترعب، ولا تحف، ولا تستعن لا بجان ولا بغيرهم؛ لأنه حكم الفقر، والفناء، والقلة، والذلة، وأنه لا يملكون مثقال ذرة، يشملهم كما يشملك أنت المستعين. فبالتالي يكون من الحمق، وذهاب العقل مع ذهاب الدين، أن يلجأ إليهم، ويستعاذ بهم، أو يُطلب منهم يعني شيئاً مما لا يجوز أن يُطلب إلا من الله سبحانه وتعالى.

قرأت قديماً رسالة الشيخ الشوكاني \_ رحمه الله \_ في أسئلة جاءته من أحد العلماء من مدينة "ضمن" أي من جنوب الجزيرة هنا. من ضمنها سؤال يعني هذا، والشيء بالشيء يذكر، ما كنت يعني محضر أن آتي به، ولكن هو الآن ورد.

فخذوا الفائدة هذه، ما أدري تعتبرونه فائدة ولا يعني.. ما أدري لكن المهم، من ضمن الأسئلة: أين يذهب القرين الذي وُكل بالإنسان من الجان بعد موت الإنسان؟

سؤال جميل هاه؟ كل إنسان منا وُكل به قرين من الجن، هكذا في تقدير الله. قال النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_: **((ما من مولود يولد من بني آدم إلا ولد قرينه))** <sup>(1)</sup> من هذا العالم عالم الجان **((فيوكل به))** لإضلاله **((قالوا له حتى أنت يا رسول الله؟))** حديث عائشة أو غيرها قال: **((حتى أنا))** له قرين **((إلا أن الله أعاني عليه فأسلم))** أي القرين صار مسلماً **((فلا يأمرني إلا بخير))** <sup>(2)</sup>.

قال ذلك لمناسبة أن عائشة قالت كلمة غمزت بها ذرتها أم زينب، إذا كنتم تستحضرون الحديث، فقال لها النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_: **((جاءك قرينك))** أو قال: **((جاءك شيطانك، قالت: أو معنا؟ قال ما من مولود من بني آدم إلا ومعه قرينه))** يستغل الفرص. إذا غضبت يستغل الفرصة، فيوقعك في ستة سبع كلمات تودي دينك، ودياك، وزوجتك في ستين دهبية. جالس ينتظر هكذا يتربص بك الدوائر.

وإذا فرحت، وخف عقلك شوية، وداك كمان في شغلة ثانية أحسن من الأولى وهكذا، ويوديك، ويطلق نظرك هنا، وأذنك هناك، شغال عليك هكذا، يراقبك، متابع لك. فيعني استنصر بالله عليه. إذا مات ابن آدم، قرينه هذا ماذا يصنع؟ يأخذ تقاعد؟! فكتب بحثاً طويلاً الشوكاني ما أدري سبحانه الله ما داعي له، وأنهم يجتمعون في البحار، ويعني كذا، ويصبحون جنود إضافيين للشيطان، وشغلة

(1) ابن خزيمة في صحيحه ج 1 / ص 330 حديث رقم: 658.

(2) ابن خزيمة في صحيحه ج 1 / ص 330 حديث رقم: 658.

يعني **(وَالْجِنَّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ)** يعني خلاص الجواب واضح. ربما يزيد عمره عليك يعني بضعه أيام أو شهر أو سنين في علم الله سبحانه وتعالى، يذهب حيثما يذهب، ويكون حيثما يكون، ولكن حكمه الفناء يموت.

ولولا أن الله أعطى أباهم الأول إبليس، أعطى أباهم الأول إبليس حكم البقاء، لطواه حكم الفناء من ظهور الزمان الأول، كما طوى أبانا آدم \_ عليه الصلاة والسلام \_ لكنه طلب المهلة **﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾**<sup>(1)</sup> لولا أن الله قال له: **﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾** لطواه حكم الفناء كما طوى المخلوقات الأولى في الزمان الأول.

فيجب أن نعتقد أن جنس الجن والإنس باقي في الأرض إلى قيام الساعة. أما الأفراد تفتى أجيال وتأتي أجيال، تفتى أجيال وتأتي أجيال ويبقى الجنس، إلى أن يأتي اليوم الموعود ويهلك الجميع، ثم يبعثهم الله ليوم الجزاء والحساب.

ماذا قلت أنت؟

طالب:.....

جواب فضيلة الشيخ: قطعاً لا، قطعاً لا لأنه يعني فيما يظهر من الأحاديث أنه يعني هو للبلاء

والفتنة. فما يبقى؛ بل جاء في بعض الآثار، ودكرت مرفوعة لكنها لا تصح، أنه أحرص، هذا القرين أحرص ما يكون على الإنسان حال الوفاة، أحرص ما يكون عليك حتى ربما يربط له كلمة يعني تفقد دنياك وآخرتك في اللحظات الأخيرة هذه، أحرص ما يكون عليه عند الوفاة؛ لأنه هي فرصته الأخيرة. فإذا سلّمك الله منها كما سلّمك في أيامك الأول نجوت. فهذا يدل أنه باقي، ما بعد ذلك علمه عند الله. لكن أفراد عموم الجن والشياطين يفتنون، ويموتون، الله أعلم كم يبقون، كم يعمرن. أما الجنس، كما هو في حال الإنسان باقي إلى قيام الساعة.

تفضل اقرأ ما بعده.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. قال الإمام أبو عبد الله

البخاري \_ رحمه الله \_ : **(حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُلْقَى فِي النَّارِ ح وَ قَالَ لِي خَلِيفَةُ حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ ح وَعَنْ مُعْتَمِرٍ سَمِعْتُ أَبِي عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

قَالَ لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ثُمَّ تَقُولُ قَدْ بَعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ وَلَا تَزَالُ الْجَنَّةُ تَفْضُلُ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ).

قول البخاري \_ رحمه الله \_ : (حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ) هو أبو بكر عبد الله بن محمد البصري، الحافظ، كان قاضي همدان في زمنه.

قال: (حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ) هو بن عُمارة بضم العين.

قال: (حَدَّثَنَا شُعْبَةُ) ابن الحجاج الإمام المشهور.

(عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قتادة بن دعامة السدوسي.

(أَنَسٍ) ابن مالك.

(عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُلْقَى فِي النَّارِ ح) ، حرف يدل على أن البخاري

تحول من السند هذا الذي سمعناه إلى سند ثاني فقال:

(وَقَالَ لِي خَلِيفَةٌ) خليفة هو شيخ البخاري، خليفة بن خياط العُصْفُرِيُّ، البصري، حافظ مشهور،

كان يُلقب شباب بفتح الشين والباء شَبَاب، واسمه خليفة بن خياط العصفري، شيخ للبخاري. لكن لم يخرج له البخاري في هذا الصحيح إلا نحو سبعة أو ثمانية مواضع، وفيها جميعاً بهذه الصيغة: (قال لي خليفة) لم يقل قط في المواضع السبعة أو الثمانية التي ذكر البخاري فيها شيخه خليفة بن خياط بصيغة لا "حدثنا" ولا "أخبرنا"؛ وإنما يقول: "قال لي خليفة" في كل المواضع.

قال العلماء سبب ذلك، أن البخاري \_ رحمه الله \_ ما يأخذه عن بعض شيوخه من الحديث، إذا

أخذه عنهم في مجالس المذاكرة الخاصة، بعض المشايخ، بعض العلماء، يخص بعض من يقصدهم بمجالس خاصة، لما يرى فيهم من فضل وعلم، كالبخاري خصه شيخه خليفة بمجالس خاصة، ليس فيه إلا هو وهو فقط. وربما سمع منه بعض الأحاديث في تلك المجالس الخاصة، فاصطلح، صار عنده اصطلاح البخاري إذا

احتاج أو أراد أن يدخل شيئاً مما سمعه من بعض شيوخه في مجالس المذاكرة الخاصة، يخرجها بهذا الاصطلاح: (قال لي خليفة) ولا يقول "حدثنا"، و"أخبرنا"؛ لأن "حدثنا"، و"أخبرنا" تخص ما يأخذه عن شيوخه في مجالس التحديث العامة، التي ينتصب فيها الشيوخ للإسماع والتحديث.

هذا هو جواب كل الأئمة أو كلامهم، ما خلا أو ما عدا عبد الرحمن بن منده الأصبهاني، الحافظ

المشهور، فإنه اتخذ من عبارة البخاري هذه، ولها نظائر في الصحيح عن شيوخ آخرين، منه الحديث المشهور

عن شيخه عثمان بن الهيثم، الحديث المشهور الذي حديث أبي هريرة في قصة السارق الذي يأتي يسرق من التمر.

حديث أبي هريرة تعرفونه قال: ((وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر)) يعني قال احرس صدقة ((تمر جمعه الناس قال احرسه)) لأبي هريرة ((فجاء سارق في الليل يحثو من التمر يسرق، فأخذه أبو هريرة فشكا الحاجة والعيال وكذا، فرق له فأطلقه. فلما أصبح قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما فعل أسيرك البارحة، يقول له النبي صلى الله عليه وسلم، قال شكنا الحاجة والعيال. قال كذبتك وسيعود. فعلمت أنه سيعود. فجاء في الليل نفس جاء يسرق أخذه أبو هريرة، فأيضاً شكنا الحاجة فرق. ثلاث مرات يصنع به ذلك. في المرة الأخيرة قال أنت كذوب ما تتوب أنت، ثلاث مرات تأتي. فقال: أعلمك شيء ينفعك الله به وتطلقني فقال له اقرأ آية الكرسي فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فلما أخبر بها النبي عليه الصلاة والسلام قال صدقك وهو كذوب ألا تعلم يا أبا هريرة من تخاطب منذ ثلاث ذاك شيطان))<sup>(1)</sup> أخرج البخاري هذا الحديث الذي سمعته الآن في ثلاث مواضع في الصحيح، في كل المواضع الثلاثة تجد البخاري يقول: "قال لي عثمان بن الهيثم" شيخه. في كل المواضع الثلاث. فدل على أنه أخذ هذا الحديث من شيخه عثمان بن الهيثم في مجلس خاص بينه وبينه، ف يعني اختار البخاري هذه الصيغة للإشعار بذلك. فابن منده عبد الرحمن يقول لا، هذا عدّه نوع من التدليس، ويعني صنّف الإمام البخاري يعني ضمن من يتعانون أو يتعاطون التدليس، فيقول هو ربما ما سمعه من شيخه مباشرة، سمعه من شخص آخر عن الشيخ، فأسقط هذا الشيخ الآخر الذي ربما هو ضعيف، أو مجهول، أو كذا، وأتى بعبارة محتملة، هذا كلام ابن منده في قوله: "قال لي" ويعني رفض الحفاظ والعلماء هذا الكلام لابن منده، وعدوه يعني شطحة لا داعي لها؛ لأنه لو كان هذا الكلام صحيح، يكون هذا كذب.

إذا قال البخاري: **(قَالَ لِي خَلِيفَةٌ)** وهو لم يقل له، كان كذباً. والمشكلة طعن في الأئمة بهذا التصرف؛ بل عبارة: **(قَالَ لِي)** تدل على إتقان عالي جداً، ما استجاز. ومن يعلم منا أن البخاري أخذ هذا الحديث من شيخه في مجلس مذاكرة ولا في... من يعلم؟! هؤلاء الأئمة، يعني كبار ثقات، يؤدون أمانة، يشعرون بمسؤوليتها أمام الله، مو أمامي ولا أمامك ولا ذكرونا ولا فكروا فينا أصلاً. فهمتوا وللا لا؟

(1) صحيح البخاري، رقم: 4624 ، باب فضل سورة البقرة.

فما يأخذه من شيوخه في مجالس المذاكرة، واحتاج أن يذكر شيئاً منه في الصحيح لفوائد معينة، يعني ابتكر له هذه العبارة المشعرة بأن هذا ليس مما سمعه من شيوخه في مجالس التحديث؛ وإنما أخذه عنهم في بعض المجالس الخاصة، فعبارة **(قَالَ لِي خَلِيفَةُ)** ابن خياط العصفوري. ماذا قال خليفة؟

**(حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ)** العَيْشِيُّ التَّمِيمِيُّ، أَبُو معاوية البصري.

قال: **(حَدَّثَنَا سَعِيدٌ)** هو ابن أبي عروبة، سعيد بن أبي عروبة. قال الإمام أحمد: "أوثق الناس في

سعيد بن أبي عروبة يزيد بن زريع".

وعند الحفاظ وغيره، أن هذا هو سبب إدخال البخاري سند خليفة، وما هو محتاج لسند خليفة.

عنده الحديث مروى أصلاً من طريق السند الأول وللا لا؟ موجود الحديث بالتحديث والإخبار، ما هو محتاج لطريق خليفة أصلاً. فما علة ذكره له؟ علة ذكره له أنه يملك خليفة سند، فيه من القوة، والوجاهة، والعلو، ما يجعل ذكره مما يسند أسانيد الأحاديث الأخرى ويقويها ويرفعها، وهو أنه يرويها عن يزيد، عن سعيد بن أبي عروبة، وقد قال الإمام أحمد \_ رحمه الله \_: "أوثق الناس في سعيد هو يزيد بن زريع".

**(عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ ح)** بعد أن ذكر البخاري سنده عن شيخه خليفة بالصيغة التي عرفنا، وعرفنا

النكتة في إدخالها، إدخالها بسند خليفة، تحول إلى سند ثالث آخر فقال **(ح وَعَنْ مُعْتَمِرٍ)** هنا يجب أن تعيد فتقول، يعني تقديراً ذهنياً قال لي خليفة أيضاً عن معتمر؛ لأن خليفة بن خياط له في هذا الحديث شيخان: الشيخ الأول يزيد بن زريع، والثاني المعتمر بن سليمان.

ففي كل الموضوعين قال، المفروض يقول هكذا قال لي خليفة، نص على ذلك أبو الحجاج المزني في "الأطراف".

معتمر هو ابن سليمان، شيخ خليفة في السند الثالث، وهو شيخ شيخ البخاري على الترتيب الذي ذكرنا. وهو معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي.

خذوا هذه الفائدة: ليس في رجال الكتب الستة من اسمه معتمر سواه. معمر كثير، أما معتمر

بصيغة اسم الفاعل من الاعتمار، لا يوجد في رجال الكتب الستة أحد سوى معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي، إمام ابن إمام، أبوه **(سَمِعْتُ أَبِي)** الذي هو الإمام التابعي المشهور سليمان بن طرخان التيمي، أحد العبّاد الصالحين والعلماء الأفراد \_ رحم الله الجميع \_.

**(عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ)** ظهر بالأسانيد الثلاثة أن مدار الحديث على قتادة السدوسي. وفي كل

المواضع الثلاثة لم يصرح قتادة بالسماع والتحديث من أنس، وقتادة مما عدوه في المدلسين.

والقاعدة في المدلس، لا بد أن يظهر السماع وإلا تكون علة. فما الذي اغتفر للبخاري إدخاله هذا الحديث، وبكل الأسانيد الثلاثة ينتهي إلى قتادة، وهو لم يصرح في الثلاث مواضع بالتحديث؟  
الجواب: هو السند الأول، وهو رواية شعبة عن قتادة. فإن العلماء الذين قالوا بأن قتادة ممن يتعاني التدليس، فتشملة قاعدة أن المدلس لا بد أن يصرح بالسماع وإلا تكون علة، استثنوا ما يرويه شعبة عن قتادة. ولماذا استثنوا ما يرويه شعبة عن قتادة؟ هي كذا بس جالسين يستثنون؟!  
لا، شعبة رحمه الله قال: "دعوا حديث قتادة، فأنا طبيبه. هذا شعبة هذا إمام يعني، كنت أتبع فم قتادة، فإذا سمعته قال حدثنا أو أخبرنا أو سمعت قيّدت، ما قال أحداً منهم ما قيّدت. فما يرويه شعبة عن قتادة تحمله على السماع ولو لم تجد التصريح" انتهى.

**(عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا)** يعني في النار، حديث مشهور مروى في مواضع في الصحيح، أشهرها الموضع الذي في سورة "ق" في تفسير "ق"، في كتاب التفسير "باب قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ وهي تقول هل من مزيد.  
**(لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا)** من حصب النار من الجان، والإنس، والحجارة، ومن استحقوا دخول النار، يلقي فيها وهي تقول هل من مزيد.

**(حَتَّى)** لانتهاء الغاية، بمعنى حتى إذا انتهى من يستحق أن يكون من حصب النار \_ عافانا الله وإياكم \_ من الجان، والإنسان، ونحو ذلك، وما بقي أحد يدخلها وهي لا تزال تقول هل من مزيد.  
**(حَتَّى يَضَعَ)** يضع لا بد أن تفتحها هكذا منصوبة؛ لأن الفعل المضارع إذا سبقت (حتى) يُنصب بأن المضمرة بعد "حتى" كما يقولون.

**(حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ)** هذه العبارة جاءت في كتب السنة بلفظين: قدمه، وجاءت بلفظ رجله. فرجله وهي صحيحه موجودة في كتاب التفسير في صحيح البخاري، تلغي التأويل الذي تأوله بعض المتأولين للصفات. قالوا قدمه، أي ما يقدمه الله مما يشاء؛ لأنه كبر عليهم بعض الطوائف والفرق أن يثبتوا لله الصفات، التي منها الصفات الذاتية، والتي منها القدم. لشبهة أن ذلك يقتضي تجسيماً، وتشبيهاً، ونحو ذلك، وأهل السنة هذا ممنوع عندهم؛ لأن التشبيه أصلاً مغلق بابه، لا في الصفات الفعلية، ولا في الصفات العقلية، ولا في حتى الوجود، وجود الله ليس كوجودنا، ولا بد من إثبات الوجود في النهاية.  
يعني لو مشيت مع المعطل للصفات إلى أن يبقى هل الله موجود أو غير موجود؟ لا بد أن يقول الله موجود وإلا خرج يصبح إلحاد تام. والوجود صفة، فيقال له هل وجوده كوجودي ووجودك؟ قطعاً لا.

ففي النهاية أثبت شيئاً من الصفات، ولو على الأقل شيء في صفة الوجود، مع قطع أن يكون وجوده مشابه لوجودنا؛ لأن وجود الله لم يسبق بالعدم، ولا يلحقه الفناء، ولا يطرقه النقص والعجز. ونحن لسنا كذلك، وجودنا سبق بفناء وبعدم، ويلحقه فناء، وهو ناقص، وهو ناقص، وجودنا ناقص، مفتقرين باستمرار، والله غني باستمرار سبحانه وتعالى.

وبالتالي قس على هذا القانون من بداية صفة الوجود، إلى أن تنتهي إلى الصفات الذاتية، ترى أن الأمر ليس فيه يعني تلك الشبهة.

فما جاء منه، ولسنا نحن أعلم بالله منه، ولا أتقى الله، ولا أعلم بما يجوز أن يضاف إلى الله أو ينسب إليه منه جل وعلا، ومن رسوله عليه الصلاة والسلام، فنحن مطمئنون إذا ثبت النص، وصحت أسانيد، واستقرت، ورواه الأئمة الثقات الأتباع، هذا لا إشكال في ذلك.

فتأويل قدم بما يقدم، يرفعه ويدفعه رواية رجله، فلا تحتل أي تأويل رواية رجله، إلا عدا المكابرة والعدا، **ف ( يَضَعُ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ )** على الحقيقة، والله سبحانه قدامان على ما يليق به، لا نعلم كيفيتها، ولا نعلم كيفية صفاته سبحانه وتعالى.

قاعدة مشهورة يتداولها أهل السنة من أيام الصحابة \_ رضي الله عنهم \_ عند ذلك تنزوي، وتتضامن، وتصغر أمام قدرة الله وعزته سبحانه وتعالى.

موسى صلى الله عليه وسلم لما سأل رؤية الله، لما وعده ربه في الطور **﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾** <sup>(1)</sup> تجل يعني يسيراً، تهاوت الجبال، وساخت الأرض، وخر موسى صاعقاً، ما يقوم لقدرة الله وجبروته شيء سبحانه وتعالى.

فالجحيم النار العظيمة هذه التي لا تزال يلقى فيها وهي تقول هل من مزيد، ويلقى فيها وتقول هل من مزيد، يلقي فيها ماذا؟ يقول \_ عليه الصلاة والسلام \_ : **((ضرس الكافر في النار مثل جبل أحد))**

<sup>(2)</sup> شوق المصيبة هذه! ضرس الكافر في النار ضرسه بحجم جبل أحد، **((ومقعده))** جليته يعني **((ما بين المدينة إلى البيضاء))** البيضاء ناحية في طرف المدينة بعيدة جداً. **((وكشف جلده))** الرواية عند مسلم وفيها روايات أخرى، **((كشف جلده سبعون ذراعاً))** <sup>(3)</sup> غلظ الجلد، ويلقى فيها أمم بهذه الأحجام عافانا

(1) الأعراف: 143.

(2) ابن حنبل في مسنده ج 2 / ص 328 حديث رقم: 8327.

(3) ابن حنبل في مسنده ج 2 / ص 328 حديث رقم: 8327.

الله وإياكم، وهي تقول هل من مزيد هل من مزيد، ومعهم الحجارة، شيء عظيم مهول. فلا يزويها، ولا يطامنها إلا أن يضع الله فيها قدمه، فتزوي، يعني يتطامن بعضها إلى بعض، وتزوي لتجلي الله لها، ووضعه، وإرغامه لها بوضع قدمه فيها جل وعلا.

**(ثُمَّ تَقُولُ قَدْ قَدَ)** هذه الكلمة جاءت في كتب السنن بلفظتين: بالذال، أو بالطاء ((قط قط))،

و((قد قد)) وفي القراءة وجهان:

● إما السكون قَدْ قَدْ، وقَطُّ قَطُّ،

● أو الكسر بدون تنوين ولا إشباع قَطِ قَطِ، أو قَدِ قَدِ، وهي من أسماء الأفعال، لا معنى لها

في ذاتها، هي ما لها معنى، ما ترجع تشوف إيش تركيبها، مثل "هيئات هيئات". تشعر "هيئات هيئات" بالاستبعاد: هيئات هيئات لما توعدون. "إيه" تشعر بطلب الزيادة مثلاً.

**(قَدْ قَدْ)** يعني اكتفيت، أو حسبي، أو يكفي، أو عبارة نحوها. فأسماء الأفعال من هذا النوع لا

معنى لها في ذاتها، لكنها كلمات محددة هي تُستخدم إذا أرادت الاكتفاء تقول "قط قط"، أو "قد قد". إذا أردت الاستبعاد تقول: هيئات هيئات. إذا أردت المزيد تقول إيه، أي زدنا ونحو ذلك، اسم فعل يسمى.

**(بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ)** أقسمت النار وهذا موضع الشاهد لإدخال هذا الحديث في هذا الباب، أن النار

العظيمة وهي خلق من خلق الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى في الحديث القدسي للنار: ((أنت عذابي

أعذب بك من أشياء من عبادي)) فهي جند من جند الله ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ

الْمَصِيرُ﴾<sup>(1)</sup> فأقسمت بعزة الله، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يحكي كلامها، وهذه أمور غيبية لا

تُعرف إلا بإخبار الأنبياء، فدل على إثبات صفة العزة، وأن بعزة الله ينقهر كل عظيم بما فيه الجحيم

العظيمة هذه التي لا يكفيها شيء، ولو ألقى فيها الخلق جميعاً. **(بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ)** يعني صفات الله كما

قررنا كلها يسوغ الحلف بها، والإقسام بها، والاستعاذة بها.

**(وَلَا تَزَالُ الْجَنَّةُ تَفْضُلُ حَتَّى يُنْشَىَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنُهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ)** الجنة لا يزال فيها

متسع، يدخلها من الخلق من يعلم الله دخولهم، ولا يزال فيها بجموجة ومتسعاً، فيملاً هذا المتسع منها بخلق

ينشئهم الله، يسكنهم فضول الجنة.

هذا الحديث يمثلون له العلماء بباب الحديث المنقلب . بعض رواة الحديث انقلب عليه الحديث،

هكذا شغلة كلها، فقال: (لا يزال يلقي في الجنة وهي تقول هل من مزيد حتى يضع فيها الجبار قدمه

(1) الحج: 72.

فتنزوي ولا يزال يبقى في النار فضول فينشيء الله لهم نشيء فيسكنهم فضول النار) يعني لخبط كل شيء، هذا يسمونه الحديث المنقلب، انقلب على الراوي، قد يقع ذلك ينقلب فيقلب ما حقه يعني التقديم، وما حقه التأخير، يمثلون له أن بعض رواة الحديث، وليسوا منهم أحد ممن هم معنا في الأسانيد انقلب عليه الحديث.

موضع الشاهد قوله: **(بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ)** وهذا يعني واضح. اقرأ الباب.

### **بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ**

قال \_ رحمه الله \_ : (بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ طَاوُسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ فِيمَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَوْلِكَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ لِي غَيْرُكَ حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بِهِذَا وَقَالَ أَنْتَ الْحَقُّ وَقَوْلِكَ الْحَقُّ).

(بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) الخلق في لغة العرب يُطلق

ويراد به معنيان اثنان:

المعنى الأول: بمعنى التقدير. العرب تقول خلق بمعنى قدر. والتقدير أمر ذهني يرجع إلى العلم. تقدر الشيء في ذهنك، وتديره، وتحسبه، لغة يصح أن تقول خلقت بمعنى قدرت. ومن هذا المعنى قول الشاعر، وهو زهير بن أبي سلمى يمدح رجلاً، فيقول في مدحه:

ولأنت تفري ما خلقت                      وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

"ولأنت تفري ما خلقت"، "تفري" بمعنى تنفذ وتنجز ما قدرت؛ لأن كل فعل تفعله، كل فعل لا بد

أن يسبقه تقدير وللا لا؟ وإرادة معينة له، الفعل الراشد ليس الفعل الطائش، يعني لا بد من تقدير.

والعاقل قبل أن يقدم على أي فعل أي فعل، إلا وله فيه تقدير معين، وحساب معين، وانتظار مكسب معين. فهذا التقدير والحسابات السابقة، لغة يطلق عليها كلمة "خلق". فلأنت تفري ما خلقت. ومن كمال المدح أن يستطيع الرجل أن ينفذ ما يرتب ويخطط، ومن العجز أن يقعد يسوي ستين ألف خطة في الليل، ويقوم الصباح يبغي يأكل له صحن فول ويمشي في حاله، ما عنده ولا شيء. فيقول: ولأنت تفري ما خلقت  
تقدر وتنجز.

..... وبعض القوم يخلق.....

يقعد الليل كله يخطط ويرتب

..... ثم لا يفري

أي لا يستطيع أن ينفذ ما قدر وخلق. ومن معنى خلق هنا التي بمعنى التقدير في القرآن العظيم، قوله تعالى في قصة إبراهيم الخليل في سورة العنكبوت وهو يخاطب قومه ويقول لهم: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً﴾<sup>(1)</sup> هذه آية في أي سورة؟ العنكبوت. ما معنى قول الخليل ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً﴾ أي تمكرون، وتخططون، وتدبرون الإفك والافتراء والكذب، ببناء الأصنام، بزعمكم أنها كذا، هذا كله تخطيط منكم، وإرادة منكم، ومكر منكم.

سماه "﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً﴾ أي تقدرون، وترتبون، وكل ما تصنعونه وتفكرون فيه إفك وافتراء على الله بما تفعلون من أصنام وأوثان.

ومنه أيضاً قوله تعالى في المؤمنون سورة المؤمنون، في لما ذكر الله طور خلق الإنسان وكذا ﴿حَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ اقرؤوا الآية ﴿مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(2)</sup> ما معنى ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ فهي صيغة جمع، خالقون كثير، لكن الله أحسنهم خلقاً. ما معنى "الْحَالِقِينَ"؟ لا بد تفسرها قولاً واحداً بمعنى المقدرين؛ لن أي فعل كما قلنا لا بد يسبقه إرادة وعلم. فالله خلقنا وقد سبق العلم، علم كيف سيخلقنا، وعلى أي صورة سيخلقنا، وأراد ذلك.

(1) العنكبوت: 17.

(2) المؤمنون: 14.

هذا التقدير المحكم منه، والعلم السابق المحكم منه، ترتب عليه أن خلقه أحسن الخلق وأعظمه، ولا يستطيع أحد أن يصنع مثله أبداً ولا قريباً منه، ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ هنا بإجماع المفسرين أحسن المقدرين، المهيين بسابق علمه وعظيم علمه الذي لا يُذكر معه علم الخلق مهما كان ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(1)</sup>.

هناك موضع ثالث في القرآن أيضاً بهذا المعنى، ربما لا يحضرني الآن. إذن هذا المعنى الأول. المعنى الثاني: هو الإنشاء من العدم، وهذا الذي يخص الله سبحانه وتعالى ولا يشركه غيره فيه، خلق بمعنى أنشأ من العدم، وعليه مفردات كلمة خلق في القرآن في أغلب المواضع ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾<sup>(2)</sup> ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾<sup>(3)</sup> خلق الشمس والقمر، خلق، خلق.. هذه أشياء كانت معدومة، لا شمس، ولا قمر، ولا بشر، ولا حيوان، ولا شيء، ثم عدماً ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾<sup>(4)</sup> فالذي ينشئ الشيء من لا شيء من العدم المحض هو الله. فخلق بمعنى أنشأ من العدم، هنا تكون من خصائص الله الواحد، وهو المعنى الثاني من معاني "خلق".

وكلا المعنيين خلق صحيح في حق الله. فالله يخلق، لكنه قبل أن يخلق علم، وأحكم سبحانه وتعالى، فهو يخلق بعلم وحكمة وهذا هو التقدير السابق، الذي امتدح نفسه به بقوله: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المقدرين، ثم هو المتفرد بعد ذلك دونما غيره بالقدرة على أن ينشئ الأشياء من العدم المحض بما فيها هذا الخلق وهؤلاء البشر.

نكتفي اليوم بهذا القدر، وقبل أن أنصرف فيه هديه بسيطة يعني أقدمها لكم، نعتذر فيها عن الانقطاع الذي حصل، ونعوضكم إن شاء الله بهذه الهدية. كتيب بسيط واللوحه التي ما أخذها يأخذ منها، وملتقي على موعدنا السبت القادم إن شاء الله تعالى. زادنا الله وإياكم علماً. يعني ذكر هنا أن أحد الإخوة الذي كان مواظب على الدرس يعني توفاه الله. نسأل الله أن يغفر لنا وله. اللهم ارحم موتانا، اللهم ارحم موتانا، اللهم اشفي مرضانا، اللهم عافي مبتلانا، اللهم اجعل آخرتنا خيراً من ديانا، اللهم علمنا وعلم بنا، اللهم ارحمنا وارحم بنا، اللهم ارزقنا

(1) الإسراء: 85.

(2) الأنعام: 1.

(3) الأعراف: 11.

(4) مريم: 67.

وارزق بنا، اللهم أصلحنا وأصلح بنا، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه والسلام عليكم.



## الدرس الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.  
أما بعد:

وقفنا على (باب قول الله تعالى {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} ) وذكرنا في

الدرس السابق أن خلق تتصرف في لسان العرب على معنيين اثنين:

المعنى الأول: بمعنى التقدير، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾<sup>(1)</sup> ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(2)</sup> أي المقدرين. وتأتي بالمعنى الثاني وهو بمعنى الإنشاء من العدم، وهو من خصائص الله تعالى، وعليه أكثر كلمة "خلق" في مواردها في القرآن، كهذا المورد ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ كان الله ولم يك شيء قبله سبحانه وتعالى، وابتدأ الخلق سبحانه وتعالى، فخلق السموات، وخلق الأرض وما بينهما، وخلق الإنس والجن، وخلق ما شاء من مخلوقات ﴿أَوَّلًا يَذْكُرُ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾<sup>(3)</sup> ما كنا شيء، كل هذا الخلق ما كان موجوداً كان معدوماً، والله ابتدأه وأنشأه من العدم. وهذا الخلق بهذا المعنى من خصائص الله.

بقي الكلام في قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالحق فيها وجهان من التفسير:

الوجه الأول: أن الباء هنا باء السبب، أي بكلمة الحق أنشأ الله وخلق السموات والأرض وهي كلمة "كن". فالله سبحانه وتعالى يقول للشيء كن فيكون، وهذا التفسير، وهذا المعنى هو الذي ذكره الحافظ ابن حجر في الشرح في الفتح، وقال بأن هو مراد البخاري \_ رحمه الله \_ من إدخال هذه الآية وهذا الباب في كتاب التوحيد، واستدل بالحديث الذي في الباب وفيه قوله: ((وقولك الحق)).

والوجه الثاني من التفسير: أن الباء باء الغاية، أي لأجل الحق خلق الله السموات والأرض، وخلق الإنس والجن، وخلق كل شيء.

والحق المقصود الذي من أجله خلق الله الخلق، هو أن يُعرف جل وعلا، ويؤمن به، ويوحد، ويعبد، فهذا هو الحق الذي من أجله خلق الله الخلق.

فإذا فات هذا المقصود، وما عبد الخلق ربهم ولا عرفوه، يكونوا قد فوتوا الحكمة العظيمة، والغاية الجليلة التي من أجلها خلقهم الله، وخلق السموات والأرض وما فيهما.

وهذا المعنى الثاني هو الأصوب في تفسير الآية ونظائرها. ويدل على صوابه أن الله \_ جل وعلا \_ ذكر في القرآن في مواضع أخرى هذا المعنى، أنه سبحانه وتعالى إنما خلق السموات والأرض لأمر عظيم؛

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾<sup>(4)</sup> الذين كفروا

(1) العنكبوت: 17.

(2) المؤمنون: 14.

(3) مريم: 67.

(4) ص: 27.

لما ظنوا بالله ظن السوء، فكفروا به، أو ربما جحدوه، أو ربما نسبوا وجود هذا الخلق إلى الصدفة، أو التكوين الذاتي، أو نحو ذلك من النظريات التي يصدرها البشر قديماً وحديثاً، وبالتالي ترتب على هذا أنهم ما عرفوا الله خالقاً، ولا رباً، ولا رازقاً، ولا مدبراً، ولا عرفوه إلهاً حقاً، وبالتالي لن يعبدوه، ولن يوحدوه، وسيتخذون لهم آلهة يتدعونها من عند أنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان.

فلما فوتوا الغاية والحكمة التي من أجلها خلق الله السموات والأرض، وقعوا في الكفر الذي وقعوا فيه، فاستحقوا النعمة والويل والوعيد عليهم بدخول النار ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي ظنهم أن هذا الخلق لا غاية من ورائه، ولا حكمة من وجوده، ويفلسفوه بأنواع من الفلسفة، إما التكوين الذاتي، أو الصدفة. وإن نسبوه إلى خالق، ينسبونه إلى خالق أوجد بلا هدف عنده، ولا غاية عنده من هذا الإيجاد، كأنها مجرد ممارسة وظيفية يخلق وخلاص، وهذا هو ظن السوء بالله سبحانه وتعالى؛ لأن ذلك نهايته نسبة العبث واللعب إلى فعل الباري \_ جل وعلا \_، وهذا من أعظم ما يجب أن ينزه عنه رب العالمين ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

ويؤيد هذا المعنى أيضاً قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

لَاعِبِينَ﴾<sup>(1)</sup> ﴿لَاعِبِينَ﴾ هنا منصوبة على الحالية، أي ما خلقنا السموات والأرض حالة كوننا لاعبين، أي هكذا للعب والعبث ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾<sup>(2)</sup>.

وهذا الحق قررنا قبل قليل أنه أن يُعرف جل وعلا، ويُعبد، يُنسب له أفعال الربوبية كلها من الخلق، والتدبير، ويُرتب عليها توحيد، وإفراده جل وعلا وحده بكل أنواع العبادات.

بدون ذلك يكون البشر قد نسبوا اللعب، والعبث، والباطل إلى فعل الخالق الباري سبحانه وتعالى

﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(3)</sup> ولذلك رتب على ذلك وعيدهم ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (40) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (41) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾<sup>(4)</sup> وهذا الاستدلال ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾.

فهده، ووقفه لمعرفة الحكمة والغاية الجليلة التي من أجلها أوجد الله هذا العالم، وأوجدنا، فنعبده

ونوحده، فتحل علينا رحمته، وندخل في هذا الاستثناء، نسأل الله ذلك.

(1) الدخان: 38.

(2) الدخان: 39.

(3) الدخان: 39.

(4) الدخان 40-42.

فهذه الآية ونظائرها تؤكد أو تقرر أن تفسير **(بِالْحَقِّ)** في آية الباب الذي معنا، أن الباء للغاية، أي لأجل أن يحق الحق الذي هو عبادته جل وعلا وتوحيده، خلق الله السموات والأرض، وخلق الجن والإنس، كما نص على ذلك نصاً غاية في الوضوح في سورة الذاريات **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** (1) الآيات. وإدخال البخاري يعني هذا الباب بهذه الآية هنا، لتقرير هذه القضية، لا لتقرير قضية التخليق، وأن الله من فعله أن يخلق ويوجد، سواءً بأن يقول للشيء كن فيكون، أو يخلق بما هو متصف به من صفة الخلق والإيجاد والإنشاء والبرء، أو يخلق وربما يباشر خلق بعض الأشياء بيده، كما جاء في بعض الأحاديث: **«(خلق الله آدم بيده وخلق جنة عدن بيده)»** \_ جل وعلا \_ وأمثال ذلك ليس هذا مراده. لماذا نقول ذلك؟

لأنه سيأتي باب معنا هنا في كتاب التوحيد في الجامع الصحيح، بعد بضعة أبواب أو مجموعة أبواب، باب يقول فيه البخاري: "باب ما جاء في تخليق السموات والأرض وتخليق الخلائق" وأن التخليق فعل الله سبحانه وتعالى، وما يكون بتخليقه وتكوينه هو المكونات والمخلوقات. فذلك الباب الذي سيأتي، يناقش في صفة الخلق القائمة بالله سبحانه وتعالى، والتي لم يكن قط معطلاً عنها، وبكونه متصفاً بصفة الخلق خلق. فهناك شيء اسمه صفة التخليق، وهي إيجاد الأشياء وتخليقها. وسيأتي تقرير ذلك في الباب المشار إليه في حينه إن شاء الله. فيكون إذن مراد هذا الباب الحديث عن الغاية والحكمة من خلق الله للسموات، والأرض، وهذا العالم، وما فيه من الأحياء من الجن والإنس وغيرهم، على ما قررناه، وهو أن يُعرف جل وعلا ويعبد. فإن فات هذا المقصود، وقعنا في الظن الباطل، ووقعنا في الكفر بالله عياداً بالله، وتوعد الله من فعل ذلك وظن به هذا الظن الباطل **﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾** (2).

ثم أدخل البخاري هذا الحديث فقال: **(حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ)** هو ابن عُقْبَةَ السُّوَّائِي، كوفي، يكنى أبا عمار توفي سنة مائة وخمسة عشر (115) قبيصة بن عقبة السوائي. قال: **(حَدَّثَنَا سُفْيَانُ)** هو ابن سعيد الثوري.

**(عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ)** هو اسمه عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي، مفتي الحرم في وقته وزمانه. **(عَنْ سُلَيْمَانَ)** هو ابن أبو سليمان الأحول، لقبه هكذا، مكي أيضاً، إمام مشهور.

(1) الذاريات: 56.

(2) ص: 27.

(عَنْ طَاوُسٍ) التابعي المشهور الجليل طاووس بن كَيْسَانَ اليماني.

(عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ) الصحابي الجليل عبد الله بن العباس \_ رضي الله عنهما \_ .

(قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ) هذا الحديث يعني ورد في الصحيح في

مواضع كثيرة في "كتاب التهجد"، في "كتاب الدعوات"، في "كتاب الصلاة"؛ لأنه من الأدعية التي كان يدعو بها النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ عندما يقوم يتهجد في صلاة الليل.

وابن عباس يعني شهد ليلة.. القصة المشهورة. بات ليلة ابن عباس عند خالته ميمونة بنت الحارث، أخت أمه، وهي زوجة رسول الله \_ عليه الصلاة والسلام \_ فلأجل ذلك شهد ابن عباس ما كان أو ما يفعله النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ في ليله من الوضوء، وقراءة خواتيم آل عمران، والسواك، والصلاة الطويلة، والأدعية التي كان يدعو بها، ومنها هذا الدعاء، وفيه موضع الشاهد لهذا الباب.

(كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ) هذا تقريباً قوله: (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) هو موضع الشاهد لإدخال

الإمام البخاري هذا الحديث في هذا الباب "باب خلق السموات الأرض بالحق"، وهو أنه أضاف السموات والأرض إلى الله \_ سبحانه وتعالى \_ إضافة الربوبية، أن الله رب السموات والأرض ربهما أي خالقهما، وموجدهما، فلا رب لهما ولا موجد لهما سواه. فلما أضيفت إليه بفعل الربوبية، فالله سبحانه وتعالى رب السموات، ورب الأرض، ورب العالمين، رب الخلق أجمعين بمعنى خالقهم وموجدهم، وبالتالي هو مالكهم ومدبرهم، الذي ينفذ فيهم أمره وقضاؤه جل وعلا.

وليس كما قال الحافظ أن موضع الشاهد كما قررت في صدر الحديث قوله: (قَوْلُكَ الْحَقُّ) لأنه

جنح إلى تفسير "الحق" أي خلق السموات بكلمة الحق.

وقد قررنا على ما قرره شراح كثيرون أن المقصود بالحق الغاية، التي من أجلها تناسب أن يكون

موضع الشاهد هو ما صدر به لفظ الحديث بقوله: (اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي موجدهما، وخالقهما، ومالكهما وما فيهما.

ثم قال: (لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) هذه الكلمة جاءت في الصحيح، في الصحيحين

في ثلاثة ألفاظ :

- "قِيم" كما هنا،
- و"قيوم" كما في مواضع في التهجد وغيره،

• و"قيّام" أيضاً جاءت قيّام.

ومعانيها متقاربة، والمقصود وصف الله بالقيومية، ومن أسمائه القيوم، ومن معانيها أنه هو القائم بأرزاق الخلق، وتديبرهم، وتصريفهم، لا قائم بذلك سواه، فهو القيوم سبحانه وتعالى، ولذلك أضيف هذا الاسم في القرآن في مواضع ثلاث باسمه الحي، كما في آية الكرسي مثلاً ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ كما في فواتيح آل عمران ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ لأن مناسبة الحياة وكما لها، الذي لا يطرقه النوم ولا السّنة ولا الغفلة ولا النسيان \_ سبحانه وتعالى \_ هو الذي سيقوم بأعباء الخلق؛ لأنه لو قدر \_ تعالى الله عن ذلك \_ أن يكون تطرقه غفلة ونسيان وسهو ونحو ذلك، لفسد أمر الخلق، وضاع التقدير وتديبر أمر ملكوت الهائل هذا العظيم.

فلما لم يقع ذلك، دل على أن القائم بتديبر هذا العالم حي دائم الحياة، لا يطرقه ولا جنس غفلة ولا سنة ولا نوم. فتناسب اسم الحي مع اسم القيوم في ثلاث مواضع في القرآن. وسيأتي لهذا باب إن شاء الله تعالى.

**﴿قِيَمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**، نور هنا مثل الآية التي في سورة النور وهي قوله تعالى: **﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** <sup>(1)</sup> وهذا الوصف وصف النور، جاء في ألفاظ الكتاب والسنة على أنواع:

النوع الأول: آية **﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** وحديث: **﴿أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** هنا. وعلى أصح التفاسير **﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ﴾** أي منورها. وكما هنا **﴿أَنْتَ نُورُ﴾** أي منورها. ومعنى منورها بما أوجد الله فيهما من مصادر النور، كالشمس، والقمر، والنجوم، وضوء النهار، ويدخل فيه حتى الأنوار المعنوية: نور العلم، والخير، والوحي، والهداية، والكتاب، وهي أنوار أعظم حتى من الأنوار الحسية؛ لأن غاية فقد الأنوار الحسية بالعمى ونحوه يعني شيء يفوت شيء معين، لكن إذا فات نور العلم والخير والإيمان والوحي، فات كل شيء.

ولذلك قال الله تعالى في وصف أصحاب النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ قال: **﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾** <sup>(2)</sup> نور معنوي الوحي، القرآن العظيم، السنة، العلم الذي جاء به عليه الصلاة والسلام، نور تحيي به القلوب والنفوس والحياة، ويعني هو الذي سيبعث الأنوار لهؤلاء المؤمنين يوم القيامة، يعني كما

(1) النور: 35.

(2) الأعراف: 157.

قال الله تعالى في وصف المنافقين: ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ ماذا يقول المنافقين؟ ﴿انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمُ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾<sup>(1)</sup>.

والنوع الثاني: أن الله \_ جل وعلا \_ احتجب عن الخلق بحجاب من نور. وهذا جاء نصه وذكره في الحديث المشهور في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري، لما قال: ((قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات وذكر منها قال إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يرفع القسط ويخفضه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار)) إلى أن قال: ((حجابه النور)) وهذا الحجاب سيبقى قائماً؛ لأنه لو كشف هذا الحجاب، لو فرض أنه أزيل وكشف لاحترق العالم كله؛ لأنه في نفس الحديث يقول: ((حجابه النور لو كشفه)) على فرض أنه لو وقع ذلك ((لأحرقت سبحات وجهه)) أي الأنوار المنبعثة من وجه رب العالمين سبحانه وتعالى ((ما انتهى إليه بصره من خلقه))<sup>(2)</sup> وبصره ينفذ الخلق جميعاً، يعني يحترق العالم كله.

فرحة بالخلق، وإبقاء عليهم، احتجب عنهم بحجاب من نور. وهذا الحجاب لا يرفع إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، فيرفع كما دل عليه ما في صحيح مسلم، حديث صهيب بن سنان - رضي الله عنه - في تفسير قول الله تعالى في يونس: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾<sup>(3)</sup> روى مسلم من حديث صهيب بن سنان قال: ((سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى منادٍ من قبل العرش يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه قالوا ماذا ألم يتقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجيرنا من النار قال فيكشف الحجاب)).

هذه هي لحظة الكشف الرهيبة العظيمة الجليلة للحجاب، قال: ((فينظرون إلى وجه الله فما أعطوا شيئاً من النعيم أعظم من ذلك))<sup>(4)</sup> وهي الزيادة وتلا \_ عليه الصلاة والسلام \_ الآية التي في هود: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾<sup>(5)</sup> الآية.

(1) الحديد:13.

(2) أخرجه أحمد 395/4 قال: حدَّثنا عبد الرحمن وابن جعفر، قالوا: حدَّثنا شعبة. وفي 40/4، قال: حدَّثنا وكيع، قال: حدَّثنا المسعودي. وفي 405/4 قال: حدَّثنا أبو معاوية، قال: حدَّثنا الأعمش. (و) مسلم (1/111).

(3) يونس: 26.

(4) ابن حنبل في مسنده ج 6 / ص 16 حديث رقم: 23970.

(5) يونس: 26.

والنوع الثالث: نور مضاف إلى الله سبحانه وتعالى، صفة من صفاته على أصح التفاسير لقول الله تعالى في الزمر: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾<sup>(1)</sup> هذه إضافة تحتمل ﴿نُورِ رَبِّهَا﴾ إضافة تحتمل أن تكون إضافة الخلق إلى الخالق من باب التشريف والتكريم، وتحتمل أن تكون من باب الصفة. وأرجح التفاسير عند الأئمة، ويكاد بعضهم لا يذكر غيره، أنه نوره \_ جل وعلا \_ الذي هو نوره الذي هو صفته سبحانه وتعالى.

والنوع الرابع: فيه نوع رابع مختلف فيه اختلافاً كثيراً. وقد أشرت ربما إليه في درس سابق، وهي تسمية الله بالنور. تسمية الله بالنور، هذا جاء فيه الحديث المشهور الذي في صحيح مسلم، حديث أبي ذر الغفاري \_ رضي الله عنه \_ قال: ((سألت النبي صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور)) أي هو نور هذا المعنى ((أنى أراه))<sup>(2)</sup>. لكن يعني قررت لكم في درس سابق أن الرواية التي في هذا اللفظ فيها مطاعن إسنادية كثيرة، ثلاثة أو أربع، واعتبرها أحمد \_ رحمه الله \_ الإمام أحمد، وكذا ابن خزيمة، رواية شاذة بل منكورة كما نص عليه الإمام أحمد. وصححو الرواية الأخرى في نفس صحيح مسلم، لما سأل أبو ذر النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ هل رأيت ربك، يعني ليلة المعراج قال: ((رأيت نوراً))<sup>(3)</sup> والمقصود به نور الحجاب الذي قررنا قبل قليل أنه لن يُكشَفَ هذا الحجاب إلى آخر الزمان، إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

والمسألة فيها تفصيل، وسيأتي لها إن شاء الله باب نقرر فيه ما يتعلق باسم النور وصفته المنسوبة إلى الله، لكن هذه عجالة قدمناها بمناسبة ورود هذه الجملة (أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) لكن ما أريد الآن أن أقرره أن قوله: (أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(4)</sup> أي منور السموات والأرض بما خلق فيها من الأنوار الحسية والمعنوية على ما قررت، على ما قرر أهل العلم يعني وما أنا إلا ناقل.

(وَقَوْلِكَ الْحَقُّ) هذه يعني هي الذي يرى الحافظ بن حجر أن البخاري عقد هذا الباب، وأدخل الحديث، أنه خلق السموات والأرض بكلمة الحق، وهي كلمة (كن) والكلام صحيح أن الله يخلق بكلمة (كن) سبحانه وتعالى، لكن (بالحق) في الآية قررنا أن لها معنى آخر وهو الغاية كما بينا.

(1) الزمر: 69.

(2) مسلم في صحيحه ج 1 / ص 161 حديث رقم: 178.

(3) ابن حبان في صحيحه ج 1 / ص 255 حديث رقم: 58.

(4) النور: 35.

ولاشك أن قول الله كله حق. وقد قال تعالى في وصف نفسه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾<sup>(1)</sup>  
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾<sup>(2)</sup> الله نزل أحسن الحديث، وأصدقه، وأبركه. فكلام الله كله حق سبحانه  
وتعالى.

**(وَقَوْلِكَ الْحَقُّ)** وهذا الحديث سيأتي أيضاً في كتاب التوحيد؛ لأنه فيه صفة الكلام، لما يقرر  
البخاري أن من صفات الله العظيمة صفة الكلام. من ضمن الشواهد والأدلة التي سيقورها هذا: **(وَقَوْلِكَ  
الْحَقُّ)** أن الله يتكلم ويقول وقوله كله حق وصدق.

سيأتي معنا باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾<sup>(3)</sup> كلمة الله التي لا تتخلف كانت وعداً، أو  
حكماً، أو خبراً، أو وعيداً، إلا إذا شاء الله أن يغفر ويرحم ويزيل بعض وعيده عن بعض من استحقوا  
ذلك، فذلك أمره. وسيأتي تقرير ذلك في موضعه.

**(وَوَعْدِكَ الْحَقُّ)** وهذا لاشك أنه من ضمن ما ينبغي على كل مسلم أن يعتقد أن وعد الله حق.  
ولا يغرنك أنه ربما ترى أن يعني وعد الله أن ينصر المؤمنين ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(4)</sup> وعد الله  
أن يعلي ويظهر دينه الحق على الدين كله ولو كره الكافرون والمشركون والمجرمون. وعد الله أنه سيمحق  
الكافرين.

ربما يأتيك وسواس من الشيطان، يقول لك أين هذا الحق للكافرين؟ وأين ذلك الوعد بنصر

المؤمنين؟ وأين ذلك الوعد بإظهار الدين ونحن نرى الحال يعني خلاف هذا كله؟

نعم لاشك في ذلك أن الله سبحانه وتعالى لن ينفذ وعده للناس المنتسبين لدينه، أو اسم الإيمان،  
وقد أحدثوا وأوقعوا من موانع، وجعلوا بينهم وبين الله من موانع وحواجز إنفاذ الله وعده لهم ما جعلوا. فإذا  
استنفوا أسباب نصر الله، وأزالوا ما بينهم وبين الله من حجب، باتباع أمره، والثقة به، والتوكل عليه حقاً  
وصدقاً، وينصرهم ويعليهم كما نصر المؤمنين في الزمن الأول وهم قلة، وذلة، وأفراد قليلين على قوى الشر  
في الأرض كلها.

فوعد الله لا يتخلف، لكنه قد يتأخر لحكم عظيمة، يحص المؤمنين، يميز بأن ينتسب للإسلام

والإيمان والدين أمم وخلائق، ما كلهم صادقون، فيهم من الكذابين، وفيهم من المنافقين، وفيهم من

(1) النساء: 122.

(2) النساء: 87.

(3) الصفات: 171.

(4) الروم: 47.

الأدعياء والمتاكليين.. فيهم ربما أكثر بكثير من الصادقين المؤمنين. فكيف يتمايزون؟ بالابتلاءات، والاختبارات، وتأخير النصر عنهم، وتسليط بعض الأعداء عليهم ونحو ذلك، فيعني يتميز المؤمن الصادق الواثق بوعد الله، الموقن به إلى درجات عظيمة جداً، حتى أنه ربما الرسل أنفسهم يقع فيهم من استبطاء ذلك ما يقع. كما نص الله عليه في آيتين مشهورتين في البقرة ويوسف.

في البقرة يقول: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾<sup>(1)</sup> هذه في يوسف نبداً بالبقرة. في البقرة يقول: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ فالعبارة تشعر بأنهم بدلوا يعني ورأوا أنهم استوفوا كل طاقتهم في الصبر والتحمل. فيأتي التعقيب العظيم ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾<sup>(2)</sup>.

في يوسف الآية التي في خواتم يوسف ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مِنْ نَشَاءٍ﴾<sup>(3)</sup> فوعد الله \_ جل وعلا \_ لا يتخلف. ولكن الله سبحانه وتعالى يختبر ويبتلي لحكم، تمحيص المؤمنين حكمة، وإظهار الدغل في المنافقين حكمة، وزيادة أجور الصابرين المبتلين من المؤمنين حكمة، وزيادة استدراج الكافرين حكمة، وله من الحكم ما لا نعلم. لكن أعظم سوء تقع فيه يا مسلم، أن يتطرق إلى نفسك سوء ظن بالله ووعدده. اجعل كل سوء الظن بك أنت وأفعالك وأحوالك. ماذا أنت؟ ما هي مراتبك في الإيمان؟ ماذا صنعت أنت أصلاً حتى تستوجب وتستنزّل؟ فوجب على المسلم أن يحسن ظنه، ووجب علينا أن نحسن ظننا بالله. ولا يجوز بأي حال من الأحوال مهما وقع يعني من سوء علينا، وكره، وتأخر يعني في أسباب النصر، وتسلبت المنافقين والكافرين وأمثالهم، مهما وقع من ذلك لا يجوز أن نسيء الظن بالله. فإن ذلك لو وقع، سيزيد النصر تأخراً، ويزيد من حرماننا من رحمة الله.

فإذا أسأنا ظننا بالله سبحانه وتعالى، فبأي وجه يعني نطلب منه أن ينصرنا، ويعزنا، يعني يعيننا على كرب الدنيا. بأي وجه؟

فوجب على كل مسلم ومسلمة أن يصلح ما بينه وبين الله، باتقائه، وأهم شيء في ذلك إحسان ظنه بربه سبحانه وتعالى، والله الأمر يفعل ما يشاء، ويحكم من يريد. فيجب أن نكون على ثقة بالله، وقدرته، وعظمته، وأن هذا هو قدره، وهذا هو دينه الحق الذي لا يجوز أن نماري فيه، ولا نسيء الظن به.

(1) البقرة: 214.

(2) البقرة: 214.

(3) يوسف: 110.

فإذ كان لا بد نريد أن نسيء الظن، فلنسيء الظن بأنفسنا، وأفعالنا القبيحة، وذنوبنا العظيمة، وشورنا التي.. الله المستعان. نسأل الله أن يتوب علينا، ويغفر لنا فهذا هو المراد، مراد الله حق على كل حال.

**(وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ)** هذه الجملة سلفية عظيمة، نبوية شريفة جليلة، وهي إحدى أدلة أهل السنة على وقوع رؤية الله يوم القيامة. ولأجل هذا أدخل البخاري هذا الحديث في باب سيأتي معنا، وهو "باب قوله تعالى: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ} من النَّظَرَةِ" إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} من النظر. لقاءك الحق.

وعندنا بضع آيات في القرآن نصت على لقاء الله سبحانه وتعالى. وبمقتضى اللغة والمعاني العقلية أن اللقاء يقتضى المقابلة والمواجهة، مع أدلة أخرى سيأتي تقريرها إن شاء الله تعالى في الباب المشار إليه.

**(وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ)** طبعاً اختصر البخاري الحديث؛ لأن مقصوده كما قلنا يعني بيان ربوبية الله لسماوات والأرض.

وأكمل الحديث: **(اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ)** وهو دعاء نبوي شريف في صلاة الليل. **(وَإِلَيْكَ أُنَبِّئُ وَبِكَ خَاصَمْتُ)** إلى قوله: **(لَا إِلَهَ لِي غَيْرُكَ)**.

ثم أدخل البخاري سنداً آخر فقال: **(حَدَّثَنَا ثَابِتُ بْنُ مُحَمَّدٍ)** هو العابد. قالوا في وصفه كما في "التقريب" وغيره صدوق ربما أخطأ، يكنى أبا محمد.

قال: **(حَدَّثَنَا سُفْيَانُ)** هو الثوري.

**(بِهَذَا)** أي أن ثابت بن محمد روى الحديث السابق حديث ابن عباس، عن شيخه سفیان الثوري تماماً كما رواه قبيصة بن عقبة، وهو شيخ البخاري بنفس الحديث كما قرأنا. إلا أن ثابت بن محمد خالف قبيصة في لفظة واحدة، وهي أنه أضاف كلمة "أنت الحق" وهي ثابتة صحيحة، موجودة في رواية الحديث عند البخاري في كتاب "التهجد". وسيأتي أيضاً في "كتاب {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ} **(أَنْتَ الْحَقُّ)**، فالله الحق، من أسمائه الحق سبحانه وتعالى. وسيأتي تقرير لمعنى الحق في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى. اقرأ ما بعده.

### بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

قال الإمام أبو عبد الله البخاري \_ رحمه الله \_:

(بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا وَقَالَ الْأَعْمَشُ عَنْ تَمِيمٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ \_  
رضي الله عنها \_ قَالَتْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي عَثْمَانَ عَنْ أَبِي مُوسَى \_  
رضي الله عنه \_ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا فَقَالَ ارْبُعُوا  
عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا ثُمَّ أَتَى عَلِيَّ وَأَنَا أَقُولُ فِي  
نَفْسِي لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ لِي يَا عَبْدَ اللَّهِ بِنَ قَيْسٍ قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كُنْزٌ  
مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ أَوْ قَالَ أَلَا أَدُلُّكَ).

يقول إمامنا الجليل البخاري \_ رحمه الله \_ : (بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) هذا

الباب بتقرير إثبات صفتي السمع والبصر لله تعالى، وهي من صفات الكمال؛ لأن معنى قولنا: (سَمِيعًا  
بَصِيرًا) أو السمع والبصر يقتضي ثلاثة أشياء:

- الشيء الأول: يقتضي إثبات ذات، أو نفس سمعية بصيرة.
- ويقتضي ثانياً إثبات صفة اسمها صفة السمع وصفة البصر، بها تسمع تلك الذات، وتلك النفس، وبها تبصر.
- ويقتضي ثالثاً إثبات مسموعات كثيرة لا حصر لها، ومرئيات كثيرة لا عد لها. كلام مرتب أم لا؟ نعم.

فالله سبحانه وتعالى بذاته الجليلة العظيمة، ونفسه سميع بصير. ومعنى قولنا: "سميع بصير"، عدم

ذلك إذا قلنا عياداً بالله كما يقول كثير من الطوائف أن الله لا يسمع ولا يبصر، غير متصف بالسمع  
والبصر. هذا يقتضي أحد أمرين:

إما أن نفسه وذاته غير قابلة للسمع والبصر، وهذا تشبيهه الله بالجمادات. الجماد غير قابل للسمع

والصبر بأي حال من الأحوال. أليس كذلك؟ الجدار، والعمود، والخشب، غير قابل.

أو الاقتضاء الثاني: غير قادر لو فرضنا أنه قابل للسمع والبصر، نفي السمع البصر سيكون إذن أنه

غير قادر على السمع والبصر لوجود آفة، أو عجز. ويجب تنزيه الله عن كلا الأمرين؛ لأنك إن جعلته عياداً

بالله غير قابل أن يسمع أو يبصر، شبّهته بالجماد الغير قابل للحياة، وغير قابل للسمع، وغير قابل للبصر،

وغير قابل للعلم، جماد.

وإن جعلته غير قادر على السمع والبصر، اقتضى ذلك وجود مانع، والمانع لا يخرج إما أن يكون آفة، وقد نفاه النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ بقوله: **(لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ)**، أو وجود عجز، عاجز. وكلا هذا فيه نسبة العجز والآفة إلى الله.

فوجب إذن على قاعدة الكمال المطلق لله، أن يكون الله قابلاً للسمع والبصر وقادراً عليه، فوجب إثبات كونه سمياً بصيراً. ولا مخرج إذا نفينا السمع والبصر عياداً بالله كما يقول أئمة بعض المتكلمين. يقول نحن إذا قلنا بأن الله يسمع ويبصر، هذا يقتضي تشبيهه بالمخلوقات، وهذا يقتضي أن الله يعني يحتاج إلى سماع، ويحتاج إلى شعاع، ويحتاج إلى هواء ينتقل فيه ذبذبات الكلام، ويحتاج، ويحتاج. وفيه إثبات الحاجة. فتزبيهاً لله عن هذه الحوائج، ينزهه أن يكون سمياً بصيراً. وما علم هذا المتكلم وهذا القائل أنه وقع في أسوأ مما فر منه. فإذا فررت من تشبيهه بالمخلوقات الحية السميعة البصيرة، إذا بك تجعله شبيهاً إما بالجماد الغير قابل أن يسمع ويبصر، أو بالعاجز عن السمع والبصر، لوجود الآفة والعجز. والعقلاء يقولون لو فرضت شيئين، أحدهما قابل للسمع، والبصر، والعلم، والحياة. والآخر غير قابل لهذه الأشياء، كل عاقل سيقول الذي هو قابل للسمع والبصر والعلم أكمل من الذي لا يقبل ذلك. وللا

لا؟

ثم إذا انتهينا من قضية القابلية. لو قدرت شيئين، أو فرضت شيئين أحدهما قادر على السمع والبصر والعلم والحياة، والآخر غير قادر لآفة أو عجز. كل عاقل سيقول لك القادر على السمع والبصر والعلم والحياة ونظائرها أكمل، ولا جدال في هذه المسلمة وهذه المقدمة. فينبني عليها وصف الله بكل ما فيه كمال من هذه الصفات المنسوبة له، بما فيها السمع والبصر، بما فيها السمع والبصر. ويقتضي ذلك كما قلنا ثالثاً، وجود مسموعات وأصوات تُسمع، ووجود أعيان تُرى. ولذلك في أثر عائشة الذي سيأتي بعد قليل، إشارة إلى بعد إثبات أن الله يسمع سبحانه وتعالى، إشارة إلى خصائص سمعه سبحانه وتعالى، وخصائصه بصره الذي تميز بهما كما هو متميز في كل صفاته سبحانه وتعالى عن بقية المخلوقات.

نحن نسمع ونبصر، لكن فيه مفارقات هائلة وعظيمة بين سمعنا وبصرنا، وسمع الله وبصره، كما هناك فرق هائل بين حياتنا وقدرتنا، وحيات الخالق والبارئ سبحانه وتعالى وقدرته. وسنقرر هذا في حديث عائشة.

بعد هذه المقدمة نتقل إلى مقدمة أخرى مهمة أيضاً، وهي لا ينبغي أن نربط بين صفتي السمع والبصر، وصفة العين مثلاً التي هي في فهمنا وتصورنا آلة الإبصار. أنت بماذا تبصر؟ بأصابعك ولا بيدك؟ تبصر بعينيك. فعيناك آلة بصرك. وحتى تبصر تحتاج إلى ثلاثة أشياء:

- عين باصرة سليمة من الآفة، من العمى عياداً بالله ونحو ذلك.
- وتقتضي أجسام عاكسة. إذا أطلقت النظر في السماء ما تشوف شيء، يضيع البصر. لا بد من أجسام تعكس رؤيتك وبصرك.
- ولا بد من ضوء، في الظلام ما ترى شيئاً، حتى لو كانت حاستك سليمة، حتى مع وجود أجسام ممكن أن تُرى.

هذا النظام في رؤيتنا لا تنقله إلى صفة البصر بالنسبة للبارئ سبحانه وتعالى. وهذه مدخل المتكلم، لما كبر عليه أن يثبت لله صفة البصر؛ لأنه قاس بصر الله على بصرنا. إذن فالله يحتاج إلى عين جارحة آلة للإبصار، وأجسام عاكسة للشعاع المنبعث من عينه، كالشعاع المنبعث من عينك، وأضواء ونحو ذلك يعني حتى يبصر. هذا القانون لا تنقله إلى الله ووصفه.

ولذلك قلبت في المقدمة قبل قليل، لا تربط عندما تثبت لله صفة السمع والبصر، وهما صفتان لله سبحانه وتعالى، وصفات أخرى ذاتية كصفة العين مثلاً. ولذلك أهل السنة إذا جاؤوا لصفة البصر مثلاً، وتكلموا عليها، وأرادوا بيان أنها صفة ثابتة لله، يأتون بالآيات، ويأتون بالأدلة الدالة على ذلك كهذه الآية: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾<sup>(1)</sup> ونحوها.

وعندما يأتون يقررون صفة العين لله، وهي صفة ذاتية، يأتون أدلة أخرى وللا لا؟ ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي﴾<sup>(2)</sup> ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾<sup>(3)</sup> مثلاً، بحديث النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ : ((إن ربكم ليس بأعور))<sup>(4)</sup> مثلاً.

وأزبدك توضيحاً، ولم يقل أحد من أئمة السنة قط، ولم يتكلم أحد منهم قط بصفة اسمها صفة الأذن مثلاً. فهمت وللا لا؟ هل مر عليك شيء من ذلك؟

(1) طه: 46.

(2) طه: 39.

(3) القمر: 14.

(4) الترمذي في سننه ج 4 / ص 514 حديث رقم: 2241.

ما تجد في كتاب سلفي سني من الأئمة صفة الأذن؛ لأن لا رابط عندهم بين السمع والأذن، يعني لا يسمع إلا بوجود أذن. لا، لذلك لما جاؤوا لصفة العين، لولا وجود النصوص الخاصة بها، كالتي سمعتم بعضها، لا رابط بينها وبين صفة البصر، ولا صفة السمع؛ لأن الأشياء حتى في المخلوقات الموجودة، حتى في المخلوقات ليس بالضرورة كل مخلوق متصف بالسمع والبصر، لا بد له من أذن وعين، ليس هذا ضرورياً. كما أنه يعني كما سيأتي.

خذ الدليل الواضح على هذا، ما معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (1) وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾<sup>(1)</sup> ما معنى ﴿أَذْنَتْ﴾ نأخذها بالترتيب. ﴿أَذْنَتْ﴾ إما أن تكون من الإذن وبمعنى السماح، أو من الأذن وهو الاستماع. قطعاً لن تكون بمعنى السماح؛ لأن الإذن بمعنى السماح يكون من الأعلى للأدنى، الأرض لا تأذن لله، الله يأذن لها. أليس كذلك؟

هذا مقتضى اللغة والعقل والشرع. الأقل والأضعف والأصغر هو الذي يستأذن الأعلى والأجل. أنت تستأذن مثلاً على الأمير، فيأذن لك أو لا يأذن لك. تستأذن على والدك يأذن لك أو لا يأذن لك. تستأذن على مدير، تستأذن على رئيسك يأذن لك أو لا يأذن لك، لا العكس.

فلا تكون ﴿أَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ من الإذن؛ لأنه لا يقوم لك بأن تكون السموات والأرض وهي مخلوقات ضعيفة من خلق الله في مجال أن تأذن لله أو لا تأذن. فأصبح قطعاً وجزماً ﴿أَذْنَتْ﴾ من الأذن وهو الاستماع. وهل هناك قائل أو عاقل يقول بأن للأرض أذن تسمع بها؟ أو للسماء؟ سمعها على ما يليق بها بصفة وكيفية، ليس بالضروري أن نعرفها. كما أن الله أثبت أن الأرض والسماء، وبعض المخلوقات التي في حسنا، ربما لا تتكلم ولا تنطق أنها تتكلم وتنطق. وإيش الآية التي في سورة فصلت؟ ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ إِنِّي نَادِيَةٌ أَوْ كَرَاهًا قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَىٰ أَفْكَارٌ مُّؤْتَمِنَةٌ﴾<sup>(2)</sup> كلام فصيح، كلام عقلي فصيح ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ وقال هنا قول لا كما فسرهما الرازي وغيره، وذهب يفلسفها بأن "قَالَ" بمعنى يعني التنفيذ القدري والخضوع القدري، ليس هذا في لسان العرب معروفاً.

﴿أَذْنَتْ﴾ هنا بمعنى استمعت، ومنه قوله تعالى فيما أضافه المنافقون إلى النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ من صفات القبح، واللمز والغمز. قال المنافقون قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ

(1) الانشقاق: 1-2.

(2) فصلت: 11.

**يُؤذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ** <sup>(1)</sup> ليس المعنى بكل وجوه اللغة والتفسير أنه ذو أذن؛ لأن هذا يشترك فيه النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ مع غيره، وهذا ليس واردا هنا.

والأذن يعني كثير الاستماع لكل من هبّ ودبّ. كل كلام تسمعه يقوله، يستمع للناس، وينقل الأخبار وكذا، يسوي نفسه كأنه عنده علم وكذا، يصورونه كأنه إنسان ساذج \_ وحاشاه عليه الصلاة والسلام \_ وكذا، يستمع لكل من يتكلم، وينقل لنا هذا الكلام أنه من أساطير الأولين، وأخبار، يستمع إلى الكهان والسحرة والمنجمين والمشعوذين. يصفون النبي بهذا ليطعنوا في كلامه العظيم، وعلمه الجليل الذي أوحاه الله إليه. **﴿أُذُنٌ﴾** هنا بمعنى كثير الاستماع، يستمع لكل شيء وينقل كل شيء، وهذا فيه ذم؛ لأن العاقل الحصيف ما يستمع لكل من هبّ ودبّ، وكل كلام يسمعه ينقله. هذا مجنون هذا ما هو عاقل من يصنع ذلك وللا لا؟

العاقل يميز الكلام، ينظر ما يُسمع وما لا يسمع، ما يُنقل وما لا ينقل. والذي يحدث الناس بكل ما يسمع، يقع في الكذب قطعاً \_ حاشاه صلى الله عليه وسلم \_ أن يكون كذلك. فهذا "أُذُنٌ" بمعنى كثير الاستماع، ليس الحديث عن صفة أذن، ولا آلة سمع نهائياً. ومنه قول الشاعر وهو عدي بن زيد العبادي، شاعر جاهلي نصراني يقول ماذا في أبياته يقول:

أيها القلب تعزى بددٍ إن همي في استماع وأذن

يعني مشهور عنك بالاستماع، وتتبع أخبار كما يقول صديقه، أو يعني التي يتغزل بها. يريد بس أي خبر يخبره عنها. يقول لقلبه لست في حال أن أسليك، فعزني لما فأنا الآن أتتبع أخبار، أنا مشغول مرة، أتتبع أخبار أي خبر يأتيه من صديقه، أو يعني معشوقته يتغزل بها بهذا الشعر.

..... إن همي عنك في استماع وأذن

إلا هذه مهمة.. نريد أن نفرق فيه معنى لطيف جداً بين كلمة "استمع" وكلمة "أذن" التي بمعنى

السمع، ليست بمعنى واحد تماماً، بحيث يحق لك أن تجعلها مترادفتين تماماً. لا،

"أذن القاريء" هو استماع بإصغاء. إذا كان الاستماع بإصغاء، يصح أن تقول عنه أذن، تستخدم

كلمة أذن. ومنه قول النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ في المتفق عليه، على أصح أقوال ومعاني الحديث:

**((ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن))** <sup>(2)</sup> هذا استماع باهتمام وإصغاء، يقول

(1) التوبة: 61.

(2) النسائي في سننه الكبرى ج 5 / ص 22 حديث رقم: 8053.

يعني ما استمع الله، هذا معنى الحديث، لشيء كاستماعه، يدل على أنه استماع بنوع اهتمام ويعني إصغاء ((لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن)) هذا معنى الاستماع. ليش أوردنا هذا الكلام؟ لنقرر ما قلته قبل، حتى نربط الكلام. لا تربط بين صفة السمع والبصر، ومع العين والأذن. ولذلك قلت يثبت أهل السنة صفة العين من وجه أدلة خاصة بها، ولا يتكلمون في شيء اسمه صفة الأذن لله. لماذا؟ لعدم وجود دليل عليه، ولم يربطوا بين السمع وبينها.

الله يستمع سبحانه ويسمع كما يشاء على ما يشاء، كيفية ذلك مجهولة عند الخلق. انتبهوا لهذا فإنه

مهم.

**(وَقَالَ الْأَعْمَشُ)** هذا الحديث فيه مسائل مهمة، هذا الحديث المعلق ربما وفيه طرف مرفوع. لا يوجد حديث عائشة هذا، لا يوجد في صحيح البخاري كله إلا في هذا الموضوع فقط، وبهذه الصيغة صيغة التعليق: **(وَقَالَ الْأَعْمَشُ)** لا يوجد موصولاً مسنداً في صحيح البخاري قط، وهو لا يوجد أصلاً إلا هنا، فهو حديث معلق غير مسند ولا موصول. ولكن علقه البخاري جازماً به.

والحديث أخرجه الإمام أحمد، والنسائي، وأبو داود بأسانيد صحيحة يعني لمن أراد أن يراجع.

**(وَقَالَ الْأَعْمَشُ)** وهو سليمان بن مهران، من طبقة صغار التابعين.

**(عَنْ تَمِيمٍ)** هو ابن سلمة السلمي بفتح السين واللام. إذا قلنا السلمي نسبة إلى بني سلمة بكسر اللام، وهم بطن من الأنصار الخزرج، قوم جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي، الصحابي الجليل، نسبة إلى بني سلمة. ولذلك لا بد تضبطها السلمي. هذا الرجل لا يوجد له أي ذكر في صحيح البخاري ولا رواية إلا في هذا الموضوع الواحد. سجلوا هذه أيضاً. تميم بن سلمة السلمي، وقد وثقه الجمهور.

**(عَنْ عُرْوَةَ)** هو ابن الزبير، التابعي المشهور.

عن خالتها **(عائشة)** أم المؤمنين \_ رضي الله عنها \_.

**(قَالَتْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ)** عائشة \_ رضي الله عنها \_ أم المؤمنين تتأدب في

كلامها هذا بأداب القرآن العظيم. فإن الله \_ جل وعلا \_ في القرآن العظيم ربما يبتدئ كثير من الكلام والسور بحمده، والثناء عليه \_ جل وعلا \_.

وإذا تتبعت مواضع الحمد في القرآن، تجدها تدور على ثلاثة أمور في الغالب: الأمر الأول: يتقدم

الحمد لما يترتب عليه ثناء على الله، والثناء لا يكون إلا بذكر الأسماء، والأوصاف العظيمة الجليلة. قال الله

تعالى مثلاً أول الأنعام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ آخر آية في الإسراء، حمده على ماذا؟ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾ (2) والحمد في فاتحة فاطر اقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ (3) فاتحة سبأ:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ (4) هذا النوع الأول.

النوع الثاني: حمده على نعمه الدينية التي أعظمها الرسالة، والأنبياء، والوحي، والقرآن، والشريعة

الغراء العظيمة، نحمد الله عليها. عندك فاتحة الكهف دليل على ذلك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قِيَمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ (5) هذا الكتاب العظيم القيم، الذي تضمن من العلم والخير والهداية ما يغني العباد إلى يوم القيامة لو فقهوا وعقلوا عن الله رسالته. فيحمد الله نفسه على ذلك سبحانه وتعالى.

والنوع الثالث: حمده على النعم الحسية، وممكن نسميها الدنيوية من الصحة، والطعام، والشراب،

والظهور على عدو، ودفع الشرور والآثام، وهذا أيضاً يأتي في القرآن في مواضع يعني كثيرة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (6) ونظائرها.

فعائشة \_ رضي الله عنها \_ هنا تريد أن تصف رب العالمين بوصف جليل عظيم، فاستخدمت

أسلوب القرآن، وتأدبت به. فقالت: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ما مورد الحمد هنا؟ مورده أنها تتبع أسلوب القرآن؛ لأنها ستضيف إلى الله وصفاً جليلاً، يستحق به \_ جل وعلا \_ كأوصاف أخرى أن يُحمد، ويُمجّد، ويشنى عليه به.

فقالت: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ﴾ قلت في صدر درسي هذا، أن السمع والبصر

يقتضي ثلاثة أمور: نفس سامعة،

صفة السمع، هذه يمكن أن نسميها تجاوزاً الحاسة، لا تقول الآلة؛ لأننا نتكلم في وصف.. نبهت

قبل قليل الفرق بين السمع والعين لأجل هذا. ووجود أصوات تسمع، وأعيان تُرى. وقلت أن ما يتميز به

(1) الأنعام: 1.

(2) الإسراء: 111.

(3) فاطر: 1.

(4) سبأ: 1.

(5) الكهف: 1-2.

(6) الزخرف: 13.

سمع الله وبصره، وسأذكره في ذكر أثر عائشة هذا. أولاً من أعظمه أن سمعه \_ جل وعلا \_ وسع الأصوات كلها، قليلها وكثيرها، دقها وجلها، خفيها وظاهرها، وهذا ليس بمقدور أحد من الخلق، ولا عشره، ولا شيء يذكر منه.

فالله سبحانه وتعالى كل أصوات الخلائق مما نسمع ولا نسمع، ومما نعلم ولا نعلم، سمعه الجليل العظيم وسعها.

وكلام ابن بطال هنا الحقيقة لا معنى له، وتمنيت ألا يكون ذكره. قال ما قبل السعة قبل الضيق، وهذا لا يليق بالله. ماذا تعلم من وصف عائشة، وحمدها، وثنائها، وكلام الله، وكل ما قبل السعة قبل الضيق.

هنا عائشة تذكر وصفاً يتميز به سمع الله عن أسماعنا. نحن نسمع، متصفين بالسمع الحمد لله. أسأل الله أن يبارك في أسماعنا، وأبصارنا، وقواتنا، ويتولانا بعفوه وعافيته.

لكن سمع الله \_ جل وعلا \_ متميز تميز هائل عظيم، إن الله وسع الأصوات كلها. فلا يعزب عن سمعه صوت، تماماً كما لا يعزب عن علمه شيء.

والصفة الثانية: لا يشغله سمع عن سمع. الخلائق، الذي يدعو، والذي يناجي، والذي يتكلم بالإيمان، والذي يتكلم بالكفر، يسمعها كلها \_ جل وعلا \_ ويعلمها. فيجيب من يجيب، ويعطي من يعطي، ويحاسب من يحاسب، ويعاقب من يعاقب، ويدبر ما يدبر، ويقدر ما يقدر، ويقدم ما يقدم، ويؤخر ما يؤخر. فسمعه وسع الأصوات، ولا تشغله. فجل (54:37) الأصوات لا يشغله سبحانه وتعالى.

هذان وصفان جليلان عظيمان تميز بهما سمع الله \_ جل وعلا \_ كما تميز أيضاً بصره، كما تميز بصره سبحانه وتعالى بسعة ذلك، فيسع كل المرئيات، ولا يحتاج كما قلنا إلى ضوء، وإلى آلة باصرة وشعاع، والكلام هذا كله لا تنقله مقاييس الخلق إلى صفات الخالق.

فَعَائِشَةُ (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ) هذا هو مرادها ومقصودها.

(فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى) هنا فيه اختصار في الرواية؛ لأن مقصود البخاري حصل؛ وهو أن يعني الله

يسمع، وأم المؤمنين يعني تصف سمع الله وتستشهد بالآية العظيمة الجليلة. تقول لقد جاءت المجادلة وهي حولة بنت ثعلبة \_ رضي الله عنها \_ تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها، ظَاهر منها أوس بن الصامت، ظاهر منها.. في طرف البيت، وإنه ليعزب عني كثير من كلامها. مع أن بيت عائشة ما هي فيلا، حجرة. إذا أراد أن يسجد سحبت قدميها، متر ونصف في مترين بيت النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_.

جاءت في طرف البيت تناجي رسول الله وتشتكي زوجها، عائشة في داخل البيت، يعزب عنها ما تسمعها، تسمع صوتاً لكن لا تدرك معاني الكلام، والله من فوق سبع سموات ينزل قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾<sup>(1)</sup> مع أنها كانت تكلم النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ سراراً ومناجاة، جاءت شاكية متضررة من زوجها الذي ظاهر منها.

فعائشة لما نزلت هذه الآية، بنت عليها تحميد الله وإثبات هذه الصفة العظيمة المقدسة الجليلة صفة السمع، التي وسع سمعه الأصوات سبحانه وتعالى. فأنزل الله تعالى على نبيه \_ صلى الله عليه وسلم \_: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾.

نقطة أخيرة: من أنواع علوم الحديث، أن الصحابي إذا فسر الآية بسبب النزول، فإن ذلك يعطى حكم الرفع إلى النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ يعطى حكم الرفع، ليس مرفوعاً صريحاً. يجب أن نفرق بين ما هو مرفوع صريح. المرفوع الصريح: "قال النبي"، "فعل النبي صلى الله عليه وسلم"، "أمر النبي صلى الله عليه وسلم"، ينسب إليه فعل أو قول.

لكن شيء له حكم الرفع، إذا قال الصحابي: "أمرنا بكذا"، ما نسب الأمر إلى معين، لكن قطعاً هناك حكم رفع فلا أمر لهم غير النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ "أهينا عن كذا". إذا قال الصحابي: "من السنة كذا أو كذا" يعطى حكم الرفع.

إذا فسر الصحابي الآية بمقتضى سبب النزول كما تفعل عائشة هنا: (فَأَنْزَلَ اللَّهُ) هذا يعطى حكم الرفع. فيكون قولها: (الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ) هو موقوف من كلامها، لكنه حكم الرفع إلى النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ لأنها رتبته إلى سبب النزول.

قال العراقي في الألفية: "وعدّ ما فسره الصحابي رفعاً فمحمول على الأسباب. فإذا الصحابي فسرها بسبب النزول، له حكم الرفع إلى النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وهذا من أمثلة ذلك الواضحة البينة. اللهم وفقنا لما تحب وترضى. اللهم ألهمنا رشدنا. اللهم قنا شرور أنفسنا. اللهم ثبتنا على الحق والهدى إلى أن نلقاك. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه، والسلام عليكم ورحمة الله.

(1) المجادلة: 1.



## الدرس الثاني عشر

بسم الله الرحمن الرحيم. إن الحمد لله نحمده ونستعينه نستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.  
أما بعد:

ابتدأنا في الدرس السابق في **(بَابِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)** وتحدثنا على ما قرره أهل السنة من إثبات هاتين الصفتين العظيمتين الجليلتين من صفات الله تعالى، وهما صفة السمع والبصر، وتقدير ذلك عقلاً ونقلاً. وأيضاً الأثر أو الحديث الموقوف الذي صدر به البخاري الباب، وهو حديث عائشة في قولها: **(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ)** تكلمنا عن هذا أيضاً بما يكفي، فنواصل الدرس بذكر أو تدارس الأحاديث الباقية في هذا الباب.

قال البخاري \_ رحمه الله \_ : **(حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ)** ابن بجيل الأزدي الواسطي، قاضي مكة، إمام مشهور، من كبار الأئمة. مختص كثيراً بالرواية عن حماد بن زيد، حتى قيل أنه لزمه نحو تسعة عشر عاماً، أخرج له الستة كلهم، إلا أن البخاري وأبا داود أخرجاه عنه مباشرة، والباقون من الستة أخرجوا عن بواسطة. توفي سنة مائتين وأربعة وعشرين (224).

قال: **(حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ)** ابن درهم الجهضمي البصري، الإمام المشهور، أحد الحمادين الثلاثة، كانوا أئمة العلم في البصرة: حماد بن زيد، حماد بن سلمة، وحماد بن أسامة.  
**(عَنْ أَيُّوبَ)** السخيتاني، ابن أبي تميم السخيتاني، إمام تابعي مشهور.

**(عَنْ أَبِي عَثْمَانَ)** هو النهدي اسمه عبد الرحمن بن مُل، من بني مالك من النهدي، والنهد من فُضاعة كما ربما قرناه في دروس سابقة، مخضرم، عاش ستين سنة في الجاهلية، وسبعين سنة في الإسلام يعني مائة وثلاثين سنة ما شاء الله. إمام مشهور، يعني من ثقات التابعين، من كبار التابعين، لم يفته في الرواية من الصحابة أحد إلا صديق، وروى عن عمر، وعثمان، وعلي، وبقية كبار الصحابة.  
**(عَنْ أَبِي مُوسَى)** الأشعري عبد الله بن قيس.

**(قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ)** الحديث أخرجه البخاري هنا في "كتاب التوحيد"، وأخرجه في "كتاب الدعوات"، "باب فضل لا حول ولا قوة إلا بالله"؛ لأنها واردة في الحديث، وأخرجه في "المغازي". وسبب إخراج الحديث في "المغازي" أن كلمة **(فِي سَفَرٍ)** هنا فُسرَت في الرواية التي في "المغازي"؛ وهو أن هذا السفر كان سفر لغزو، وليس هذا فقط؛ بل في غزوة خيبر على وجه الخصوص. هذه القصة التي حصلت قوله: **(فِي سَفَرٍ)** عرفنا من رواية الحديث عند البخاري التي في "المغازي"، "باب غزوة خيبر" قال: ((خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر)) فهي سفر، غزو لفتح خيبر، وكان ذلك في السنة السابعة كما نعرف.

**(فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبْرَنَا، إِذَا عَلَوْنَا)** أي شرفاً أو نحو ذلك، رفعوا أصواتهم بالتكبير. زاد في رواية "الدعوات": ((وكنا إذا علونا شرفاً أو هبطنا وادياً كبرنا)) وكانوا يعني وهم في الطريق، سواء صعدوا على أحد هذه الصعودات، أو هبطوا أحد تلك الأودية، جهروا بتكبير الله \_ عز وجل \_ لأنه خارجون للغزو، والجهاد، ويستأنسون بذكر الله سبحانه وتعالى، ويتقوون به على وجه الخصوص التكبير. التكبير لما فيه من شد القلوب، واستنزال نصر الله وتأيدته سبحانه وتعالى؛ وأنهم إنما خرجوا يقاتلون في سبيل الله، الذي هو أعظم وأكبر من كل شيء.

لكنهم كانوا يرفعون أصواتهم بأقصى ما عندهم من طاقة، فاستدرك عليهم النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ هذا الرفع من الصوت كما سندرك.

**(فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبْرًا فَقَالَ ارْبِعُوا)** هذا الضبط الصحيح لهذه الكلمة بهمزة قطع مكسورة، والباء

الموحدة الساكنة، والعين مفتوحة.

**(ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ)** ومعنى **(ارْبِعُوا)** أي أرفقوا بأنفسكم ولا تجهدوها بهذا الصياح الشديد ورفع

الصوت؛ لأن الإنسان إذا رفع صوته كثيراً يرهقه ذلك ويتعبه.

فالنبي صلى الله عليه وسلم رفقاً بهم، وإبقاء لطاقتهم وجهدهم؛ لأنهم خارجين إلى الغزو، والمراحل

الشديدة في هذا السفر لم تأت بعد؛ لأنه ربما سيقاتلون، ويحتاجون أن يتوفر لهم كل طاقتهم، وإلحدي

الحكم في إباحة الفطر في رمضان في الغزو.

إذا خرجوا للغزو، فالأفضل الفطر كما قرره أهل العلم؛ لأن ذلك فيه تقوية للجسم؛ لأن ما

سيقابلونه من جلال العدو والحرب، يحتاج طاقة بدنية كما نعرف، وطاقة نفسية كبيرة، فأقرهم على الذكر

وتكبير الله لما فيه من شد القلوب، واستئزال نصر الله، وبذكر الله تطمئن القلوب وتسكن، واستدرك عليهم

الجهر بالصوت بهذه الطريقة الشديدة، إبقاء عليهم، وإرفاقاً بهم حتى لا يكلفوا أنفسهم جهدها، توفيراً لهذا

الجهد للقادم من الجلال وحرب العدو.

**(ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَسْمَ وَلَا غَائِبًا)** هذا موضع الشاهد لإخراج البخاري \_

رحمه الله \_ هذا الحديث في هذا الباب من كتاب التوحيد، (باب {وكان الله سميعاً بصيراً}).

قوله: **(فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ)** لم يتقدم من الصحابة دعاء؛ وإنما تقدم ذكر، وهو التكبير على وجه

الخصوص.

فقال العلماء أو بعضهم، يستفاد من هذا أن عموم ذكر الله يندرج في الدعاء، عموم ذكره؛ لأن

الإنسان عندما يذكر الله، له في ذلك غاية وهدف، أن يعفو الله عنه وللا لا؟ أن يرفع درجته، أن يزيد في

ثوابه، أن يغفر ذنوبه.

فالمسلم عندما يذكر الله سبحانه وتعالى له في ذلك مقاصد، من غفران الذنوب، ورفع الدرجات،

وتسجيل الحسنات، وتثقيل الموازين ونحو ذلك، وهو الغرض المطلوب أصلاً من الدعاء؛ لأن الدعاء هو

استجداء، واستئزال عفو الله وعافيته، إن كان الدعاء بالمغفرة وبالرحمة وغير ذلك.

فذكر الله لأنه يحقق الغاية التي يحققها، أو التي يطلبها الداعي، وهو أن يستنزل على نفسه من عفو الله، ورحمته، ورزقه، وإعانتته، وتسديده، وتوفيقه، ما يروم ويطلب، ووسيلته الدعاء، هذا يحصل أيضاً بالذكر، هذا يحصل أيضاً بالذكر، وذكر الله أكبر، وذكر الله سبحانه وتعالى أعظم.

فسمى النبي صلى الله عليه وسلم ما صنع أصحابه من ذكر الله وتكبيره، سماه دعاءً؛ لأنهم إنما يكبرون الله ولهم في ذلك مقاصد، أن ينصرهم الله، وأن يثبتهم، وأن يعينهم، وأن يسددهم، وأن يكفر ذنوبهم، وأن يرفع درجاتهم، وأن يشد قلوبهم، ونحو ذلك من مقاصد، خاصة أنهم خارجين إلى أمر عظيم تطيش فيه العقول، وتزيغ الأبصار، وتزل الأقدام، وهو الحرب والغزو، وهذه فيها ما فيها من الكرب العظيم ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ﴾<sup>(1)</sup> فهم إنما يكبرون الله على هيئة الداعي والطالب المحتاج إلى نصر الله، فسماه دعاءً من هذا الباب ومن هذا الوجه (فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَسْمًا وَلَا غَائِبًا) ، (أَصَمَّ) في كل روايات الحديث بهذا الضبط (أَصَمَّ) بدون تنوين. وما جاء في رواية القابسي وغيره ((أصمًا)) هذا لحن؛ لأن (أصم) ثلاثي ممنوع من الصرف، والممنوع من الصرف لا يسوغ فيه التنوين، فتقرأ (أَصَمَّ). (وَلَا غَائِبًا)، (غَائِبًا) مصروفة في اللغة، ولذلك جاز تنوينها.

قال الشراح أو العلماء، جاوز النبي صلى الله عليه وسلم بين كلمة (أصم) و(لا غائب) والصمم هو عدم القدرة على السمع لآفة عارضة. الصمم الذي منه كلمة (أصم) هو عدم القدرة على السمع لآفة عارضة.

قررنا في الدرس السابق، أنك إذا افترضت شيئين، أحدهما قابل للسمع والبصر، والآخر غير قابل لذلك، فالعقلاء يقولون ما كان قابلاً للسمع والبصر، أكمل من الذي لا يقبل ذلك. ولذلك كان جنس الحيوان أكمل من جنس الجماد.

وأيضاً إذا قدرت أو افترضت شيئين، أحدهما قادر على السمع والبصر، والآخر غير قادر على السمع والبصر، كان العقلاء متفقون على أن ما كان قادراً على السمع والبصر أكمل من الذي لا يقدر على السمع والبصر.

ثم قلنا أن عدم القدرة على السمع والبصر تكون لسببين: العجز، أو الآفة العارضة. ولذلك قلنا في درس سابق إثبات صفتي السمع والبصر لله تعالى ضرورة، تدخل في الضروريات العقلية حتى، ولو لم يأت بها النص؛ لأن عدم ذلك إما أن يحيل الله \_ تعالى الله جل وعلا \_ إلى جنس

(1) البقرة: 216.

الجمادات الغير قابلة للسمع والبصر، أو إلى جنس العاجز عن السمع والبصر لعجز أو آفة، وكلاهما ممتنع في حق الباري سبحانه وتعالى. فعندما يقول عليه الصلاة والسلام لا تدعون أصمًا، فيه إثبات أن الله سبحانه وتعالى قادر على السمع والبصر، متصف بهذه الصفة صفة السمع، لا عجز عنده فيها ولا آفة عارضة؛ ولذلك استخدم كلمة (أصم) هنا؛ لأن الصمم نكرر مرة أخرى هو عدم القدرة على السمع لآفة عارضة، والله سبحانه وتعالى لا يعرض له من النقائص والآفات ما يمنعه عن كمال صفاته من سمع، أو بصر، أو حياة، أو علم، أو قدرة، أو نحو ذلك من صفاته العظيمة الجليلة.

فالله عز وجل سميع، وسع سمعه الأصوات، يُنفى عنه عدم القدرة على السمع للآفة والعجز؛ لأن ذلك قدح، وينفى عنه أيضاً عدم القابلية للسمع والبصر؛ لأن ذلك أبعد في التعجيز والاستحالة من عدم القدرة، لوجود العارض أو الآفة. فالله سميع، بصير، قادر على السمع والبصر، لا يمتنع عليه ذلك، ولا آفة تمنع عنه سمعه أو بصره، ولا بقية صفاته، ولا عجز عن ذلك. فلذلك ثبت كون الله سميعاً، بصيراً، عقلاً؛ بل أقول ضرورة عقلية مع تقريرات وأدلة الشرع التي يعني منها هذا الحديث: **(فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا).**

قال أهل العلم: استخدم النبي صلى الله عليه وسلم كلمة **(غَائِبًا)** في الموضع الذي ربما يُتوقع أن يستخدم كلمة العمى مثلاً، والامتناع من الرؤية لعجز كما استخدم كلمة الصمم. فهمتم الآن؟ قال **(أَصَمَّ)** الكلمة المقابلة للصمم، أو المناسبة لها، الدالة على عدم الرؤية، هي العمى، فنزه الله عن كونه غير قادر على السمع، لعدم وجود الآفة العارضة، فنفي عنه **(فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ)**.  
لكن لما جاء في نفي أن يكون الله عز وجل غير قادر على الرؤية والبصر، لم يستخدم كلمة العمى الذي هو الآفة العارضة للرؤية، استخدم كلمة **(غَائِبًا)**. قال أهل العلم: استخدام كلمة **(غَائِبًا)** يحقق معنيين:

المعنى الأول: البصر والرؤية، وهي إحدى صفات الإدراك، والعلم، والإحاطة، والشهود، والحضور، وعدم وصول علم بعض أحوال خلقه عن طريق غير سمعه وبصره. يعني الله — سبحانه وتعالى — حتى تكون المسألة واضحة — وكل بنا ملائكة يراقبوننا، ويتابعوننا، أليس كذلك؟ ويرصدون علينا كل شيء **﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾**<sup>(1)</sup> وترفع الصحف إلى الله سبحانه وتعالى، أليس كذلك؟

صحائف الأعمال وغيرها أيضاً، فيغفر الله، ويتجاوز، ويعطي، ويمنع، ويوفق، يعني تدبير في خلقه.  
أليس هذا صحيحاً؟

علم الله بأحوال خلقه غير محتاج لصحف الملائكة، ولا متابعتهم، ولا مراقبتهم، فإنه مستقل بما له من صفات العلم، والإدراك، والإحاطة، والسمع، والبصر، بمعرفة مثاقيل الذر، وما هو أصغر من ذلك من أحوال الخلق. فلا يظن ظان أن أحوال الخلق تصل إلى الله عن طريق ما ترفعه الملائكة، ويعني تقدمه الملائكة إليه، فهو عالم بأحوالهم، راء لها، مبصر لها سبحانه وتعالى. ولذلك أتى بكلمة **(غَائِبًا)** لتحقيق هذين المعنيين، أن الله يرى ما نفع، ولا يعزب عن رؤيته شيء، ويعلم استقلالاً ما نفع. وما دُكر في نصوص أخرى من وجود الملائكة، وكتابتهم، ورفع للصحائف، ليس من حاجة عند الله لأن يعرف أحوال الخلق عن طريقهم. هذا يصح في ملوك الدنيا، وما يستقلون، يحتاجون إلى الجواسيس، وإلى المتابعين، والمراقبين، وإلى التقارير، وإلا إيش يعرفه؟ إيش يدره ما يصنع هنا وهناك، ما يدري، لا بد تأتيه التقارير من خلال الوسائط الكثيرة.

فليس الله كذلك سبحانه وتعالى، فهو مستقل، ولذلك يأتي في النصوص كثيراً **﴿وَكَفَىٰ بِهِ بَدُنُوبٍ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾** (1) **﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾** (2) ولكن الله عز وجل لتمام العدل، وإقامة الحجج على الخلق، وكل الملائكة للكتابة والشهادة ونحو ذلك، لأغراض أخرى غير حاجته أن يعلم ما يفعلون، أو يقولون، أو يصنعون، أو تخالج نفوسهم، أو ما يتحدثون به وما يفعلون **﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾** (3) فهذا هو المعنى **(فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَسْمًا وَلَا غَائِبًا)** سبحانه الله.

قال أيضاً بعض الشراح أيضاً حتى لا أنسى هذه. قد يفهم هذا أيضاً بجامع قوله صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل الطويل لما ذكر مرتبة الإحسان، قال أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

الإنسان ربما أقول لضعف إيمانه، وقله توقير الله في قلبه، غير مستشعر مراقبة الله له؛ لأن الله في حسنا الآن غيب، ما نراه ولا نشاهده، ولا نعلم كيف هو. فربما يعني لضعف الإيمان، لكن لو قلنا لك أن هناك شخص يراقبك في المكان الفلاني، تجدد قلق وللا لا؟ تتلفت يمنة ويسرة، وكذا، وتضبط كلامك حتى لا تسمع كلمة توديك في مشكلة... وللا لا؟؟ لأنك شاعر أن هناك من يرصدك، ويرقبك.

(1) الفرقان: 58.

(2) النساء: 79.

(3) المجادلة: 7.

وربما لو شاهدت من يراقبك، لازداد عندك القلق، وازداد عندك الحرص ونحو ذلك. فنحن البشر، ربما وهذا يقع كثيراً \_ نسأل الله أن يتوب علينا \_ لأننا يعني غير مستحضرين ما نرى الله، وقد لا نستحضر في فترات كثيرة من أحوالنا مراقبة الله لنا، فهو في حسنا غائب، وربما هذا يعني نستطيل في حرماته، ونستطيل في حدوده ما لا نستطيل لو كان جالس معك شخص عادي جداً، ربما لا يملك من أمرك شيئاً. ولذلك هذا مشكلة عظيمة.

فتذكيراً من النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله عز وجل بأن يراك، وليس كونك ما تراه، لا ينزل عندك منزلة أنه غائب عنك، وهذا الظن يقع فيه كل من فقد الإيمان، أو ضعف عنده الإيمان ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾<sup>(1)</sup> يظنون بالله ظن السوء، ومنه هذا.

وأحسن التفاسير لقول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾<sup>(2)</sup> أحسن التفاسير لهذا المعنى ﴿يَسْبِقُونَا﴾ أي يعني يفعلون أشياء غير مستحضرين المراقبة الإلهية، ويظنون أنها ربما ما شاف الله كل ما صنعنا، وربما يقع في حسنا ربما أن الله ما أدرك كل ما فعلنا، وربما إذا جئنا يوم القيامة نغلطه الحساب، ونسبته في إدراك ما نفعل ونصنع. هذا خطير وعظيم جداً، ويقع فيه الكفار عموماً لعدم إيمانهم بالله، ويقع فيه من ران على قلبه إثمه، ومعصيته. ربما هذا الران، وهذه الظلمة في القلب، ترشح هذا المخلوق البائس إلى أن يظن في الله مثل هذا الظن، فيستسهل تجاوز حرمت الله، ويستبسطها. تجده متأدباً، متوقراً، متحفظاً في كلامه إذا جلس مع صديق له، أو مع إنسان ربما حتى لا يعرفه. وسفياً، عريداً، فاجراً إذا خلا بجرمات الله. هذا انطبق في حقه تصور أن الله غائب عنه؛ ولذلك مهم جداً يعني أن يستحضر المسلم مثل هذا المعنى.

**﴿فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا﴾** فيه اختصار في العبارة.

**﴿تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا﴾** في رواية "المغازي" وغيرها ((إن الذي تدعون سميع بصير قريب)) فيه زيادة فقط في الرواية التي في "المغازي": ((وهو معكم)) هذه فقط في الرواية التي في "المغازي" وهو معكم، وهذه تحضر لك معنى **﴿وَلَا غَائِبًا﴾** فهو معنى بجميع وسائل الإدراك، العلم الذي لا يحتاج فيه إلى مراقبة

(1) ص: 27.

(2) العنكبوت: 4.

الملائكة، ولا صحفهم، ولا كتابتهم، والرؤية التي لا يعزب عنها أدق شيء، وأصغره، وأخفه. والسمع الذي وسع الأصوات كلها سبحانه وتعالى، فإلى أين المفر إذن؟!

((سميع بصير قريب)) قريب جاء في الرواية لتقابل وتزيل معنى **(غَائِبًا)** السابقة وهو محيط بما له من الصفات العظيمة، مستقل بذلك، بالسمع، بالبصر، بالعلم، غير محتاج لأي وسائل أخرى من ملائكة، أو نحوها. هذا المعنى يعني نؤكد عليه، ويؤكد عليه كلامنا **(سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا)** . فالله عز وجل سميع بصير قريب.

لا يجوز بعد هذا النص الصريح من النبي صلى الله عليه وسلم أن يتمارى، أو يمتري، أو يتردد أحد في إثبات أن الله عز وجل سميع، بصير، قريب، محيط، علیم، لا يعزب عنه شيء سبحانه وتعالى، وإضافة كلمة ((وهو معكم)) لتحقيق معنى المعية العلمية، والإدراك، والإحاطة التي هي من خصائص الله، وقدرته العظيمة، بما له من هذه الصفات الجليلة **(سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا)**.

قال: **(ثُمَّ أَتَى عَلِيٍّ وَأَنَا أَقُولُ)** إذن نعيد فقط نؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستدرك عليهم التكبير، والذكر؛ وإنما استدرك عليهم الصراخ، يعني ما الداعي للصراخ وأنت تنادي سميعاً بصيراً، يسمع دبيب النملة، فكيف لا يسمعك وأنت تذكره؟! يعلم ويسمع ويرى كل شيء، كل شيء مما نراه ونسمعه، ومما لا نراه ولا نسمعه، فرغ الصوت لا مبرر له في ذلك. خصوصاً أن هذا يتعارض مع خشوع الذكر، وخشوع الدعاء.

الله يقول في القرآن: **﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾** <sup>(1)</sup> الإسرار بالدعاء، والاختفاء به، ولذلك

ناسب الترتيب بين هذا الحديث والحديث الذي بعده حديث أبي بكر، الجليل العظيم، وهو نموذج من الأدعية التي في أشد فترات السر والخفاء، وهذا أبعد عن حتى ربما الرياء، وعن إذا دعا الله العبد متضرعاً مخلصاً بخفية، لا يريد أن يعلم بدعائه ولا يسمعه إلا الله السميع البصير القريب سبحانه وتعالى، هذا أقعد بتحقيق إن شاء الله الإخلاص، وأنس في خضوع الدعاء، وإخباته، وخشوعه، ولذلك يكره أكثر العلماء رفع الصوت في الدعاء، والصراخ كما قد يُصنع في بعض المساجد، خاصة في رمضان، يصرخون كأنهم في ملعب كرة. ما ينبغي هذا، ولا يليق بخضوع الصلاة، وخشوعها، **﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾** <sup>(2)</sup> ليش تصرخ؟ تسمع غائباً؟ ولا تدعو بعيداً؟ ما الداعي للصراخ؟ ما مبرره؟ إذا كنت تعتقد

(1) الأعراف: 55.

(2) الأعراف: 55.

سميع بصير قريب، فقد المبرر للصياح. أليس كذلك؟ فأصبح متنافي فعلاً مع المقصود الشرعي للدعاء، بإخفائه.

وحتى الدعاء المطلوب فيه والذكر عموماً حتى يحقق مقاصده، والتي من أعظمها وأهمها أن يستجيب الله لنا سبحانه وتعالى، ويعطينا مرادنا، من أهم شيء فيه حضور القلب، أليس كذلك؟ واستحضار الفقر، والحاجة، والمسكنة، والتذلل، وهذا لا يناسبه الصراخ، والعويل، ما ناسبه، يناسبه الإحبات، والإسرار، والخفية، وتجتمع هذه المقاصد مع خضوع القلب، وانكساره، يقع أعظم المقصود في تحقيق المراد الشرعي من الدعاء والذكر.

فينبغي أن يُحذر مثل هذا الصراخ، والبكاء، ورفع الأصوات، هذا متنافي. كان النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ إذا صلى ودعا وبكى، يسمع لصدرة أزيز كأزيز المرجل، يُكتم يعني البكاء ما استطاع، هذا المطلوب.

ليس المطلوب ألا يبكي، قد ما يملك ذلك. لكن الصراخ، ورفع الصوت بالدعاء، ومرة الداعي يرفع صوته، ومرة يخفضه، يأتيك بسجعات كأننا قاعدين في حفلة، هذا كلام ليس من خلق الأنبياء، ولا من دعائهم، ولا من دعاء الصالحين.

وسمعت عائشة \_ رضي الله عنها \_ رجلاً يدعو، فرتب له سجعات هكذا، فذمته وقالت ما هكذا كان يفعل النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وأصحابه كما قالت فيعني يتق هذا **﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾** وقوله: **﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾** <sup>(1)</sup> دليل على أن ضد الخفية وهو الصراخ من الاعتداء في الدعاء، مع الاعتداءات الأخرى، وهي أن يُطلب من الله يعني ما لا يحسن ولا يكون، هذا من جنس الاعتداء، والتفصيل في الدعاء، هذا من الاعتداء.

تُفصل، تشتط على الله، تحط شروط يا تستجيب لنا زي كده ولا كيفك. نعود إذن.

**(ثُمَّ أَتَى عَلِيٌّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي)** هنا يعني فائدة ربما تكون مهمة **(ثُمَّ أَتَى عَلِيٌّ وَأَنَا أَقُولُ فِي**

**نَفْسِي)** يعني كان أبو موسى الأشعري يردد في نفسه كلمة "لا حول ولا قوة إلا بالله"، فأطلع الله نبيه \_ عليه الصلاة والسلام \_ على ما يدور في نفس أبي موسى.

وهذا شوف الآن قبل قليل يقول لهم إنكم لا تدعون أصماً ولكن سميعاً بصيراً قريباً، ويعطينا نموذج

حي.

(1) سنن الترمذي، باب: "فضل طلب العلم" رقم: 2570

أبو موسى الأشعري يردد في نفسه "لا حول ولا قوة إلا بالله" ربما هو نفسه ما أسمع نفسه. فما الذي أعلم النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ أن أبا موسى الأشعري من بين الحضور وهم خارجين مئات وربما آلاف إلى الغزو، أنه يقول في نفسه هذه الكلمة؟! السميع، البصير، القريب. وللا؟ ما الذي أعلم النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_؟ ولماذا أتى إلى أبي موسى الأشعري على وجه الخصوص، وقال له وهو يردد في نفسه هذه الكلمة؟! انتبهت معي وللا لا؟

النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ علم أن أبا موسى الأشعري وهو عبد الله بن قيس يردد في نفسه كلمة "لا حول ولا قوة إلا بالله". كيف علم رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_؟ ذلك نموذج حي من السميع البصير، حتى لا تصرخون، وإذا كان ما في نفس أبي موسى علمه الله، وأخبر به النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ في الحال، فمال إلى أبي موسى وجاء إليه، وقد علم أنه يردد في نفسه "لا إله إلا الله" ليعطيه يعني تأييداً وعلماً عن معية هذه الكلمة الجليلة العظيمة "لا حول ولا قوة إلا بالله" انتبهتوا من هذا الوجه الرابط الآن؟ مهم جداً.

**(ثُمَّ أَتَى عَلِيٍّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي)** السميع البصير القريب علم ما يقول أبو موسى الأشعري في نفسه، فأعلم رسوله ليأتي رسوله إليه ويقول له يا أبا موسى، هذه كنز من كنوز الجنة، يعني أثبت عليها وكثر منها كما سنذكر بعد قليل.

**(لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ لِي يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ)** وهو اسم أبي موسى .  
**(قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ أَوْ قَالَ أَلَا أَدُلُّكَ)** يعني شك الراوي، وهذا الشك موجود عندنا في رواية "التوحيد" هنا، وموجود في رواية "المغازي".

وأكثر الروايات في الصحيحين: **((يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله))** <sup>(1)</sup> فأيده على هذه الكلمة، وأثنى عليه بها في ذكره لها، وذكر له قيمتها العظيمة الجليلة.

ثم وجه آخر ربما حتى لا يذهب ذهني، قلنا قبل قليل هذا نموذج حي من علم السميع البصير، بما دار في نفس هذا العبد الفقير البسيط أبي موسى، وأعلم به رسوله. هناك مناسبة أخرى. القوم كانوا يكبرون، ويذكرون الله بصوت مرتفع. وقلنا أيدهم النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ على الذكر \_ وباركه لهم، واستدرك عليهم رفع الصوت.

(1) صحيح البخاري، رقم: 3883، "باب غزوة خيبر".

أبو موسى الأشعري جمع بين الوصفين الطيبين، كان يذكر الله، وخفية في نفسه. فما استدرك عليه النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ لا ذكره لله؛ لأن ذكره لله عظيم، ولا طريقته لأن هذه هي الطريقة الصحيحة أن يذكر الله خفية، وزاده مكافأة بأن ذكر له قيمة علمية عظيمة غيبية عن قيمة هذه الكلمة العظيمة **(لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)** لاحظتم هذا؟

إذن صار عندنا مناسبتان بين قصة أبي موسى الأشعري بذكر "لا حول"، مع بنفس العظيم لما كانوا يكبرون، ويخبرهم النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ أن التكبير بهذا الصوت المرتفع لا داعي له؛ لأن الذي تدعون ليس أصماً ولا غائباً، إنه سميع قريب بصير سبحانه وتعالى.

قوله: **(كَنْزٌ)** الكنز هو ما يدخر، ويدخر عند الحاجة إليه، ويأتي في الوقت الذي الإنسان في أمس الحاجة إليه، كنز من كنوز الجنة.

فبقدر ما تذكر هذه الكلمة، بقدر ما ترصد لك عند الله سبحانه وتعالى كنوز هائلة عظيمة، ثمناها وثمرتها دخول الجنة. وهي أعظم مطلب يطلبه المسلم، أن ينجو من عذاب الله ويفوز برضوانه، ويدخل في جنته. كنز من كنوز الجنة. وبقدر ما تذخر لنفسك من هذه الكنوز، التي من أعظمها هذه الكلمة العظيمة الجليلة، وسأذكر مناسبة لها في هذا المشهد بالذات، مشهد الغزو والحرب، وملاقاة العدو، بقدر ما يُكنز لك عند الله من الذخائر.

قال بعض الشراح وهو ابن أبي جرة. أيضاً فائدة ثمينة، يعني نحن تعودنا في النصوص الشرعية، أو كثيراً ليس دائماً، كثيراً في النصوص الشرعية، إذا أراد النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ أن يذكر لنا فضائل بعض الأعمال، أو فضائل بعض الذكر مثلاً، أو كذا، يذكر أجره "من فعل كذا فله كذا وكذا"، "من فعل كذا فله كذا وكذا". أليس كذلك؟

إلا أن بعض الأعمال ما ذكر لها ثواب معين، لا بعدد؛ وإنما ضُخمت، وأُعلم المتكلم أو العامل لها بأنه يعني سيأتيه من الله كنوز هائلة من الثواب، تعجز ربما الأرقام والإحصاءات عن ذكرها. هذا يشبه تماماً الحديث الذي يذكرونه دائماً في فضائل الصوم، الحديث المشهور يُردد دائماً، خاصة إذا جاء رمضان **(إِلا الصوم)** إيش أوله؟ **(كل عمل ابن آدم له (( الحسنه بعشر أمثالها ))(إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به))**<sup>(1)</sup>.

(1) صحيح البخاري، رقم: 5472، "باب ما يذكر في المسك".

هذا فيه إعلاء عظيم لعبادة الصوم، فهو أكبر من أن يُذكر للأجر المرتب عليه رقماً معيناً، أو ثواباً معيناً **(فهو لي)** لله. فلا تتخيل كم سيضع الله فيه من الأجر إذا أخلص فيه لله.

كذلك هنا هذه الكلمة العظيمة تتميز من بين الذكر عموماً أن كنز. ما حجمه؟ ما حده؟ ما ثمراته؟ يعني كلمة (كنز) تعطيك إشعار بضخامة هائلة، قد تعجز حتى ربما الكلمات أو التصورات عن إدراك أبعادها، ومراميها، فتعطي فتوقع في النفس أن هذه الكلمة العظيمة بالفعل تستحق أن تُحفظ، وأن يذكرها المسلم في كل ما يأتي ويذر، لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة.

قال العلماء: (لا حول ولا قوة إلا بالله) (لا) في (لا حول) وكذلك (لا) التي بعدها في (لا قوة) هي النافية للجنس، النافية للجنس مثل اللات التي في كلمة (لا إله إلا الله) يسمونها اللام النافية للجنس، تنفي جنس ما دخلت عليه. هذا هو المطلوب.

عندما تقول: **(لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)** تنفي كل حول لك دقيقاً، أم كثيراً، سرّاً، تنفي، تتجرد من كل حول، وتنفي من كل قوة. فهمتوا وللا؟ نافية للجنس، فهي تنفي جنس المعنى الذي دخلت عليه، مثل "لا إله إلا الله" تنفي أن يكون مع الله إله مطلقاً نهائياً، ما فيه أي استثناء هنا. فهمتوا؟ ف**(لَا حَوْلَ)** تتجرد من كل حول لك، أو طول، أو قوة، وتلقي ذلك كله بالله. لا بد من تقدير؛ لأن **(لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ)** (لا) النافية للجنس، يقولون في اللغة أنها تعمل عمل "إن".

"إن" تدخل على الجملة الإسمية طبعاً، لا تدخل على الفعلية، وتحتاج اسم وخبر. مادام تعمل عمل "إن"، "إن" لا بد لها اسم وخبر، واسمها منصوب وخبرها مرفوع. "إن" التي ضد كان، "إن" وأخواتها كما يقولون.

ف(لا) **(38:20)** (حول وقوة) هي اسمها، بُنيت على النصب لأنها في موضع اسم "إن". أين خبرها؟ لا بد تقدره، أي لا حول ولا قوة حاصلة لي إلا بالله، لا حول ولا قوة واقعة لي إلا بالله. "واقعة"، و"حاصلة" هو الخبر المحذوف لفظاً الذي تقدره في المعنى، تقدره في المعنى، كما يقدرون الخبر في "لا إله إلا الله".

اللام النافية للجنس "إله" في موضع النصب على أنه اسمها. أين خبرها؟ قالوا: لا إله بحق إلا الله، لا إله حقيق أن يعبد إلا الله، لا إله بالفعل إلا الله. لا بد تحط خبر.

فأنت لا تنفي وجود آلهة تُعبد. الناس اتخذوا لكن تنفي أحقيتها أنها لا تستحق أن تعبد، باطلة، زائفة؛ وإنما اتخذها الناس لجهلهم، ويعني إضلال الشيطان لهم، وغير ذلك من الأسباب. فهمت هذا؟ إذن لا حول لنا.

جنس الحول، ومطلق الحول، ومطلق القوة واقعة لنا إلا ما يمدنا به ربنا سبحانه وتعالى. وموضعها هنا بمناسبة الخروج إلى الغزو مهم للغاية.

قال أهل العلم، وهذا أكد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية، وأوردها شيخ الإسلام ابن تيمية، ليستدرك بها على خطأ يقع فيه كثير من الناس. فإن كثيراً من الناس من المسلمين يعني، الذاكرين لله يستخدمون كلمة **(لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)** دائماً في موضع التأسف، وفي موضع الاسترجاع، وعند ورود المصيبة مثلاً، وللا لا؟ ربما يقع ذلك كما تقول "إن لله.."، تقول لا حول ولا قوة مصيبة عظيمة هذه. فتكون كلمة توجع، أو تأسف، أو استرجاع، أو استدراك على أمر قدم.

شيخ الإسلام ابن تيمية \_ رحمه الله \_ يقول لنا هذا غير صحيح، ليس موضعها هذا الموضع. وإن كان ذكر الله كله طيب طبعاً على الأصل؛ إنما هي كلمة استقواء، وكلمة استنزال حول وقوة، فتناسب في موضع العمل، موضع الجهد، وموضع الاجتهاد، وأعظمه موضع القتال. ولذلك لما قال أبو موسى وهم خارجون للغزو، أثني عليه من النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وأنت أدركت الآن في هذا الموضع هذا الأمر، وهذا جدير.

ومن مناسبة ذلك، النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ علمنا عندما يقول المصلي "حي على الصلاة" أن نقول ماذا؟ لا حول ولا قوة إلا بالله، لا وجه للتأسف والترجع هنا؛ إنما فيه استعزام أنك تريد أن تقوم، وتتوضأ، وتذهب إلى المسجد، وتؤدي فريضة الله، والنفس تريدك أن تجلس، وتنام، ولا ماني عارف تكمل المباراة... وإلخ، والشياطين وغيرهم. فتحتاج إلى عزم وللا لا؟

صلاة الفجر مثلاً لتنزيل النوم، وكذا، تحتاج. فناسب أن تقول لا حول ولا قوة إلا بالله في جواب المؤذن "حي"؛ لأن "حي" هذه تحتاج منك إلى عزم، وقيام، وحركة، ونشاط، وقبل الحركة والنشاط عزم نفسي وقلبي، وإيماني. فأنت يعني تزيل عنك كل وهن، وكل يعني تردد، وكل تسويق، وكل شبهة شيطان أو إغراء نفس بأن تعيقك عن الصلاة، أو أن تعيقك عن تكبيرة الإحرام، أو تعيقك على الصف الأول، أو تعيقك عن نحو ذلك من أمور عظيمة، يعني تستحول حول الله عليك، وتستقوي بقوة الله، تقول لا حول ولا قوة إلا بالله. تستقوي على من؟ على الشيطان.

الشیطان یعقد علی أذنك كما فی الحدیث كم عقدة؟ ونم علیك لیل طویل. ما یریدك تقوم تصلي، ولا تذكر الله. والنفس بشهواتها وكسلها المعهود، وحاجات النفس الأخرى، والأمر الأخرى. فكل هذه عوائق. فأنت تهدم هذه العوائق، لا بقوتك، ولا بقدرتك لأنك لو وكلت إلى قوتك وقدرتك، شیطان هذا كله یویدك فی ستین ذهية. لا تستطيع.

فلا بد تقاوم ذلك كله بحول الله، وقوته. فمن أعظم المناسبات أن النبي \_ علیه الصلاة والسلام \_ علمنا عندما یقول لنا المؤذن "حي علی الصلاة" أن نقول **(لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)**.

وهنا أيضاً خارجون للغزو، والقتال، والحرب، والنفس تضعف، والعقول تطيش، والأبصار تزيغ، وتبلغ النفوس الحناجر، والرعب يأتي، والشیطان یخذل، والمنافقون یخذلون... وإلخ. كيف تنتهي من هذا كله؟ ب**(لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)**. فیصبح الأمر العظيم الهائل، یسير وصغير، وتقوى علیه النفس، وتتجرأ علیه بحول الله وطوله وقوته سبحانه وتعالى.

فالمناسبة جد واضحة. فليس.. یقول شیخ الإسلام ابن تیمية لا یحسن استخدام هذه الكلمة فی موضع التحسر، والتأسف، والترجع عند ورود المصيبة، فتكون مقابلة لكلمة "إن لله وإنا إليه راجعون"؛ وإنما فی موضع العزم، والإقدام، والعمل الذي یحتاج إلى نشاط نفس، وإقبال، وسرور. ومن أعظم العوائق التي تعيق الإنسان، الأمور النفسية ترى؛ لأن الله یقول عن الذين تخلفوا عن الجهاد مع رسوله \_ صلى الله علیه وسلم \_ قال: **﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾**<sup>(1)</sup>.

ليست المشكلة فی إعداد العدة، المشكلة عائق نفسي، من خوف، من رعب، من نفاق، من كفر، من شهوات، من إخلاد إلى الدنيا... إلخ.

فلاجل ذلك، ما أعدوا العدة، ويأتون بالأعدار الكاذبة، يعني الي یقول بيوتنا عورة، والي یقول لا تفتني، والي یقول كذا، والي یقول كذا، والحقيقة ليست الأعدار هي؛ إنما الخور فی النفس، والخلل فی القلب. فنزيل هذه العوائق النفسية كلها، سواء فی الصلاة، أو فی الجهاد، أو فی الصيام، أو الأعمال التي النفوس دائماً تحجم عنها؛ لأن فيها نوع من الإجهاد النفسي وكذا. وكذلك فی الإنفاق لتعلق القلوب بشدة علی الأموال ب**(لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)**. وهذا وجه، أو وجه آخر من أوجه كونها كنز من كنوز الجنة.

(1) التوبة: 46.

قلت لكم قبل قليل، بقدر.. قال العلماء طبعاً بقدر ما تقول هذه الكلمة، بمجرد ذكرك الله بها، يكتب لك عند الله من الأجور ما لا يخطر لك على بال.

ثم فيه ملمح آخر؛ لأن كثير من الأعمال العظيمة التي هي بالفعل من ذخائر الجنة ووسائلها العظيمة، تعوق عنها عوائق.

الصلاة مثلاً أعظم الأبواب لدخول الجنة، الصيام من أعظم أبواب دخول الجنة، الجهاد في سبيل الله من أعظم أبواب دخول الجنة، الحج مثلاً لأنه فيه مشقة من أعظم أبواب دخول الجنة، وهكذا. وهذه الأعمال العظيمة تعوق دونها عوائق: إما نفسية، إما شهوات، إما شبهات، إما تخذيل الشياطين، ووساوس الشياطين، والتسويق، والكسل و... إلخ.

أنت عندما تخدم وتزيل عنك هذه العوائق بـ **(لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)** ستنشط إلى الصلاة، وتنشط إلى الصيام، وتنشط إلى الجهاد، وتنشط إلى الحج والعمرة، وتنشط إلى كذا، وتنشط إلى كذا، فتكنز لك كنوز في الجنة لا يعلمها إلا الله الذي هو سميع بصير قريب، يعلم ما نفع. فانتبهوا لهذين الأمرين في معنى كونها كنز من كنوز الجنة. إذن هذا هو **(لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ)**.

**(أَوْ قَالَ أَلَا أَدُلُّكَ)** قلنا يعني الشك من الراوي، وأكثر الروايات على قول: **(أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ)**

**من كنوز الجنة))**.

اقرأ ما بعده.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

قال الإمام أبو عبد الله البخاري \_ رحمه الله \_ : **(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي عَمْرُو عَنْ يَزِيدَ عَنْ أَبِي الْخَيْرِ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي قَالَ قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاعْفُرْ لِي مِنْ عِنْدِكَ مَغْفِرَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)**.

قوله: **(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ)** هو ابن يحيى، يحيى بن سليمان بن يحيى الجعفي. يكنى أبا سعيد،

الكوفي المقرئ.

من المعلومات عنه، لم يخرج له من أصحاب الكتب الستة إلا البخاري والترمذي، ولم يخرج له

الباقون.

المعلومة الثانية: أخرج البخاري مباشرة كما نسمع الآن، فهو من شيوخه. أما الترمذي فأخرج له بواسطة.

قال: (حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ) عبد الله بن وهب القرشي المصري، أحد تلاميذ مالك، وأحد رواة الموطأ

عنه .

قال: (أَخْبَرَنِي عَمْرُو) هو ابن الحارث.

(عَنْ يَزِيدَ) هو ابن أبي حبيب.

(عَنْ أَبِي الْخَيْرِ) هو اليزني، اسمه مَرْتَدُ بن عبد الله.

(أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) هذا الحديث أخرجه إمامنا

البخاري في مواضع من الصحيح:

- هنا،
- أخرجه في "الدعوات"، "باب الدعاء في الصلاة،
- أخرجه في الصلاة "باب الدعاء قبل التسليم" أي قبل السلام.
- في مواضع أخرجه من الصحيح.

أسانيده تارة يُجعل الحديث من مسند أبي بكر، هكذا: (عن عبد الله بن عمرو عن أبي بكر الصديق أنه قال)، فيكون من مسند الصديق. وتارة كما هنا: (أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو أَنَّ أَبَا بَكْرٍ) فيكون من رواية أو من مسند عبد الله بن عمرو. اختلفت في ذلك الأسانيد، والكل لا إشكال في صيغة الحديث في ذلك. ماذا يقول عبد الله بن عمرو بن العاص؟

(أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي دُعَاءً

أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي) هنا اجتمع فطنة السائل، وجميل سؤاله، وحكمة المسؤل، وعظيم جوابه. ما بالك

بسؤال السائل الصديق، والنجيب النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_؟! كيف يكون هذا السؤال؟ أحسن سؤال بعد القرآن على طول.

ثم فيه وضوح شوف الصديق \_ رضي الله عنه \_ هذا الرجل العظيم المبارك. أعماله وفضائله لو بقينا نعددها، يفنى الوقت. هل ستذكر سابقته للإسلام، ولا إنفاقه على النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ في أول الأمر وقت الشدة والضيق، أو تذكر الهجرة، أم تذكر الغزوات، أم تذكر الخلافة؟ ماذا ستذكر من

مناقبه؟ ومع ذلك يأتي هنا يتلطف، ويسأل عن دعاء يناجي به ربه، خاصة أن الجواب جاء باستغفار، فيدل هذا على أنك مهما عملت من أعمال عظيمة، مهما، وماذا ستنتفع مع أعمال الصديق، ومع ذلك يقول ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ويحتاج إلى استمطار المغفرة بهذا الدعاء اللطيف، الذي فيه تزلف إلى الله، وتقرب إليه، وانكسار بين يديه.

فمن باب أولى أمثالنا من الأعمال التي مثل وجهنا، وذنوبنا، ويستتر ويغفر لنا، يعني نحتاج إلى هذا. إذا كان الصديق على جلالته، وعظيم مقاماته الشريفة العظيمة، يسأل رسول الله \_ عليه الصلاة والسلام \_ هذا السؤال: **(عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي)** فعلمه هذا الدعاء الذي كله من أوله إلى آخره استغفار، وإقرار بالذنب، وأن المعول عليه مغفرة الله ورحمته. ولا هجرة، ولا تذكر الهجرة، ولا الجهاد، ولا الأعمال العظيمة هذه كلها على ضخامتها، وأهميتها، وعظيم موقعها. فاستحضر هذا، يدفعك هذا إلى كثرة الإقرار، والاعتراف بالذنب، والانكسار، وهذا هو الاستغفار الحقيقي.

ولو قعدت تقول أستغفر الله ستين ألف مرة، والقلب فيه تمرد، وفيه كذا. الاستغفار الحقيقي هو الانكسار، أن يرى الله منك التذلل إليه، والانطراح بين يديه، وأن يرى الله منك ويعلم منك أنك بالفعل شاعر، موقن أنك في أمس الحاجة إلى رحمته ومغفرته، فلم تذكر أعمالك. ولو كان أحد يحق له أن يدل بعمله، لكان من هو في مثل وزن الصديق رضي الله عنه. فهمت هذا؟

هذا هو، الاستغفار الحقيقي مقدار ما يقع في قلب المؤمن من الانكسار، وشعوره بالحاجة إلى الله، وأن المعول عليه مغفرة الله ورحمته، ولو قال أستغفر الله حتى مرة واحدة فقط بهذا الشعور، وهذا الحضور. أما يجيب لي سبحة طولها إلى هناك وطق طق أستغفر الله أستغفر الله، ويتفرج في الي رايح والي جاي، هذا يعني ما فيه مناسبة حتى.. الله يتوب علينا بس.

الكثرة ألف مرة، ستين ألف مرة قلتها، ستين ما هو هذا المقصود، ولا هذا هو المطلوب، وليس هذا المراد. لكن صدر الحديث هنا كما سنذكر، أول شيء تقرر بالانكسار لله، وأن ذنوبي كثيرة، وظلمي لنفسي عظيم، ولا يخرجني منها إلا عفو الله وعافيته. فهمتوا وللا لا؟ مع أنه عنده من الأعمال العظيمة الهائلة التي الأمة كلها ما تستطيع تفعلها \_ رضي الله عنه وأرضاه \_.

فهذا هو الاستغفار في حقيقته، وهذه هي التوبة في حقيقتها. ولذلك قلت قبل قليل مناسب هذا الحديث مع حديث **(فَاتَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا)**.

فإن الإنسان في حال دعائه، اتصاله بالله وعلاقة الله به من خلال هذه الأوضاع الثلاثة، يسمع

كلامك، ويرى مكانك، ويعلم حالك. أليس كذلك؟ ولذلك أوردتها **(سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا)**.

ولذلك قلنا قبل قليل ما يحتاج للصراخ، ولا رفع الصوت مادام هذا الأمر عند الله معلوم **(سَمِيعًا**

**بَصِيرًا قَرِيبًا)** وهذا وجه إدخال حديث أبي بكر مع مناسبة إدخال الحديث السابق .

بعض الشراح قال ما فيه وجه مناسبة، الباب **(سَمِيعًا بَصِيرًا)**، ويجب لي حديث في الاستغفار. لا،

لأنه يقول: دعاء أدعو به في صلاتي.

قال أهل العلم \_ شوف المناسبة \_ مواضع الدعاء داخل الصلاة موضعان: إما السجود،

أو بعد التشهد قبيل السلام.

هذان هما موضعا الدعاء، والسؤال داخل الصلاة. وبقية الصلاة أذكارها معروفة، في الوقوف لها

ذكر، والركوع له ذكر، والسجود وكذا. متى تريد أن تدعو الله في الصلاة السجود **(20:55)** أن يستجاب

لكم، أو قبيل السلام.

ولذلك ترجم البخاري للحديث "باب الدعاء قبل السلام"؛ لأن إما قبيل السلام بعد الفراغ من

التشهد، أو داخل السجود. وكلا الموضعين موضع إسرار، حتى في الصلاة الجهرية، عندما تدعو الله في

السجود، بالكاد تسمع نفسك أنت، وربما لا تسمعها. أليس كذلك؟ حتى الذي بجانبك ساجد ما يسمع

ماذا تقول. أو كذلك بعد التشهد قبيل السلام، بالكاد أيضاً أن تسمع نفسك، أو يسمعك من بجانبك،

وهذا كافي ولا يحتاج رفع صوت؛ لأن السميع الذي تدعوه سميع قريب بصير، هذا موضع إرادة الحديث

هنا. فهمتوا وللا لا؟

موضعه أنك عندما تدعو في الصلاة، إما في السجود أو قبيل السلام، وكلاهما موضع استسرار لا

وجه فيهما لرفع الصوت، لا وجه فيهما لرفع الصوت مطلقاً، وهذا كاف جداً؛ لأن من تدعوه سميع بصير

قريب.

فاجتمع في حقه كونه يسمع كلامك، ولو رددته داخل نفسك، ويرى مكانك الذي أنت فيه،

وعملك الذي تقوم به، ويعلم بقلبك وحالك هل أنت مستحضر، هل أنت منكسر، هل أنت يعني منطرح

ولا لاهي، ساهي، يعني يذهب ذهنك هنا وهناك.

(أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي) قلنا إما في داخل السجود، أو قبيل السلام، واستظهر البخاري أنه قبيل السلام لقوله أنه ترجم "باب الدعاء قبل السلام"، وهو من موضع الدعاء؛ لأن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ يقول لما سمع الرجل في صلاته، لما جلس للتشهد دعا فقال: **((لقد عجل هذا أما لو أنه أتني على ربه وصلى على رسوله ودعا لاستجيب له))** وقال في حديث آخر: **((فليتخير من الدعاء ما شاء))** <sup>(1)</sup> وهذا مناسب جداً؛ لأنك أدت الصلاة، وفرغت منها، وما بقي إلا أن تسلم وتخرج منها، وفتحت أبوابك إلى الله بذكره، والسجود له، وقراءة كلامه.

ولو فعل ذلك بخشوع، وانكسار، لفتحت كل السُّدُف إلى الله سبحانه وتعالى. فهنا مناسب جداً أن ترفع حاجتك، ومسألتك، ودعاءك، فإنها ستجد أبواب السماء إن شاء الله مشرعة مفتوحة، والسميع البصير القريب الجيب يسعمك ويرى مكانك، ويعلم حالك. وأبشر بما لا يخطر على بال من خير.

قال: **(قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)** كنت أريد الحقيقة أن

أقرأ عليكم، شيخ الإسلام ابن تيمية، لكن يظهر الوقت الآن.. سنقرؤه في الدرس القادم

شيخ الإسلام ابن تيمية \_ رحمة الله \_ شرح هذا الحديث شرحاً عظيماً، وقد أحضرت معي

النسخة، ورقمت على بعض الفوائد الثمينة التي ما هي موجودة ولا في شرح آخر كالعادة طبعاً، أن يغرف من بحر \_ رحمة الله عليه \_ وغيره كما قالوا يغرف من السواقي، فأحببت أن أعطيكم فائدة ثمينة من كلامه، لكنها كثيرة سأرجعها إلى الدرس القادم، ونكمل الكلام على الحديث بما ذكره الشراح، ونؤجل كلام ابن تيمية إلى الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

قال: **(اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا)** الإنسان تصدر منه ثلاث أنواع من الظلم:

**أحدها:** إن وقع فيه وصدور منه، فوقعت به القاسمة، وهو الشرك، فإن الشرك ظلم عظيم ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ

بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ <sup>(2)</sup> لما نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ

لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ <sup>(3)</sup> في حديث ابن مسعود وغيره قالوا: **((يا رسول الله أينما لم يظلم نفسه قال**

**ليس الذي تعنون ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح أو قال الرجل الصالح {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ**

**الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ})** <sup>(4)</sup> لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، والمشرك وجه العبادة، ووضع

(1) رواه البخاري (5876) ومسلم (402).

(2) لقمان: 13.

(3) الأنعام: 82.

(4) صحيح البخاري: ج3/ص1262 ح3246.

الخضوع في غير موضعه؛ لأنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شريك له. فهذا أعظم الظلم، وأشنعها والله لا يغفره، إلا إذا تاب العبد منه، وآمن وأسلم، فالإسلام يجب ما قبله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾<sup>(1)</sup>.

**والنوع الثاني:** مظالم الخلق في أبحاثهم، وأمواهم، وأعراضهم، ودمائهم. ما تظلم الناس وتريد

الأمر تمشي هكذا، هذا قدح في الله إذا ظننت هذا الظن. ليش قدح في الله؟ لأن الله عز وجل حكم عدل، حرّم الظلم على نفسه مع أنه لو شاء هلك الخلق كلهم، ولا أحد يقول له لما وكيف. ولذلك يحرمه على نفسه، تأتي أنت تبيحه لنفسك لأنك صاحب منصب مثلاً، ولا صاحب جاه، ولا صاحب ماني عارف إيه؟ وتأكل أموال الناس بالباطل، وتظن الأمور تمشي هكذا، وتضرب الناس على غير حق، وتقتلهم على غير هدى، وتلوع في أعراضهم بالغيبة والنميمة والدسياسة، والسب.. ما تمضي هكذا.

في الحديث حسنه الحافظ وغيره، من حديث أبي هريرة، أن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ قال.. حسنه الحافظ وبعضهم ضعفه ((ينشر لكل عبد يوم القيامة ثلاثة دواوين، ديوان لا يغفره الله إذا فُتح ووجد فيه شيء حلت القاسمة وهو الشرك، وديوان لا يبقى الله منه شيئاً حتى يأخذ الحق وهو مظالم الخلق، يأتي وقد ضرب هذا، وشتم هذا))<sup>(2)</sup> حديث المفلس تحفظونه. انتبهتوا وللا لا؟

فإذا ذهب لك حق من ظالم، أو غاشم، لا تظن الأمور عند الله ذهبت، حتى لو ما استطعت أن تستخلص حقلك، وأنت كذلك في الغالب. لكن انظر ما يصنع الله بالظالمين، والباغين، والجرمين هؤلاء، ولو لم يصنع بهم شيء في الدنيا، فالموعد الله سبحانه وتعالى، والمظلوم المسكين هذا هو الرابع الفائز، والظالم الباغي هذا الذي ما يستطيع أحد يقول له اتق الله حتى، سيكون في الأذلين عند الله سبحانه وتعالى؛ لأن الله يكره الظلم ويغضه بغضاً عظيماً. ومن شدة بغضه له حرّمه على نفسه جل وعلا. فما بعد هذا يعني بغض لهذا العمل الشنيع. فإياك ومظالم الخلق، احذر .

**والديوان الثالث:** ظلم العبد نفسه، بما يقع فيه من ذنوب وآثام، وهذه لا بد منها الله يتوب علينا.

هذه بين العبد وبين ربه، تُغفر وتزال بالاستغفار، بالتوبة، بالحسنات، بالشفاعات، بكذا، ومن أعظمها استغفار أبي بكر هذا الذي علّمه النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ له والذي يسمح ويدراً أولاً بأول ما يقع ربما في هذا الديوان الثالث. فإذا سلمت من الشرك وظلم العباد فأنت في خير.

(1) النساء: 48 .

(2) رواه البزار. (ضعيف) وذكره الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب 2069 وقال: موضوع.

فقوله: **(ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا)** طبعاً لا يتصور قضية الشرك وأضرابه من مثل أبي بكر وطرازه، إلا ما يقع ربما في النفوس من حب كذا، هذه قد لا يسلم منها أحد، هذه تدافع. الإنسان قد يعجب بشيء من عمله، قد يرد عليه شيء، قد يرد حتى على الصديقين وأمثالهم، فهذا يدفع بمثل هذا الاستغفار، وما هو مثله وفي نوعه. مظالم الخلق لا يأمن منها أحد، يعني مهما حرصت، قد ربما تنزل منك كلمة يوماً ما في فلان من الناس، تبذر منك بادرة يعني تؤذي بها يعني عبداً من عباد الله وقتاً ما. ما يحصل؟ هذه ربما تنزل الزالة، فهذه أيضاً تحتاج إلى استغفار كثير، ورد للحقوق وكذا، يعني حتى من مثل من هم في طراز الصديق \_ رضي الله عنه \_.

والديوان الثالث يعني الذي ما يسلم منه أحد، الي هو الذنوب، والآثام. نسأل الله أن يعافينا منها، فهذه لا بد فيها أولاً بأول مما يمحوها. وسندكر إن شاء الله من كلام ابن تيمية \_ رحمة الله عليه \_ في الدرس القادم ما هي الأمور العظيمة التي تمحو الذنوب، وتزيلها، وتدرؤها، ومنها الاستغفار الذي قلت لكم حقيقته الانكسار، والشعور بالحاجة والفاقة لله، ولو لم تقل هذا الدعاء إلا مرة واحدة في يومك وليلتك، ودع عنك ما سوى ذلك.

قوله: **(ظُلْمًا كَثِيرًا)** هكذا كل نسخ الصحيح، إلا نسخة القَابِسي، وهي نسخة مغربية قال فيها: **((ظُلْمًا كَبِيرًا))**.

الإمام النووي \_ رحمة الله عليه \_ الإمام يحيى، أبو زكرياء يحيى بن شرف النووي، الإمام المشهور \_ رحمة الله عليه \_ في كتابه "الأذكار"، له كتاب اسمه "الأذكار"، جمع فيه أحاديث كثيرة في الذكر. لما جاء عند هذا الحديث، وأورده وكذا، ذكره بالروایتين، أن رواية ((كثيراً)) ورواية ((كبيراً)) ثم قال هو يعني كجمع منه قال: "فيحسن أن تذكرهما معاً فتقول: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً كبيراً." شيخ الإسلام ابن تيمية استدرك هذا على أبي زكرياء النووي، واستدرك نظائره، وقعد قاعدة مهمة جليلة، وهي الأذكار الواردة التي عن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ لا يحسن أن تُلْفَقَ من الروايات منها ذكراً، يخرج في النهاية ليس هو الذي قاله النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وإنما تنظر في المرجحات زيادة كبيراً وكثيراً.

كل النسخ تقول (كثيراً) إلا القابسي. هنا لا يمكن تدخله، قطعاً إما فيه تصحيف؛ لأن كلمة كبيراً وكثيراً في الرسم واحدة، وقديما ما كانوا ينقطون حتى. واحتمال الخطأ واحتمال التصحيف وارد، فلا تجعلها كأنها رواية ثابتة، صحيحة، وبالتالي تلفق من مجموع الروايات دعاء في النهاية ليس هو الذي قاله النبي \_

صلى الله عليه وسلم \_ بحروفه. فهتم؟ وهذا قد يأتي في أنواع كثيرة من الأذكار والأدعية، ما تلفق؛ لأن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ الأذكار النبوية \_ هذه قاعدة عظيمة \_ التي يقولها النبي صلى الله عليه وسلم الكلمات فيها مرادة مقصودة. وأدل الدليل على ذلك دعاء النوم الذي علمه النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ للبراء بن عازب ولا غيره؟ لا للبراء بن عازب .

قال: ((إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن)) كلام مقصود مرتب. ((ثم قل اللهم إني أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك))<sup>(1)</sup> إلى أن قال في آخر الحديث: ((آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت فقال أعدها علي)).

يطلب النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ من البراء أن يعيد عليه الدعاء، يشوف ضبطه ولا ما ضبطه. لماذا يطلب منه إعادته؟ لأن كل كلمة ما تقعد تؤدي هذه هنا، وتجيّب هذه، وتجيّب لي أدعية من روايات، وتطلع لي دعاء ثاني طويل عريض ما قاله النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ . ((فأعدتها عليه حتى بلغت قوله آمنت بكتابك الذي أنزلت قال ورسولك الذي أرسلت))<sup>(2)</sup> غيّر كلمة ((نبيك)) بكلمة ((رسولك)) مع أنه يعني ليس هناك كبير خلاف في المعنى. الأنبياء والرسول يعني طرازهم واحد، فيه معاني طفيفة جداً، علمية دقيقة جداً. قال لا، ليش غيرت هذه الكلمة؟ ((قل ونبيك الذي أرسلت)).

والفارق في اللغة، أو في المعنى إذا قلت: ((ورسولك الذي أرسلت)) إذا قلت: ((ورسولك)) أصبحت كلمة الذي أرسلت لا معنى لها، زيادة في الكلام لا تؤدي غرضاً معنوياً؛ لأنك قلت ((ورسولك)) ما معنى ((ورسولك))؟ هو الذي أرسله. فكلمة ((الذي أرسلت)) تصبح لا معنى لها لاغية، فحشو من الكلام، ينزه عنه كلام الله ورسوله \_ صلى الله عليه وسلم \_ لكن إذا قلت: ((ونبيك)) لا تقتضي الإرسال بالضرورة، فأضفت إليه وصفاً جديداً ((الذي أرسلت)) فلماذا يطلب منه التحفظ، والمراجعة، ويستدرك عليه كلمة قد لا يبدو في أول وهلة أن فيها كبير خلاف في المعنى، إلا دليل على تلكم القاعدة التي نبه إليها ابن تيمية، أنه لا ينبغي أن تلفق من مجاميع الروايات يعني دعاء يصبح في النهاية ليس هو الذي قاله النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وهذا شاهد على ذلك، أو نموذج.

كل الروايات (كثيراً) إلا نسخة حتى ما هي رواية، نسخة القابسي للصحيح (كبيراً) والتصحيح فيها وارد.

(1) سنن الترمذي: ج5/ص567 ح3574.

(2) سنن الترمذي: ج5/ص567 ح3574.

فقول النووي أنها تصبح "كبيراً كثيراً" يعني هذا يُستدرك، فاستدرك عليه ابن تيمية، وسيأتي بقية الكلام على هذا الحديث، ونأتي بالنسخة معنا، نقرأ كلام ابن تيمية، أو بعض فوائده النفيسة التي لم يذكرها غيره.

وفقكم الله. اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، وزدنا علماً وفهماً. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه والسلام عليكم ورحمة الله.



## الدرس الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم. إن الحمد لله نحمده ونستعينه نستغفره، ونسأله المزيد من فضله، نشكروه ولا نكفره، ونخلع ونترك من يفره. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله. اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه.  
أما بعد:

ابتدأنا في الدرس السابق بتدارس الفوائد العظيمة المستفادة من حديث سؤال أبي بكر الصديق \_ رضي الله عنه \_ لرسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ بقوله: **(عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي)** فقال له رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_: **(اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا)** الحديث.  
وذكرنا بعض فوائده، ووعدت بأن أقرأ عليكم في هذا الدرس في هذه الجلسة، بعض الفوائد العظيمة الثمينة التي كتبها الإمام شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية \_ رحمه الله \_ في رسالة مستقلة له في شرح هذا الحديث.

ولأنها طويلة، وكما نعرف الشيخ يسهب كثيراً، ويتفرع في قضايا كثيرة، يعني سأقرأ فقط أشياء تهمنا، أراها أو أراها جديرة بأن تقرأ وبأن تسمع.

فمن هذه الفوائد، قال الشيخ في ضمن جوابه، أو كتابته على هذا الحديث. بيّن أن اعتراف العبد بظلمه لنفسه من أعظم التزلف والتقرب بين يدي الله، من أحسن الوسائل وأفضلها للانطراح بين يدي الله، والتزلف، والتقرب إليه، الاعتراف بالذنب، وإرجاع اللوم على النفس، والاعتراف بين يدي الله بأني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وعرضتها لما لا تحتمل ولا تطيق من نقمة الله وعذابه، بما حصل من تقصير في حقوق الله، وإسراف، وتجاوز في حدود الذي لا يخلو منه أحد.

ولأن هذه الوسيلة من أعظم الوسائل، حتى الأنبياء والرسل \_ عليهم الصلاة والسلام \_ هم أرفع البشر قدراً، وأعلاهم مقاماً، وأقربهم منزلة إلى الله، كانوا يستخدمونها على ما أصله الشيخ، فقال الدعاء الذي فيه الاعتراف اعتراف العبد بظلمه لنفسه ليس من خصائص الصديقين ومن دونهم؛ بل هو من الأدعية التي يدعو بها الأنبياء وهم أفضل الخلق.

وذكر شواهد على ذلك، دعاء آدم وزوجه لما عصيا أمر الله، فأكلا من الشجرة، تقربا إلى الله واستغفراه بقول الله فيما ذكره عنهم: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(1)</sup> وقال تعالى عن موسى \_ عليه الصلاة والسلام \_: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(2)</sup>. وقول الخليل إبراهيم \_ صلى الله عليه وسلم \_: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾<sup>(3)</sup> وقوله أيضاً: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾<sup>(4)</sup> وقوله هو وإسماعيل: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(5)</sup> الآية، وقول موسى: ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾<sup>(6)</sup> وقول نوح \_ عليه الصلاة والسلام \_: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(7)</sup> وقول يونس \_ عليه الصلاة والسلام \_ لما أبق والتقمه الحوت، ودعاؤه المشهور ذكره الله في الأنبياء قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(8)</sup> اعترف بالظلم.

وذكر من أدعية النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ أي الشيخ \_ رحمه الله \_ أدعية كثيرة، كما ثبت في الصحيح من حديث عليّ عليه السلام عن النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ أنه كان يقول في دعاء الاستفتاح في الصلاة: ((اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي)) هذا النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ يقول: ((ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)) الحديث. وذكر في هذا أدعية كثيرة.

فالفائدة التي نريد أن نصل إليها، أن من أعظم ما تتزلف به بين يدي ربك، الاعتراف بالذنوب، والإقرار به، والعود باللوم على النفس بالظلم (اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا).

(1) الأعراف: 23.

(2) القصص: 16.

(3) إبراهيم: 41.

(4) الشعراء: 82.

(5) البقرة: 127.

(6) الأعراف: 155.

(7) هود: 47.

(8) الأنبياء: 87.

ولذلك ما وجد النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ ما يجيب به صديقه، وصاحبه الأكبر، وصديقه الأشهر أبا بكر \_ رضي الله عنه \_ لما سأله أن يعلمه دعاءً، إلا أن يصدر هذا الدعاء بهذه القرية، وهذه الزلفة العظيمة التي متى فعلها العبد المسلم وهو صادق مخلص، إلا وإن شاء الله فيما يرجو من فضل الله يستجيب الله له، ويظهره من الذنوب، ويكفر عنه سيئاته، ويغفر ذنوبه. فهي فائدة عظيمة.

الفائدة الثانية: ممكن من كلام الشيخ يقول "واعلم أن كثيراً من الناس يسبق إلى ذهنه من ذكر الذنوب، الزنا" والسرقة مثلاً، وشرب الخمر، وظلم الخلق، ونحوها من الذنوب الكثيرة الشهيرة هذه. "فيستعظم أن كريماً يفعل ذلك، ولا يعلم أن أكثر عقلاء بني آدم لا يسرقون؛ بل ولا يزنون حتى في جاهليتهم وكفرهم، فإن أبا بكر وغيره من الصحابة كانوا قبل الإسلام لا يرضون أن يفعلوا مثل هذه الأعمال".

يعني لا يتبادر إلى ذهنك أن الظلم الكثير يعني ربما الزنا، والسرقة، كمن هم في طراز أبي بكر، ما كان يزني ولا يشرب الخمر في الجاهلية، حيث لا ديانة، ولا رسالة، ولا شيء. فكيف يعني يفكر فيها أصلاً يعني في الإسلام؟! فالإنسان الحر الشريف العاقل، لا يرضى لنفسه الدناءة والخسة في أخلاقه وكرمه، حتى لو ربما لو لم تكن عنده ديانة. فإذا جاءت الديانة الحقبة الصحيحة، زادت خيراً ونوراً.

وذكر من الدلائل هذا، أن هند بنت عتبة بن ربيعة، وهي والدة زوجة أبي سفيان، وأم معاوية \_ رضي الله عنها \_ لما بايعت النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ بيعة النساء، كان من ضمن البيعة بيعة النساء ألا يسرقن ولا يزنين، فقالت هند: ((أو تزني الحرة يا رسول الله؟))<sup>(1)</sup> يعني استعظمت أن يطلب منها أن تباع النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ على ألا تزني ولا تسرق، وهي لم تفكر في أن تضع نفسها في موضع الزنا والفاحشة، وهي في وضع الجاهلية لما فيها من شرف.

المرأة الحرة ذات النسب، وذات المقام التي لشرفها في نفسها وكرامة نفسها عندها، لا ترضى أن تنزل إلى هذا الانحطاط وهذا الدنو، فكيف ترضى به بعد الخير والهداية والإسلام؟ وذكر أشياء من ذلك. قال الشيخ يقول: "ولكن الذنوب التي هي في باب الضلال في الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وما يدخل في ذلك من البدع التي هي من جنس العلو في الأرض، والفخر، والخيلاء، والحسد، والكبر، والرياء ونحو ذلك، هي في الناس الذين هم متعففون عن الفواحش".

(1) أخرجه ابن سعد في "الطبقات" [8/189]، من طريق عمر بن أبي زائدة قال: سمعت الشعبي يذكر أن النساء حئن يبائعن، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تبائعن على أن لا تشركن بالله شيئاً".

هناك آثام أخرى يقع فيها كثير من الناس الي ربما لا يقع في الزنا، ولا في الفاحشة، ولا في السرقة، لكنه ربما يقع في الحسد، ويقع في الكبر، يرى أنه أفضل من غيره، وأنه أعلى مقاماً من غيره. حتى من الجهة الدينية، إذا تجاوزنا الفخر بالأنساب، وبالعنصر، وبالقبيلة، وبالبلد، وهي من جنس الذنوب العظيمة التي لا يُتفطن لها، ولا تُستوحش وتستبشع في النفوس استبشاع النفوس بالزنا، والسرقة، وشرب الخمر.

فنحن في عوائدنا إذا ذكرنا الذنوب أو كذا، أول ما يتبادر في الذهن في الغالب هذه الفواحش العظيمة، والكبائر العظيمة هذه، مع أن كثيراً ممن يتعففون عنها، يقعون فيما هو نظيرها، وربما في بعض الأحوال ما هو أعظم إثمًا منها من الكبر، والحسد، والعلو في الأرض، ورؤية النفس، والإعجاب حتى من الناحية الدينية، يُعجب بعمله الصالح وهي كارثة عظيمة. فيعمل أعمال صالحة، ربما يظن بها أنه أفضل من غيره، وأعلى مقاماً من غيره ونحو ذلك.

ولذلك هنا فيه مجانسة بين السائل والمجيب. السائل أبو بكر الصديق، الذي لو حُق لأحد أن

يعجب بما صنع، وما عمل من خير، وما قدم من معروف، لكان هو أليس كذلك؟

أول من آمن بالنبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وما فتىء يخدم رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ بنفسه، وماله، وكان صاحبه في سفر الهجرة، وما تخلف عن موقف من مواقف النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وفضائله عظيمة، وجليلة، وكثيرة، يعني لا تكاد تحصى وتعد. فيخشى على مثل هذا الطراز الذي لا يُخشى عليه من زنا، أو من سرقة، أو من شرب خمر، ولا من الفواحش هذه، لكن يخشى عليه أن يفتح له الباب الآخر، أن يرى شيئاً في نفسه، أو يُعجب بعمله، أو يراه تقدم إلى فضيلة وأعمال شريفة فاتت غيره، أو ربما لجنسه وعنصره وقبيلته يدخله شيء من الخيلاء، وشيء من الفخر، أو الحسد مثلاً. فالشيطان يدخل على كثير من القلوب الشريفة والعفيفة، التي سلمت من الأضرار والفواحش الدنيئة تلك من هذا الباب.

فصدّر الجواب في قوله: **(اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا)** لتحصل الفائدتين:

فائدة إشعار نفسك بأنك لست في مأمن. قد تأمن من الفاحشة العظيمة من زنا وكذا، لكن لا تأمن في الغالب من هذا الجانب الآخر الذي شرحت لكم، فتحتاج أن تقر بأنك واقع أو حاصل فيك شيء من ذلك، فترجو غفرانه، وإزالته، ونحو ذلك.

ثم هذا يكسر ما ربما يتولد في النفس من إعجاب، ورؤية في النفس، خاصة إذا الإنسان وفق لعمل صالح، أو وفق لحفظ شيء من العلم، أو حفظ القرآن مثلاً، أو وفق لمنصب يعني طيب، أو كان نسبه شريفاً، أو قبيلته مثلاً كذا، أو ربما يطرقه ويدخله من هذه الأمور شيء.

ولا يكاد أحد يسلم من هذه الأمور. فإذا أكثر في دعائه بقوله: **(اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا)** ليكسر ما في نفسه من مداخل الشيطان هذه.

فالشيخ يريد أن ينبه إلى هذا بجامع من هو السائل، ومن هو المجيب. السائل أبو بكر الصديق. وماذا عند أبي بكر الصديق؟ ما زنى في الجاهلية، ولا شرب الخمر في الجاهلية \_ رضي الله عنه \_ ومن هم في طرازه من أشرف الرجال، وأشرف النساء حتى. لكن الجانب الآخر ليس هو في مأمن منه، ويُخشى عليه منه.

فكان من ضمن علاجه، أن يكسر هذا في نفسه بالاعتراف أنه واقع في ظلم نفسه من هذا الجانب الذي لا يكاد أحد يسلم منه.

وهذا بالفعل الذي يجب على المسلم أن يتنبه منه، خاصة وأعيد مرة أخرى لأهمية هذه النقطة، الإعجاب بالقضية الدينية.

إذا وفقك الله لعمل صالح، احمده عليه، واعترف بفضلته عليك، واستثمره، وافعله، لكن لا تحوله إلى تزكية لنفسك، فتعجب بنفسك، وتعجب بعملك، فيدخل عليك الشيطان من هذا المدخل، فيفسد عليك ثواب عملك الذي عملت، وثواب حسناتك من حيث لا تظن أن الشيطان دخل عليك، وهذا وجه الخطورة في هذه الأمور؛ لأن الزنا لو وقع الإنسان في الزنا، مكشوفة الشغلة هذه ورطة ورطة، واضحة يعني. لكن هذا الباب قد لا نتفطن له، قد يكون فيك حسد وأنت لست مستشعراً أن هذا الداء طرقتك، أو فيك كبر ولا تظن أو لا تحسب أن هذا المرض تسلل إليك، وفيك إعجاب بنفسك، وعملك، وشخصيتك، ونسبك.. وما إلى آخره، وما تظن أنك وصلت إلى هذه المرحلة.

فمثل هذا الدعاء هو الاستغفار المناسب لستر أضرار هذه الأمراض الخطيرة، وكسر ما ربما نشأ في النفس منها.

ننتقل إلى فائدة ثانية من كلام الشيخ. الدرس للشيخ اليوم ابن تيمية \_ رحمه الله \_ يقول: "إذا ثبت هذا، فظلم العبد نفسه يكون بترك ما ينفعها، وهي محتاجة إليه، أو بفعل ما يضرها".

هذه مرتبة جديدة في الذنوب ربما، إذا تجاوزنا في تسميتها ذنوب. ترك فعل ما ينفك، يسجل عليك مؤاخذة ربما، ربما أقول، وهذا يعني شيء عظيم.

ووجه ذلك أو شرحه، إذا كان الله \_ عز وجل \_ هيأك، ووفقك، وفتح لك باب خير، فيه نفعك في الدنيا وفي الآخرة، فما قمت به، وقصرت فيه، هذه بعبارة دقيقة شرعية نعمة كفرتها، نعمة كفرتها وهي إحدى الذنوب العظيمة التي وقعت فيها بنو إسرائيل.

بنو إسرائيل أعطاهم الله نعم عظيمة: جعل فيهم الرسل، والنبوة، والكتاب. أليس كذلك؟ في النهاية كفروا بها، ما قاموا بها، ولا رعوها حق رعايتها، وانقلبوا في مرحلة من مراحل ضدها وحرماً عليها، فلعنوا بسبب ذلك، كان من أعظم..

وكذلك العبد المسلم، أي خير يشرح الله صدرك له، ويهيئه لك من علم، أو عمل، ولا تقوم به كما يريد الله، ولا ترعاه حق رعايته، ولا تستثمره حق استثماره، هذه نعمة كفرتها، فتسجل عليك المؤاخذة. ودليل ذلك ما أخرجه الإمام أحمد \_ رحمه الله \_ والطبراني بأسانيد حسنة، أن النبي \_ عليه الصلاة والسلام \_ قال: **((عرضت علي محاسن أعمال أمتي ومسائرها))** <sup>(1)</sup> عرض الله لرسوله أعمال أمته الحسنة، أمتك ستعمل هذه الأعمال، **((وعرض علي أيضاً مساوئ الأعمال التي تعملها الأمة، فرأيت في محاسن أعمالها القذاة يخرجها الرجل من المسجد))**.

ذكر أدق ما يمكن من الحسنات، لتتفرغ منه إلى الأعلى، **((ورأيت في مساوئ أعمالها))** شوف ما ذكر زنا، ولا سرقة ولا... لأن هذه مكشوفة كما قلنا ذكر ماذا قال؟ **((الرجل يؤتى الآية من كتاب الله))** <sup>(2)</sup> وفي أحد ألفاظ الحديث: **((السورة))** يتعلمها، أو يحفظها، أو يتفقهها، أو يصلي بها في الليل... إلى آخره، فينساها يضيعها، لا صلى بها في الليل ولا في النهار، ولا عرف ما فيها من علم ولا عمل، ولا رعاها حق رعايتها؛ بل ربما حتى ينساها من حفظه تماماً. فسُجلت في ماذا؟ في مساوئ الأعمال؛ لأنها نعمة أُعطيتها، وهيأه الله لها، فما رعاها حق رعايتها. فهذا أيضاً جانب آخر.

هذا طبعاً هذه القضية تعرض على من هم في طراز أبي بكر، ومن هو قريب منه، أو من يريد أن يكون على مضماره ومنهاجه.

(1) الترمذي في سننه ج 5 / ص 179 حديث رقم: 2916.

(2) الترمذي في سننه ج 5 / ص 179 حديث رقم: 2916.

إذا تجاوزنا بحمد الله، وفضله، ورحمته علينا لا بجهدنا، الذنوب الفواحش هذه من الزنا، والسرقة، والخمر، والربا... إلخ. ننتبه إلى الجانب الآخر الخفي: الحسد، والكبر، والبغي، ورؤية النفس، والإعجاب بالعمل.

ننتقل منها إلى خطوة أعظم وهي أبواب الخير التي هيئت لك فما قمت بها، أو أهملتها، أو ما رعيتها حق رعايتها، فُتسلب من العبد هذه والله يقول: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ (1) والله يقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ (2) وليس بالضرورة الردة الكاملة ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ غيرك ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ يقومون بهذه المقامات التي عرضت عليك فما قمت بها.

فهذا أيضاً يريد الشيخ أن ينبه إلى هذا الجانب، أن ظلم العبد قد يكون بترك ما ينفع نفسه وهي محتاجة إليه، وأي حاجة أحوج إلى العمل الصالح الذي يزيك عند الله، ويرفعك عنده، وينجيك بإذن الله ورحمته من النار، وتدخل به الجنة بعفو الله وعافيته. إيش أحوج ما تكون لمثل هذا؟ أحوج إليه من الحياة التي أنت فيها، والهواء، والطعام، والشراب، وكل شيء مما نعهده في الحاجيات والضروريات.

كما أن ظلم الغير كذلك يكون إما بمنع حقه، أو التعدي عليه. عليك حقوق لغيرك، فيه حق للرسول \_ صلى الله عليه وسلم \_، فيه حق لوالدك، لوالدتك، لزوجتك، لأبنائك، لجيرانك، لإخوانك المسلمين.

إذا كان عندك علم، للجاهل عليك حق. إذا كان عندك هدى، للغافل عليك حق. إذا كان عندك معروف من مال، ويسرة، للفقير المحتاج عليك حق وللا لا؟ هذه حقوق، التقصير فيها يسجل عليك. ما تنتظر أن يأتيك الوالد والوالدة والجار يشحك حقوقه، يجب أنت أن تقوم بها، فهذا يسجل عليك من ظلم نفسك، أن تقصر في الحقوق الواجبة عليك لغيرك كما سمعت.

(1) محمد: 38.

(2) المائدة: 54.

حق النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ من طاعته، والتأسي به، وتعظيمه حق تعظيمه، حق أصحابه \_ رضي الله عنهم \_ من رفع قدرهم، والدفاع عنهم، حق والدك ووالدتك في البر العظيم، والمعروف الكبير، ولا توجههم إلى أن يسألوك؛ بل ولا توجههم إلى أن ينتظروا منك شيئاً.

زوجتك التي في البيت لها حق، أولادك لهم حق عظيم، وليس الآن مجال تفصيل الحقوق، الجيران، الجاهل، الغافل ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً))<sup>(1)</sup> كما قال \_ عليه الصلاة والسلام \_ فهذه كلها حقوق، تقصيرك فيها تبعة عليك. فقد تسلم مما سبق، فيبقى هذه الحقوق مشكلة كبيرة يعني، التقصير فيها يعني الله المستعان.

فهذه أيضاً تحتاج أن تنتبه لهذا الجانب. فمثل هذا الاستغفار يدرأ الله به هذا التقصير في هذه الحقوق، ويدرأ به تقصيرنا في الأعمال الصالحة التي قصرنا في اغتنامها، والاستفادة منها، ويستر الله به ما يقع في قلوبنا من كبر، أو حسد، أو نحو ذلك وغير ذلك من أمور عظيمة، نسأل الله أن يعفو عنا وعنكم فيها.

"فظلمها لا يخرج عن ترك حسنة أمور بها، أو فعل سيئة منهي عنها، وما يضطر.. إلى أن قال: "فإن الله تعالى أمر العباد بما ينفعهم، ونهاهم عن ما يضرهم كما قال قتادة" التابعي المشهور في قوله: "إن الله لم يأمر العباد بما أمرهم بهم حاجة إليه".

ما أمرنا الله به، وأرشدنا إليه، وشرعه لنا، لم يشرعه لنا لحاجة هو محتاجها منا أن نفعل ذلك ليستثمر ذلك حاجة عنده.

"ولا نهاهم جل وعلا عن ما نهاهم عنه بخلاً به، ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عن ما فيه فسادهم". فمن اتبع ما أمر الله، صلح واستصلح نفسه، وصار من الصالحين، ويدخل إن شاء الله يوم القيامة في عباده الصالحين. ومن قصر في هذه الجوانب، فضلاً عن أن يفعل ما نهى الله عنه، فهذا الذي عرّض نفسه للخسارة.

والقرآن جاء بالأمر بالصلاح، والنهي عن الفساد في غير موضع. والصلاح كله في طاعة الله، والفساد كله في معصية الله. ننتقل أيضاً نقلة سريعة.

(1) البخاري، رقم: 2264، "باب عن أخاك ظالماً أو مظلوماً".

فائدة أخرى: "فقول السائل" يقول الشيخ \_ رحمه الله \_ ابن تيمية: "فقول السائل: ما مفهوم قول الصديق ((ظلمت نفسي ظلماً كثيراً)) والدعاء بين يدي الله لا يحتمل المجاز، والصديق \_ رضي الله عنه \_ من أئمة السابقين، والرسول \_ صلى الله عليه وسلم \_ أمره بذلك، يتضمن شبهة في هذا الدعاء". ومثار الشبهة أن يقال الصديق \_ رضي الله عنه \_ أجل قدراً من أن يكون له ذنوب. يقول: **ظُلماً كثيراً** فإن ذلك ينافي مرتبة الصديقية.

يعني أي رجل تفرضه في الأمة بعد الأنبياء والرسل، عندنا نحن أهل السنة، لن يكون ولن يقرب من مرتبة الصديق أبي بكر. فإذا كان ظلم نفسه ظلماً كثيراً، فيأمره أن يستغفره، احنا إيش نقول؟! مشكلة عظيمة هذه. فهذه يعني يريد الشيخ أن يوضح القضية. قال: وهذه الشبهة تزول بوجهين: الوجه الأول أن الصديق \_ رضي الله عنه \_، بل والنبي والرسول إنما كملت مرتبته، وانتهت درجته، وتم علو منزلته في نهايته لا في بدايته".

الصديق ليس من أول يوم أسلم فيه اكتمل وارتفع، لا يزال كل يوم يزداد خيراً، لا يزال كل يوم يزداد علماً، لا يزال كل يوم يزداد هدى، لا يزال كل يوم يزداد عملاً صالحاً، إلى آخر يوم في حياته. وهكذا يجب أن يكون المؤمن.

فكماله، وعلو درجته ومقامه في الدنيا والآخرة إنما كان باعتبار النهاية لا باعتبار البداية؛ لأنه لو كان من البداية مكتملاً، لكان بقية أعماله في حياته لا معنى لها.

والقاعدة أن المسلم والمؤمن \_ وهي قاعدة أهل السنة في باب الإيمان \_ الإيمان لا ينتهي إلى غاية، لا تزال تزداد خيراً، وهدى، وعلماً، وإيماناً إذا وفقك الله، ولن تصل يوماً من الأيام تقول يعني وصلت إلى غاية الغايات، ونهاية النهايات، وأعلى الدرجات.

لا يزال، وهذا معنى قول مالك الإمام، وابن المبارك الإمام وغيرهم يقول: "الإيمان في زيادة". يعني الإيمان لا يزال في زيادة.

وكلما فعلت خيراً، وكل يوم تعيش فيه، المفترض في حقل أن يكون حالك الإيمان، والديني، والخير، والعلم، والهدى أفضل مما مضى، فتكتمل. لا تزال في ترقى، لا تزال في زيادة، لا تزال في خير بتوفيق الله إلى أن تخرج من هذه الدنيا وتصير إلى عفو الله وعافيته ورحمته.

فالصديقية، والمراتب العليا، والمقامات الشريفة هذه لا ينالها العبد من أول يوم، تحتاج إلى مجاهدة عظيمة، ومصابرة، وأعمال جلييلة، والصديق \_ رضي الله عنه \_ ما وصل إلى ما وصل إليه بالتمني، ولا

بالتحلي، ولا بمرسوم قرار من النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ نخطك صديق، ما هكذا الأمور؛ إنما هي مقامات قامها وللا لا؟

أول شيء مقامات إيمانية نفسية، شرح الله صدره لها فاتت غيره، وهذا معنى قول أبي بكر بن عياش: "ما سبقه أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة؛ وإنما بشيء وقر في صدره أو قال في قلبه".

وسبقهم أيضاً بالأعمال، بادر إلى الإسلام حتى قال النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ ليسجل له هذه المنقبة الفريدة. يقول \_ عليه الصلاة والسلام \_: ((**ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا ثلاثة**)) تردد كيف؟ لأنه عنده سجل من الجاهلية طويل ((**ما خلا أبا بكر ما تلعنم**)).

شفت المقام الشريف هذا، فهذا زاده خير. ثم الهجرة، والصحبة، والمقامات، والأعمال الصالحة التي نستطيع أن نقول لم يفعلها غيره. قام مقامات ما قامها غيره، وشارك الناس في مقامات أخرى من الأعمال الصالحة من صيام، وصدقة، أصبح النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ يوماً من الأيام الحديث مشهور معروف قال: ((**من أصبح منكم اليوم صائماً؟ ما تكلم أحد من القوم فقال أبو بكر أنا**)).

ما أصبح صائماً ذلك اليوم سواه. ((**من تصدق اليوم بصدقة قال أبو بكر أنا. من عاد اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر أنا. من شهد اليوم جنازة؟ قال أبو بكر أنا. قال ما اجتمعت في عبد في يوم إلا دخل الجنة من أي باب شاء**))<sup>(1)</sup> أو كما قال \_ عليه الصلاة والسلام \_.

فهو لا يزال كما تسمع يترقى يترقى يترقى إلى آخر يوم في حياته؛ ولذلك على الطراز بئس بالجنة وهو لا يزال في الأحياء. أليس كذلك؟ وبشارتهم بالجنة ما جعلتهم يتكلمون على ما سبق. النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ يخبرهم أنك في الجنة، وخبر الأنبياء حق وصدق لا يتخلف. يعني لو راح أبو بكر جلس في البيت، واكتفى فقط بالفرائض الأساسية، ضمن الجنة؛ لأن كلام النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ لا يتخلف، لكن هذا زاده ربما خيراً على خير، ومعروف على معروف، وإحسان على إحسان، وأشرق قلبه زيادة.

هذا هو الذي يستحق مثل هذه البشارة. أما غيره لو شاف رؤية في المنام، سوى منها مشروع كأنه صار والله شفت في المنام يفرح بها كأنه يرى نفسه ما مثله أحد.. يروح يفسرها، ويعطونه المفسرين هؤلاء مشروع طويل عريض، أنك المهدي، وأنك ماني عارف مين؟ وهذا يوديه هنا والثاني يوديه هنا، والصورة ما راحت برؤية منامية، وهو يمكن ما صلى الفجر ذلك اليوم.

(1) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (515) قال : حدَّثنا محمد بن عبد العزيز. و"مسلم" 92/3 و110/7.

فهذا يعني الوجه الأول في جواب مثل هذه. وما من صديق إلا ويمكن أن يتوب من الكفر، والفسوق، والعصيان كالصديقين السابقين والأولين.

ثم تكلم عن التوبة وفضائلها، وأنه لا يستغني عنها أحد، وذكر ما تقدم ذكره أن الأنبياء أنفسهم يحتاجون إلى ذلك.

ثم قال.. لحظة في ثمانية وثمانين (88) الوجه الثاني. نحن قلنا جاوب من وجهين أليس كذلك؟ الوجه الثاني يقول: "وتنال ذلك بالوجه الثاني وهو أن ظلم النفس أنواع مختلفة، ودرجات متفاوتة" كما تقدم التنبيه عليه كما شرحنا، أو قرأنا لكم من كلام الشيخ.

"وكل أحد ظلم نفسه على قدر درجته ومنزلته، وما يمكننا ن نحصر ما فعله كل شخص من أشخاص الصديقين، فإن أحوال العباد مع الله أسرار فيما بينه وبين الله؛ وإنما يمكن أن يعرف أنواع ذلك كما دل عليه الكتاب والسنة".

يعني ظلم النفس مقامات، ودقائق خفية جداً، يعني بحسب مراتب الناس. فمن هم في مثل الصديق، ظلمه لنفسه بحسب مقامه، وعلو درجته. وغيره ظلمه لنفسه أيضاً حسب مقامه، والجميع في النهاية يحتاجون إلى الاعتراف والانطراح بين يدي الله، والتزلف إليه بهذه القرية، والتوبة الدائمة إليه، والاستغفار المستمر له.

من الفوائد التي ذكرها الشيخ أيضاً، وسأختصر لأن الوقت قليل ربما. قوله: **(مِنْ عِنْدِكَ مَغْفِرَةً)** في الحديث: **(اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاعْفُرْ لِي مِنْ عِنْدِكَ مَغْفِرَةً)** هذا نص هنا الحديث هذا ربما الوحيد. أقول ربما \_ ماني مستحضر الآن \_ الذي فيه التنصيص على كلمة **(مِنْ عِنْدِكَ)** مع أننا قدمنا، ونعرف أن الذنوب كلها تُغفر من عند الله. فلماذا التنصيص على هذا؟ يقول الشيخ وقوله: "مغفرة من عندك لم يقل فيه من لذنك مغفرة؛ بل من عندك. ومن الناس من يفرق بين من لذنك وعندك. وهكذا قد يفرق بين التقديم والتأخير، فإن لم يكن بينهما فرق فقد يكون المراد اغفر لي مغفرة من عندك لا تصلها بأسباب، لا تصلها بأسباب، لا من عزائم المغفرة التي يُغفر لصاحبها كالحج والجهاد ونحوها، ما يوجب المغفرة لصاحبه؛ بل اغفر لي مغفرة تهبها لي وتجوّد بها علي بلا عمل يقتضي ذلك من أعمال عظيمة تكفر هذه الذنوب".

أشرح القضية. مكفرات الذنوب في شريعتنا كثيرة والله الحمد. مكفرات الذنوب التي يحص الله بها

ذنوبنا كثيرة:

• منها الأعمال الصالحة، الصلاة التي نصليها يكفر الله بها ذنوب كثيرة ((الصلاة إلى الصلاة كفاة لما بينهما))<sup>(1)</sup>.

• الحج: ((من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه))<sup>(2)</sup>.

• صيام رمضان ((من صام رمضان غفر له ما تقدم))<sup>(3)</sup>، قيام رمضان، قيام ليلة القدر،

الزكاة، الصدقة، الجهاد. كلها محصيات للذنوب، ومكفرات تحتاج أن تعمل من هذه

الأعمال الصالحة أكبر قدر تستطيعه، ليزيل الله بها عنك من آثامك وذنوبك ما يزيل.

• من مكفرات الذنوب ما يتليك الله به من المصائب، والكوارث، سواء مرض في البدن، أو

قلة في المال، أو يعني مشكلة من هنا، وقضية من هناك.

قال عليه \_ الصلاة والسلام \_ : ((لا يصيب العبد المسلم هم ولا غم ولا حزن ولا تعب ولا

وصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها))<sup>(4)</sup>.

فقوله: (مِنْ عِنْدِكَ) من ثمراته يعني اغفر لي مغفرة تهاجها لي جوداً من عندك، لا تحوجني فيها إلى كثرة

صلاة، وصيام. وربما أضعف، وربما أعجز، وربما تعوقني عن هذه الأعمال عوائق.

فيريد من كلمة (مِنْ عِنْدِكَ) أن يستنزل هذا الداعي هذا الدعاء العظيم، أن يستنزل به الداعي من

فضل الله نفحة يكفر الله بها ذنوبه في الساعة، في اللحظة، وفضل الله واسع، واجعل طمعك في الله عظيماً

وكبيراً.

ومثل هذا الدعاء النبوي الشريف، إذا دعا به المسلم مقبلاً، مخبثاً، منكسراً، منطرحاً، معترفاً.

واستحث عفو الله وعافيته، وتوسل إلى ربه سبحانه بقوله: (مِنْ عِنْدِكَ) يوشك بإذن الله؛ بل هذا اليقين إن

شاء الله ثقة بالله، وتصديقاً لرسوله، ولحاجتنا وفقرنا الذي نحن لا ننفك عنه، يعفو الله عنك الساعة عندما

تدعو بهذا الدعاء في مثل هذا الحال. فهذا إحدى فوائد كلمة ماذا؟ (مِنْ عِنْدِكَ).

الفائدة الثانية: أن استعمال لفظ (مِنْ عِنْدِكَ) لا تحتاج فيها إلى نوع من المعاضات.

يقول الشيخ: "واستعمال لفظ من عندك في مثل هذا معروف كما في حديث توبة كعب بن مالك،

لما جاء إلى النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ فقال له أبشر يا كعب بن مالك".

(1) ابن حنبل في مسنده ج 2 / ص 506 حديث رقم: 10584.

(2) البخاري، رقم: 1424، "باب فضل الحج المبرور".

(3) الترمذي في سننه ج 3 / ص 68 حديث رقم: 683.

(4) البخاري، رقم: 5210، "باب ما جاء في كفاة المرض".

التوبة المشهورة لما تخلف على غزوة تبوك، ونزلت توبته وصاحبيه في القرآن ليتوبوا.  
"قال أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك. قال يا رسول الله من عندك أم من عند  
الله؟"

يعني هل أنت يا رسول الله بمقامك عند الله شفعت لي مثلاً، وارد. استغفرت لي، فكان استغفارك  
وشفاعتك هي سبب توبة الله علي؟ فهتم الآن الإيراد هذا؟ أم أنها من عند الله لما وقع في قلبه من  
انكسار، واعتراف بالذنب. هو اعترف \_ رضي الله عنه \_ مع صاحبيه ما اعتذروا بعذر؛ بل أقروا أنهم ما  
اختلفوا لأي سبب، واعترفوا بذنبهم، وضقت عليهم الأرض بما رحبت، وانقطعت عنهم أسباب الأرض،  
وبقي ما عند الله.

فلما تمحضت توبتهم، وتمحض تعلقهم بالله أنه لا يزيل عنهم هذه المعرة إلا هو، ولم يطمعوا حتى  
في سبب عظيم كاستغفار النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ على جلالته قدره، وعظيم استغفاره، وكذا، يعني  
ناسب لما قال: ((بل من عند الله))<sup>(1)</sup>؛ لأن السبب الحقيقي هو الانطراح الذي حصل عنده، والانكسار،  
والاعتراف، ويأسك، ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾<sup>(2)</sup> من أن يأتيك الشفاعة من أحد، أو وسيلة  
من أحد. فلما تمحض ذلك فيك، جاءتك توبة الله متمحضة من عند الله \_ سبحانه وتعالى \_.

وبالتالي قوله: ((من عندك)) تريد أن الله يتوب عليك، ويغفر لك، ولا يحوجك إلى شفاعة شافع، ولا  
إلى شيء من هذا القبيل لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأنه في الآخرة كثير من الخلق يحتاجون للشفاعات.  
وللا لا؟ حتى يسلمون. ولذلك يقول النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_: ((ما من نبي إلا أعطي دعوة  
مستجابة وإن ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من قال لا إله إلا الله  
خالصة من قلبه))<sup>(3)</sup> أو كما قال \_ عليه الصلاة والسلام \_ . شفاعتي لأهل الكبائر.

طيب جايين بمصائب عظيمة كثير من الأمة. ولو حوققوا بها راحوا في الجحيم، وبعضهم سيروح في  
الجحيم، فيحتاجون للشفاعات. أليس كذلك؟ شفاعة الأنبياء، شفاعة النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_  
شفاعة الشهداء، شفاعة الصالحين، العلماء، الملائكة، الأبرار المقربون.. وهكذا، يحتاجون لها.

(1) مسلم في صحيحه ج 4 / ص 2128 حديث رقم: 2769.

(2) التوبة: 118.

(3) الترمذي في سننه ج 5 / ص 581 حديث رقم: 3602.

فقولك: **(مِنْ عِنْدِكَ)** فيها معنى أن تطلب من الله أن يكفر لك ذنوبك، ولا يحوجك إلى شفاعته شافع. فكم من كلمة **(مِنْ عِنْدِكَ)** من قيمة عظيمة، شريفة، جليلة. فتطلب من الله المغفرة الكاملة، وفضله واسع، ووسيلتك إليه فقرك الحاضر لا أن تحتاج أن تعمل بعد ذلك أعمال كثيرة، وأنت إن شاء الله لا بد أن تعمل، ولا أيضاً أن تحتاج يوم القيامة إلى شفاعات من هنا وهناك، ويعني تنقذ بها، ويكفر بها ذنوبك. فكلمة **(مِنْ عِنْدِكَ)** فيها تضمنين طلب أن يغفر الله لك دون أن يحوجك إلى سبب آخر سوى فقرك إليه، وحاجتك إليه، فكانت كلمة **(مِنْ عِنْدِكَ)** فيها هذه الثمرة العظيمة الجليلة.

هذه بعض الفوائد، والشيخ استطرد في قضايا كثيرة قد لا تكون الآن مناسبة في الرد على قضايا الرفضة في العصمة وما العصمة، وأن كل أحد معرض للذنوب، ولا يعصم إلا الأنبياء والرسل. هذا بحث آخر تفرؤونه أنتم إن شاء الله بأوقاتكم، وفراغاتكم، وحاجتكم للعلم. اقرأ الحديث الذي بعده.

\_ طالب:.....

جواب فضيلة الشيخ: هذا جزء في شرح حديث أبي بكر الصديق: (اللهم إني ظلمت نفسي) لابن تيمية.

\_ طالب:.....

جواب فضيلة الشيخ: نعم (اغفر لي مغفرة من عندك) قد تكون مغفرة متقدمة أو متأخرة، هي كلمة واحدة، إما تقدمها أو تؤخرها (من عندك مغفرة) أو (اغفر لي مغفرة من عندك) على اختلاف روايات الحديث. تفضل.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

قال الإمام أبو عبد الله البخاري \_ رحمه الله \_ : **(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ**

**أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ حَدَّثَنِي عُرْوَةُ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَدَّثَتْهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَادَانِي قَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ).**

قال البخاري \_ رحمه الله \_ : **(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ)** هو التنيسي كما قلنا المصري.

قال: **(أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ)** هو عبد الله بن وهب القرشي، المصري أيضاً. العجيب هنا أن كلا

الرجلين: عبد الله بن يوسف التنيسي، وعبد الله بن وهب القرشي من طبقة واحدة، ومن أرفع تلاميذ مالك، وكلا الرجلين له رواية ونسخة خاصة به لموطأ مالك. وهنا أصبح أحدهما شيخاً للآخر.

قال: (أَخْبَرَنِي يُونُسُ) ابن يزيد الأيلي.

(عَنْ ابْنِ شَهَابٍ) الإمام المشهور الزهري.

قال: (حَدَّثَنِي عُرْوَةُ) بن الزبير بن العوام التابعي المشهور.

(أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَدَّثَتْهُ) وهي خالته.

(قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَادَانِي) ذكر البخاري قطعة صغيرة من

حديث طويل، مقصوده إثبات صفة السمع على أصل الباب؛ لأن أصل الباب (وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا).

وأول الحديث أن عائشة \_ رضي الله عنها \_ قالت لرسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_ : ((يا

رسول الله هل مر بك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟)).

كان يوم أحد كما تعرفون من أشد الأيام التي مرت على النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ وأصحابه

لما وقع وحصل. فهي تسأله \_ رضي الله عنها \_ تقول: ((هل مر بك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟

فقال \_ عليه الصلاة والسلام \_ : لقد لقيت من قومك)) قريش لما كانوا يعادونه \_ عليه الصلاة والسلام

.\_

((لقد لقيت من قومك ما لقيت)) أي لقي من المشركين في مكة عنتاً، وعداوة شديدة. ((وكان

أشد ما لقيت يوم عرضت نفسي على ابن عبد يليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما دعوته)). . كان

مما سلكه النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ أيام لما كان في مكة، كان يعرض نفسه على بعض قبائل العرب،

وبعض أشرف ووجهاء العرب، علّهم يعني يؤووه وينصروه، ليتمكن من أن يبلغ رسالة ربه، فإن قومه آذوه

أذية عظيمة، ومنعوه أن يبلغ رسالة ربه.

وأنت تعرف الرجل الكريم الشريف النبيل، إذا عرض نفسه على غيره في أمر ما فردّه، يكسره ذلك

وللا لا؟ ويؤذيه أذية عظيمة، لما هو فيه من شرف. ولولا أنه \_ صلى الله عليه وسلم \_ مكلف تكليف

إلهي أن يبلغ الرسالة، ما عرض نفسه على أحد ولو مات جوعاً. ولكن عنده تكليف عظيم، وقومه ما

أعطوه ولا فرصة. تعرفون ما صنعوا به، وبالقلة من أصحابه ممن أسلموا في مكة.

فهذا اليوم يقول \_ عليه الصلاة والسلام \_ : ((عرضت نفسي على ابن عبد يليل بن عبد

كلال)) أحد أشرف العرب ((فلم يجبني إلى ما دعوته)).

ربما كما يقول بعض الشراح كان النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ يتجشم في هذا الرجل لما فيه ربما من.. لما كان يعرف عنه أنه ابن عبد يليل بن عبد كلال هذا كان ربما يتجشم فيه شيئاً كثيراً، فصده وكسره بأنه لم يجبه إلى ما دعوته، فأثر ذلك في نفسه.

قال \_ عليه الصلاة والسلام \_ : **((فخرجت هائماً على وجهي))** هذا يدل على شدة الأثر النفسي الذي وقع في نفسه \_ صلى الله عليه وسلم \_ لما رده خاصة هذا الرجل؛ لأنه كان يتوقع منه أن يعينه ولو حتى بجميل كلام، أو نحو ذلك.

فرده رداً منكراً، وأثر ذلك في نفسه تأثيراً أدى به أنه خرج هائماً على وجهه.

والإنسان العاقل الرشيد، لا يمكن يخرج يمشي هكذا بغير هدف، إلا وقد وقع في هم عظيم، وكرب جسيم. أليس كذلك؟ هائم على وجهه، يعني يمشي لا ينوي على شيء، ليس له هدف في هذا الطريق. سلك الطريق الذي أمامه مباشرة، لا يقصد هدفاً معيناً لشدة ما كان فيه من غم، وكرب، وحزن \_ عليه الصلاة والسلام \_.

**((فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب))** وادي على مرحلة من مكة، خرج وتجاوز مكة وابتعد،

فاستفاق وانتبه أنه يعني قطع مسافة. **((إلا وأنا في قرن الثعالب))** وحيداً فريداً \_ عليه الصلاة والسلام \_.

**((إذا سحابة أضلّتي فناده جبريل))** هذا يعني الحديث فقال: **((جبريل نادني قال إن الله قد**

**سمع قول قومك وما ردوا عليك))**<sup>(1)</sup> وهذا موضع الشاهد لإدخال هذا الحديث في هذا الباب.

قد سمع ما قاله لك ابن عبد يليل بن عبد كلال، وما رد عليك فلان، وما سقّحك به فلان، وما

قَبّحك به.. الله عز وجل سمعهم، ويعلمه سبحانه وتعالى.

وقد بعث ربك إليك بملك الجبال لترى فيهم أمرك أو كربك. فناده ملك الجبال وسلم عليه، وقال

له إذا شئت أن أطبق على أهل مكة الأخشبين الآن، ننهيم كلهم وخلص، لا عبد يليل ولا عبد يا نهار، ضرب الجبال كلها إيش بيسوي أبو جهل، يوقفون الجبال ما تصطدم؟!

فقال \_ عليه الصلاة والسلام \_ هنا تأتي النفس الشريفة مرة أخرى، النفس العفيفة، النفس صاحبة

الرسالة العظيمة، هو مكلف من الله أن يبلغ. وإذا طبق عليهم من أول الأخشبين، هذا عاد يعني وهم قومه

الأقربون، وعشيرته الأقربون، ويعني النفس الشريفة التي هيئت للرسالة العظيمة هذه، ليس من مطالبها

(1) البخاري، رقم: 2992، "باب ذكر الملائكة".

الانتقام الشخصي، ولا الذاتي. حتى لو فرض أن الجيل الموجود اليوم لن يستجيب، وهذه أبعد ما يكون في الاحتمال. ألن يأتي بعدهم أجيال تعبد الله؟ وارد ولو حتى بضعة نسمة ضعيفة. فغلبه \_ عليه الصلاة والسلام \_ من هذا الشرف في نفسه صلى الله عليه وسلم وهذه الأريحية العظيمة، ولذلك رشح لمقام النبوة، هذا الرجل الكريم العظيم. لو واحد مثلنا إيش يسوي؟ ... القرية الأخرى إذا سمعت أنك طبقت الجبال على الناس هربوا قبل أن يروك، هذه حقيقة، وقد أؤذي حتى بعد ذلك بأذية عظيمة، فكان يقول لهم نقتل هذا الذي.. لا يتحدث الناس أن محمد..

هذه النفس الشريفة العظيمة العفيفة التي اختيرت في مقام النبوة، وختم الرسالة حتى، وأنه رسول إلى هؤلاء، وإلى أجيالهم، وأبنائهم، وأحفادهم، ونبي إليهم وإلى غيرهم، وإلى من سيأتي بعد ألف وألفين سنة، إلى آخر الزمان.

فالانتقام الشخصي غير وارد عنده \_ عليه الصلاة والسلام \_ ولمن هو فيهم. قال: ((لا بل أستأني بهم)). أنتظر وأصبر ((لعل الله)) حتى ربما لو يئسنا منهم هم الموجودين الآن، وجلسنا في جلال معهم أربعين وخمسين سنة في الدعوة والصبر، سيأتي. ((لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً))<sup>(1)</sup>.

وهذا هدف عظيم وسامي، فنصبر لأجله. فبارك الله، وحتى أكثر هؤلاء الذين عادوه أسلموا بعد ذلك فكانوا من خلص أصحابه، ومن أعظم أنصاره.

فموضع الشاهد قوله: ((إن الله قد سمع قول قومك لك)) كقوله تعالى في قصة التي ظاهر منها زوجها ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾<sup>(2)</sup>.

بقيت فائدة ربما الآن، أو ربما نسيت أذكرها، أو ربما ذكرتها في الدروس الماضية لا أستحضر الآن. ما سبب إدخال حديث أبي بكر السابق ضمن "باب {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}"؟ ذكرنا الفائدة هذه؟ ذكرناها إذن نقرأ ما بعده.

### بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى قُلْ هُوَ الْقَادِرُ

قال الإمام البخاري \_ رحمه الله \_ : (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى قُلْ هُوَ الْقَادِرُ

(1) البخاري، رقم: 2992، "باب ذكر الملائكة".

(2) المجادلة: 1.

حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْدَرِ حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ عِيسَى حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْمَوَالِي قَالَ سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدِرِ يُحَدِّثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَسَنِ يَقُولُ أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّلْمِيُّ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الْإِسْنَخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ يَقُولُ إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَحِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الْأَمْرَ ثُمَّ يُسَمِّيهِ بِعَيْنِهِ خَيْرًا لِي فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ قَالَ أَوْ فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ اللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي أَوْ قَالَ فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ فَاصْرِفْنِي عَنْهُ وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ).

قال البخاري \_ رحمه الله \_ : (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى قُلْ هُوَ الْقَادِرُ) ترجم بلفظ الآية التي تمامها قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾<sup>(1)</sup>.

ومقصوده إثبات عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى، وأن الله على كل شيء قدير، لا يمنعه مانع، ولا يعجزه شيء. ففيه إثبات صفة القدرة لله رب العالمين، التي لا يعجزها شيء وكان الله على كل شيء قديراً سبحانه وتعالى.

ثم أورد الحديث فقال: (حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْدَرِ) ابن عبد الله الأسدي الحزامي، ثقة وثقوه. مما ينبغي أن يعرف عنه، لم يرو عنه مباشرة من أصحاب الكتب الستة سوى البخاري، وابن ماجه، فهو من شيوخهم. وروى عنه الترمذي والنسائي بواسطة، ولم يخرج له مسلم ولا أبو داود حديثاً واحداً. قال: (حَدَّثَنَا مَعْنُ بْنُ عِيسَى) هو ابن يحيى الأشجعي بالولاء، يكنى أبا يحيى المدني، الملقب بالفزاز، أحد مشاهير تلاميذ مالك أيضاً، وأحد رواة الموطأ عنه، وله نسخة لموطأ مالك، هي في حكم المفقود. لم يصلنا من موطأ مالك من النسخ كاملاً \_ فيما أعرف والعلم عند الله \_ إلا نسختان: النسخة المشهورة نسخة يحيى بن أبي يحيى المصمودي الليثي، التي عليها العمل وهي المشهورة، والتي شرحها ابن عبد البر أيضاً.

(1) الأنعام: 65.

ونسخة محمد بن الحسن الشيباني، موجودة وتزيد على نسخة يحيى المصمودي بمائة حديث كاملة،  
نسخة الشيباني محمد بن حسن، صاحب أبي حنيفة.  
وقطعة صغيرة لا تتجاوز العشر من موطأ عبد الله بن هب القرشي عن مالك. أما البقية فعلمها عند  
الله، منها نسخة معن بن عيسى القزاز هذا. ثقة، ثبت، توفي ثمانية وتسعين (98).  
قال: **(حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الْمَوَالِي)** وثقوه، إلا أن الإمام أحمد \_ رحمه الله \_ روى عنه  
صاحبه الأثرم رواية، قال فيها الإمام أحمد عن عبد الرحمن قال: "انفرد برواية حديث الاستخارة عن محمد  
بن المنكدر وهو منكر".  
هذه أزعجت العلماء، كلمة أحمد قوية جداً. وكما ترى الإمام البخاري اعتمد الحديث هنا حديث  
الاستخارة.

هو بالفعل لا يوجد في الكتب الستة ولا غير الستة حتى إلا من رواية عبد الرحمن بن أبي الموالى، عن  
محمد بن المنكدر، عن جابر، فقد انفرد به فعلاً. حديث الاستخارة هذا انفرد بروايته عبد الرحمن بن أبي  
الموالى، عن محمد بن المنكدر، عن جابر. ولذلك عدّه الإمام أحمد منكرًا.  
أجاب العلماء بعد الموافقة على أنه فعلاً انفرد به، ولا مندوحة عن هذا أن قول أحمد منكرًا، لا  
يقصد النكارة الاصطلاحية التي تسقط الحديث وتضعفه؛ وإنما أراد من النكارة اللغوية التي هي بمعنى التفرد  
التام الكامل المتفرد به، فأصبح يعني بدعاً من الأحاديث، أو نكرًا من الأحاديث للتفرد لا النكارة التي  
تتبادر إلى ذهننا، وهي النكارة التي تعني إسقاط الحديث وإضعافه.  
أجاب بعضهم بهذا، خصوصاً أن كبار أئمة الحديث، من ضمنهم صاحبنا الصحيح، صاحبنا  
الصحيح خاصة البخاري هنا أخرج الحديث.

البخاري اعتمد الحديث مع معرفته بانفراد ابن أبي الموالى عن ابن المنكدر به. أخرجه هنا في  
"التوحيد"، وأخرجه في "الدعوات" أيضاً.

وينضاف إلى هذا ويؤكد أنه الحديث الذي في مطلق الاستخارة، تعليم النبي الاستخارة، مروى من  
صحابه آخرين غير جابر: من حديث أبي أيوب، من حديث ابن عباس، بعضها حسن وبعضها فيه  
ضعف، لكن هذا يزيل النكارة التي بمعنى أنه يعني الضعف وبمعنى الإسقاط من رواية ابن أبي الموالى؛ ولذلك  
اعتمدها البخاري في الصحيح رغم تفرد عبد الرحمن بن أبي الموالى عن ابن المنكدر بها.

ومما يؤكد هذا كما تسمع هنا في السند، أن عبد الرحمن بن أبي الموالي قال: **(سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدِرِ يُحَدِّثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَسَنِ)** وهذا من دقة ابن أبي الموالي.

كان بإمكانه أن يقول حدثني محمد بن المنكدر وللا لا؟ أو سمعته، وهو صادق، حاضر سامع، لكن دقيق في النقل. فكان ابن المنكدر لا يحدثه؛ إنما يحدث رجلاً آخر وهو عبد الله بن الحسن بحضور من أبي الموالي، فسمع الحديث منه.

فلدقة عبد الرحمن، واستحضاره للحديث، واستحضاره للمكان، والموضع، والحال الذي سمع الحديث فيه من شيخه ابن المنكدر، كان دقيقاً في النقل فقال: **(سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدِرِ يُحَدِّثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَسَنِ يَقُولُ أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ)** فهذه طمأنات الأئمة، خاصة البخاري أن ابن أبي الموالي مستحضر للحديث، وانفراده به بالتالي لا يعد مذمة؛ بل يعد منقبة. إذ لولا روايته لهذا الحديث، لضاعت علينا هذه السنة الجليلة العظيمة وهي سنة الاستخارة، وحديث الاستخارة الذي فيه المضامين العظيمة. فانفراده هنا يُشكر له، ويحمد عليه، ويُذكر به لا أن يذم به. وهذا يكثر جداً. كثير من الأحاديث انفردها بها ليس لها إلا أسانيد مفردة، فإذا كان الرواة لها ثقات، اعتمدت هذه الأحاديث وقبلت كحديث النيات وغيره، وأثني على رواته؛ لأنهم حفظوا لنا حديثاً وسنة. لولا هذا الحفظ منهم، وانفرادهم بهذا الحفظ والنقل، لربما ضاعت وفاتت وذهبت.

قال: **(سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْكَدِرِ)** التابعي، المدني المشهور.

**(يُحَدِّثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَسَنِ)** ابن الحسن بن علي بن أبي طالب، من آل بيت النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ يعني رجلاً شريفاً، ليست له رواية عبد الله بن الحسن؛ بل وليس له ذكر في الصحيح كله إلا في هذا الموضع، وذكر عرضاً؛ لأن ابن أبي الموالي حدث كيف سمع الحديث من أبي المنكدر، وليس له دور في الرواية مطلقاً.

وله قصة لما خرج على أبي جعفر المنصور، اقرؤوها في ترجمته يعني في السير وغيره.

قال: **(أَخْبَرَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّلْمِيُّ)** نسبة إلى بني سلَمَة بكسر اللام، بطن من الخزرج من الأنصار، والنسبة إليها السَلْمِي. ولا تخلط بين السَلْمِي، والسَلْمِي، والأَسْلَمِي، ثلاث قبائل عندك:

- السلمي نسبة إلى بني سلمة، من الخزرج من الأنصار، قوم جابر بن عبد الله.
- والسَلْمِي القبيلة المشهورة سَلِيم، قبيلة الخنساء الشاعرة المشهورة.
- والأَسْلَمِي نسبة إلى قبيلة أسلم، قبيلة أبي برزة الأسلمي وأمثاله من فضلاء الصحابة.

كان المتوقع كما يقول بعض الشراح أن يخرج البخاري لنا في هذا الباب حديثاً آخر لجابر بن عبد الله نفسه، أقرب إلى مقصود الباب من هذا. بماذا ترجم البخاري؟ بنص قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾<sup>(1)</sup>.

في الصحيحين هنا موجود وأخرجه البخاري في "التفسير"، وفي مواضع عن جابر بن عبد الله النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ أعوذ بوجهك ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ أعوذ بوجهك ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال النبي \_ صلى الله عليه وسلم \_ هذه أهون)) هذا أوثق أليس كذلك؟

أوثق وأقرب لتحقيق مقصود الباب من حديث جابر في الاستخارة. فلماذا ما أخرجه وأخرج

حديث الاستخارة؟

قالوا في الجواب أن البخاري \_ رحمه الله \_ عنده ولوع بالاجتزاء بالتلميح دون التصريح. فرما يترجم

ويخرج حديثاً في الباب، ترى أنه ليس له علاقة بترجمة الباب من قريب ولا من بعيد. أليس كذلك؟ فيستحثك ذلك على أن تبحث وللا لا؟ وتنظر لماذا البخاري أخرج هذا الحديث، وما أخرج ذلك الحديث الآخر الذي هو أقرب؟

هذا سيجعلك تبحث، والبحث يفيدك فوائد كثيرة جداً. لولا هذا البحث ما وصلت إليها. ثم أعطاك مفتاح اللغز، فأخرج حديث عن جابر أيضاً، ليشعرك بأن لجابر حديث في الباب ربما يكون أوثق، ابحث عنه وفتش عنه لتجده، وأثناء البحث والتفتيش ستسفيد، وتتور، وتتبصر، وتندرب، وأنت أمام ترتيب كتاب ربه إمام من أذكى الأمة وعلمائها.

قبل أن تذهب فتعارض وتصادمه وكذا، انظر لماذا فعل ذلك؟ ويصنع ذلك كثيراً، ليدفعك إلى

البحث والتنقيب.

والبحث والتنقيب فيه فوائد ثمينة لك؛ لأن الفائدة التي تصل إليها أنت بنفسك، أتمن عندك في

الغالب مما تسمعه.

الآن جالس لي خمس سنوات أتكلم، يأتي في كلامي عشرين فائدة مثلاً، بلاش نقول أكثر.

تسمعه ربما لا تكتبها، ولا تعقل. لكن لو أنت جالس في البيت تقلب وفتش، فوفقت على فائدة، الله

(1) الأنعام: 65.

ترى أنك يعني ظفرت بكنز عظيم، فثبتت في ذهنك، وربما تسجلها، وربما تحدث بها غيرك، ويعني ما شاء الله تنطلق أسارير قلبك ولسانك بها. وهذا من طبيعة البشر، لا محذور في ذلك ولا عيب. فاهتموا وللا لا؟ فمثل هذه الفوائد يدفعك لها البخاري عن طريق أن يأتي لك بحديث يشعرك أنه ليس له علاقة بالباب، ليدفعك للبحث والتنقيب، فتجد أن لجابر بن عبد الله برواية بن المنكدر أيضاً حديث آخر في معنى الآية نفسها، تجده في "التفسير"، في "الدعوات"، في "المبعث النبوي"، في مواضع أخرى من الجامع الصحيح الذي هو ما شاء الله كالحديقة الغناء، العامرة بالعلم والفوائد.

ثم روى لنا حديث الاستخارة الطويل هذا، وليس الآن طبعاً موضع شرحه.

مقصوده قوله: **(وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ)** فإن العبد الضعيف، الاستخارة يقول أهل العلم كل أمر تريد أن تقدم عليه في مستقبل حياتك، لا تعلم عاقبته؛ لأنك لا تعلم الغيب، تريد تتزوج، لا تدري هذه المرأة التي ستزوجها مناسبة لك، هل ستسعد معها، ولا مشكلة، ما تدري. صح وللا لا؟ ما تدري، تريد تدخل في هذا المشروع التجاري ما تدري تريح ولا تطير الأسهم وتروح، تريد تبني بيتاً هنا، تريد تشتري أرض، يعني أمور مستقبلية لا تعرف عواقبها، لا نعلم الغيب.

فتدعو وتلقي حاجتك بمن يعلم الغيب، ومن يقدر على أن يصرف عنك السوء، ويقدم لك الخير، فتستخيره وتدعوه بعلمه الغيب، وبقدرته التي لا يعجزها شيء.

فبعلمه الغيب، يكفيك الله ما لا تعلم، وبقدرته هو وحده الذي يصرف عنك السوء ويأتيك بالخير. ولذلك كما يقول جابر يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، لحرصه \_ عليه الصلاة والسلام \_ على أمته، أن لا يجازفوا بأي أمر من الأمور حتى ينظروا ويستخبروا، وفي خيرة الله الخير. وإذا اختار الله لك أمر، فاعلم أن الخير فيه ولو بدا لك يعني عظيماً أو ظاهراً، فإن علمك بسيط محدود، وقدرتك أيضاً ضعيفة وبسيطة ومحدودة.

نقف عند هذا الباب. وسأوقف الدرس يعني أستأذنكم خلال هذه الفترة، وربما سنرجع بعد فترة ربما في الصيف أو شيء من هذا القبيل. سنعلن لكم عن طريق بعض الإخوة إذا وجدنا فرصة في الصيف، سنعلن إرجاع الدرس إن شاء الله تعالى.

وفككم الله ووفقنا جميعاً لما يحبه ويرضى. أوصيكم ونفسي بتقوى الله سبحانه وتعالى، والحرص على العلم، والسنة، والخير. فإن الحرص على العلم والسنة والخير في وقت غفلة الناس عنها، وانشغالهم بملهيات الحياة هذه، هي من أعظم نعم الله التي هيئت لكم فلا تفرطوا فيها، ولا تضيعوها كما نبهنا شيخ الإسلام

في قوله: (إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً) فلا تظلم نفسك بترك العلم، والسنة، وكتب العلم، فتذهب تقرأ لي سوبرمان، وجريدة فلان، ومباراة علا، وتضيع حياتك في لهو فاضي وضيع يعني لا يجني عليك خير لا في الدنيا ولا في الآخرة. في أشياء ربما تجد.. أشوف أشياء عند الناس لا دنيا ولا آخرة، ماني عارف إيش بيغون فيها، يصيحون من الصبح ماني داري...

